سيف الروح

سلسلة

مكتشفين من هو يسوع الحقيقي

معرفة الابن

كولن داي

سلسلة سيف الروح

معرفة الابن

بقلم

كولن داي

جميع حقوق الطباعة و الملكية و الفنية و الأدبية محفوظة للمؤلف

English Original Title:
Knowing the Son
Arabic edition @2017 by Colin Dye

Publisher:
Kensington Temple
KT Summit House
100 Hanger Lane
London W5 1EZ

swordofthespirit.co.uk

المحتويات

مقدمة ٥

١– الابن كامل الناسوت ٩

٢– الابن كامل اللاهوت ٣١

٣– شخص متفرِّد ٥٣

٤– حياة متفرِّدة ٧٧

٥– إرسالية متفرِّدة ٩١

٦– الابن والروح ١٢١

٧– الابن والآب ١٣٥

٨– الابن والصليب ١٥٧

٩– عودة الابن ١٧٥

مقدمة

عولجت الموضوعات الاثنتي عشر التي تتناولها سلسلة «سيف الروح» كي يكون كلٌّ منها «بمفرده» كتابًا إرشاديًّا عن موضوع كتابي معين، ولكي تكون «معًا» في الوقت نفسه حلقةً من الدراسات التي تساعدك على التثبُّت في الخدمة، وتعدُّك لتعليم الآخرين كي يعرفوا الله ومقاصده بصورةٍ أعمق.

ترتبط الموضوعات الاثنتي عشر ببعضها البعض وكلٌّ منها يشير إلى الآخر. وهي متداخلة معًا بصورة أساسية. لذلك سوف تحتاج إلى دراستها معًا إذا أردت أن تستوعب الصورة الكاملة «للكلمة والروح». ومع ذلك، فكل موضوع هو وحدة دراسية كاملة ومكتملة فيما عدا هذا الكتاب.

يسوع الناصري، المسيح، الرب المخلِّص، ابن الله الحي يسود شخصه كلَّ الأسفار المقدسة لدرجةٍ تجعل من المستحيل وصف كمال طبيعته وعمله في كتاب قليل الصفحات كهذا.

إن كل الموضوعات الاثنتي عشر التي نتناولها في هذه السلسلة إنما هي عن الابن الذي هو نفسه كلمة الله. على سبيل المثال، درسنا تعاليمه المقدسة في كتاب «مُلك الله» وحياة صلاته في كتاب «الصلاة الفعالة» وخدمته الأرضية في كتاب «الخدمة المُنقادة بالروح» وإرساليته التبشيرية في كتاب «الوصول للتائهين» والاعتماد المُتبادَل بينه وبين الآب والروح في إطار الأقانيم الثلاثة في كتاب «معرفة الآب» وهكذا. وعلى الرغم من أننا نتناول كل جانب من جوانب حياة الابن هذه في هذا الكتاب، إلا أنك ستحتاج إلى دراستها بعمق في الكتب الأخرى من السلسلة.

والأهم من ذلك أننا نتناول قصد الابن العظيم في كتاب «Salvation by Grace». لذلك من الضروري أن تدرس هذا الكتاب إلى جانب كتاب «Salvation by Grace»، حيث لن تدرك كمال إرسالية الابن دون دراسة الكتابين معًا.

نهتم في هذا الكتاب بمعرفة «من هو الابن» أكثر من معرفة «ما الذي فعله»، حيث نغطي هذه الجزئية في كتاب آخر. كما نركز على سر طبيعته الإلهية الكاملة وطبيعته الإنسانية الكاملة. ونتناول تفرُّد شخصه وتفرد أحداث حياته وعلاقته العاملة مع الآب والروح. ونتأمل في الصليب بالطريقة التي تحدثت بها عنه البشائر الأربع.

«معرفة الابن» هو كتاب موجَّه للمؤمنين المتشوِّقين إلى دراسة كلمة الله لمعرفة كيف يمكن أن يكون يسوع الناصري هو أحد أبناء نجار بسيط، وفي نفس الوقت، الابن الوحيد للخالق القدير. وهو كتاب موجَّه للتلاميذ المفتوحة أذهانهم لاستقبال إعلان الله الكتابي عن طبيعة وإرسالية وقصد ومصير ابنه الحبيب.

وصلاتي بعد أن تنتهي من دراسة هذا الكتاب هي أن يكون لك فهم أفضل لشخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح العجيب وعمله – وخاصةً الطريقة التي ينبغي أن تشكِّل بها بنويته حياتَنا كأبناء وبنات للآب.

وأصلِّي أيضًا أن يدفعك هذا الكتابُ نحو تكريسٍ أعظم، ونحو تلمذةٍ أكثر تكريسًا وذلك تمثُّلاً بالاتكال الخاضع للابن الذي قَبِل الألمَ والموتَ طوعًا (والذي سيأتي طوعًا أيضًا عما قريب بسلطانٍ ومجدٍ) كي ينقذ البشريةَ من الموت ويؤسِّس ملكوتَ الله.

هناك بعض المواد التعليمية الإضافية التي يمكنك أن تستعين بها كي تسهل من دراستك لهذا الكتاب. هناك مثلاً كتيب دارسي سلسلة سيف الروح (Sword of the Spirit Student's Handbook) وكذلك الموقع الإليكتروني (www.swordofthespirit.co.uk). ستجد في الكتيب مرشدًا تعليميًّا تكميليًّا يغطي كل فصل من فصول الكتاب. كما ستجد أسئلةً للمناقشة واختبارات قصيرة. يمكنك الحصول على المزيد من الاختبارات والأسئلة عندما تسجل بالاشتراك على موقع السلسلة. هناك أيضًا ويب تول (webtool) وهو عبارة عن نص الكتاب مضافًا إليه روابط لكل النصوص الكتابية الواردة به، بالإضافة إلى مواد تعليمية مرئية ومسموعة شاملة. تساعدك هذه المواد الإضافية على اختبار فهمك لمِا خرجت به من الكتاب وتعاونك على تطبيقه.

ويمكنك أن تستخدم الكتيب للدراسة في مجموعات صغيرة. كما يمكنك أن تختار في روح الصلاة بعض أجزاء الكتاب التي تنطبق أكثر من غيرها على مجموعتك. وهذا يعني أنك ستستخدم أحيانًا مادة الكتاب كله وستستخدم في أحيان أخرى بعض الأجزاء الصغيرة فقط، ولتكن منقادًا دائمًا بالحكمة والبصيرة الروحية. ويمكنك تصوير أي جزء من أجزاء الكتاب وتوزيعه على أفراد المجموعة التي تقودها.

كولن داي

الجزء الأول

الابن كامل الناسوت

على مدار التاريخ، كان هناك أناس يعتقدون أن يسوع إلهٌ فقط، وآخرون يعتقدون أنه إنسانٌ فقط. لكن كل التقاليد المسيحية على ما بينها من اختلافات بشأن بعض الأمور كانت ولازالت متَّحدةً في فهمها لشخص يسوع المتفرِّد الذي هو إنسان كامل وإله كامل في نفس الوقت.

من السهل أن يدرك الكثيرون من الناس العاديين أن يسوع إنسانٌ كاملٌ. ولأنه يصعب عليهم تخيُّل أن إنسانًا يمكن أن يكون إلهًا أيضًا، نجدهم مقتنعين أن يسوع إنسانٌ فقط.

هذا الاعتقاد الخاطئ والشائع هو السبب وراء تأكيد الكثير من الكنائس على إلوهية يسوع. لكننا نرتكب خطأً في التعريف بالابن إن ركزنا على أحد جانبي شخصه أكثر من الآخر. لذا علينا أن نركز على إلوهيته الكاملة وإنسانيته الكاملة معًا.

يعلمنا العهد الجديد بالطبع أن يسوع أكثر من مجرد إنسان، لكنه يقدم تعاليمه على خلفية إنسانيته الحقيقية. وبالمثل نركز في هذا الكتاب على معرفة الابن الممجَّد بالعديد من الطرق العظيمة. لكننا نبدأ بالحديث عن كمال ناسوته.

إنسانية يسوع:

تقدم لنا بشائر متى ومرقس ولوقا نفسَ الصورة لشخص يسوع، وذلك على الرغم من أن كل كاتب منهم يستخدم موادًا مختلفةً كي يركِّز على زوايا مختلفة. لكنهم جميعًا يقدِّمون لنا في النهاية نفسَ الشخص (نعرض المزيدَ من الدلائل الكتابية على حياة يسوع كإنسان في كتاب «الوصول للتائهين»).

يقول مرقس في العدد الافتتاحي لبشارته إنه يقدم شخصًا هو أكثر من مجرد إنسان، في حين أن متى ولوقا يبدآن بقصة الميلاد التي تسجل البداية المتواضعة لحياة يسوع. يقدم كلا الكاتبين يسوعَ في منزل أناس عاديين يعانون من كل الضغوط التي يمكن أن يتعرض لها من هم على شاكلتهم.

(لوقا ٢ : ٣٩ – ٥٢) هي الرواية الكتابية الوحيدة عن طفولة يسوع وهي تكشف بعض الأمور عن الإنسانية الحقة لعائلته الأرضية. كما توضح أحاديث لوقا الجانبية في (لوقا ٢ : ٤٠ و ٢ : ٥١ – ٥٢) أن يسوع وصل إلى سن البلوغ طبقًا للقوانين الطبيعية للنمو البشري.

تقدم جميعُ البشائر معموديةَ يسوع باعتبارها لحظة بداية خدمته وتوضح كيف توحَّد مع الناس العاديين الذين كانوا يحتشدون حول يوحنا قريبه. وأوضحت التجارب التي مر بها يسوع بعد المعمودية أن عليه مثل كل الناس المرور باختبارات أخلاقية وجسدية.

يقدم كلٌّ من متى ومرقس ولوقا يسوعَ كإنسانٍ عاش في القرن الأول بكل معنى الكلمة. على سبيل المثال:

- عاش يسوع في عالم الفريسيين والصدوقيين والهيرودسيين.

- كانت مدة حياته القصيرة من مميزات أهل فلسطين في القرن الأول.
- شفى وعلَّم الناسَ الذين كانوا يواجهون نفس التوترات الاجتماعية والسياسية التي واجهها هو أيضاً.
- كان إنسانًا من بين الناس الذين يقومون بما يقوم به الأشخاص العاديون – يتناول الطعام في المنازل ويسافر سيرًا على الأقدام أو في قارب ويدفع الضرائب ويختلط بالكثير من أنواع الناس.
- كان رحيمًا جدًّا تجاه الأشخاص المعزولين اجتماعيًّا.
- انتقد الرياءَ وجادل القادة الدينيين وتناقش معهم.
- كان حزينًا جدًّا في جثسيماني لدرجة أنه تصبب عرقًا بغزارة.
- كان يشعر بالترك على الصليب.

لكن وعلى الرغم من هذه الخلفية الإنسانية، تعلن البشائرُ الثلاث صراحةً أن يسوع كان مختلفًا عن كل البشر الآخرين. على سبيل المثال:

- له سلطانٌ يفوق سلطانَ الناموس.
- يغفر الخطايا.
- له سلطان على الطبيعة.
- يخرج الشياطينَ.
- تغيرت هيئته أمام تلاميذه بطريقة من المستحيل أن تحدث لغيره من الأشخاص الأحياء.
- استخدم وقبل ألقابًا جعلته متفرِّدًا بمنزلةٍ لا يحظى بها غيره.

تتحدث البشائرُ باستمرار عن يسوع المتوحِّد كليةً مع البشرية والمنفصل عنها تمامًا في ذات الوقت. ولا يبدو أن كُتَّاب البشائر يدركون وهم يتحدثون هكذا ما يسببه مثلُ هذا الحديث من توتر للعديد من القراء.

بشارة يوحنا

من المعروف أن بشارة يوحنا هي البشارة التي تتحدث عن إلوهية يسوع بوضوحٍ خاص. فعلى عكس شجرة العائلة التي يبدأ بها كلٌّ من متى ولوقا، يبدأ يوحنا بشارتَه بالنسب السماوي ليسوع والذي يؤكد على وجوده السابق وأصله الإلهي. حتى أن (يوحنا ١ : ١٤) يؤكد أن الكلمة صار «جسدًا» و«حل» أو «سكن» بيننا.

نتناول الصورةُ التي تحدَّث بها يوحنا عن التجسد، وهي «نصب الله لخيمته في البشرية» في كتاب «Salvation by Grace» ونرى أن معنى ذلك هو أن الله أظهر نفسَه في جسد إنساني حقيقي.

وعلى الرغم من أن بشارة يوحنا تؤكِّد بقوة على الطبيعة الإلهية ليسوع، إلا أنها غالبًا ما تلفت الانتباه إلى «خيمته» البشرية الكاملة. توضح بشارةُ يوحنا على سبيل المثال أن:

- الكثير من الناس اعتقدوا أن يسوع معلِّمٌ (١ :٣٨ و ٣ :٢ و ٩ :٢ و١١ :٨).
- يسوع تعب من السفر (٤ :٦).
- شعر بالعطش (٤ :٧، ١٩:٢٨).
- أثار الكراهية (٧ : ٤٤ و ١٠ : ٣١ – ٣٩ و ١١ :٥٧).
- بكى عند موت صديق له (١١ : ٣٣ – ٣٥).
- غسل الأرجل (١٣ : ١ – ٥).
- أعد طعامًا (٢١ : ٩).

الكنيسة الأولى

يركز سفر أعمال الرسل على المسيح الممجَّد. ومع ذلك، غالبًا ما يتحدث عنه باعتباره «يسوع الناصري» كما في (أعمال الرسل ٢ :٢٢ و ٣ :٦

و٤: ١٠ و٦ : ١٤ و ١٠ : ٣٨ و ٢٢ : ٨ و ٢٦ : ٩) على سبيل المثال. وهذا يدل على أن يسوع كان شخصيةً تاريخيةً حقيقيةً، وأنه عاش كإنسانٍ حقيقي في بلدة الناصرة الصغيرة – وهي حقيقةٌ لا يمكن أن يجادل بشأنها أي عالم جاد اليوم.

ولأن رسائل بولس تحتوي على القليل من الحقائق بشأن يسوع، فقد قال بعض العلماء إن بولس لم يكن يعرف إلا القليل عن يسوع التاريخي. لكن (أعمال الرسل ٩ : ٢٦) يسجل أن بولس تقابل مع الرسل في أورشليم. ويصف (أعمال الرسل ١٢ : ٢٥) مرقسَ بأنه رفيق بولس ويوضح (أعمال الرسل ٢٣: ٣٥ و ٢٤ : ٢٣ – ٢٧) أن بولس قضى عامين في دار الولاية في قيصرية (العاصمة الرومانية في فلسطين) وكانت له الحرية في مقابلة التلاميذ الآخرين (نفهم من سفر أعمال الرسل أن لوقا كان يعتني ببولس أثناء فترة سجنه. ومن المحتمل جدًّا أن يكون لوقا قد جمع مصادر بشارته أثناء هذين العامين. ولو أن هذا حدث بالفعل، فقد ناقش لوقا النتائج التي توصل إليها مع بولس بكل تأكيد).

تحتوي رسائل بولس في الواقع على إرشادات عقائدية ومعالجات رعوية وهي موجَّهة للكنائس حديثة التأسيس، ولا تهدف إلى رسم صورة لشخصية يسوع أو إلى الحديث عن أحداث حياته. وعلى الرغم من ذلك، تحتوي رسائل بولس على العديد من التفاصيل التي تؤكد على إنسانية يسوع التاريخي. على سبيل المثال، يوضح بولس أن يسوع:

- من نسل داود (رومية ١ : ٣).
- ينتمي إلى إسرائيل حسب الجسد (رومية ٩ : ٥).
- أُرسل من الله في وقت معين كي يُولَد من امرأة ويعيش تحت الناموس (غلاطية ٤ : ٤).

- كان له أخ (وكان بولس يعرفه) (غلاطية ١ : ١٩).
- كان فقيرًا (٢كورنثوس ٨: ٩).
- صُلب ودُفن وقام (١كورنثوس ١٥ : ٤).
- أسس عشاءَ الرب (١كورنثوس ١١ : ٢٣ – ٢٦).
- كان وديعًا وحليمًا (٢كورنثوس ١٠ : ١).
- كان بارًّا وبلا خطية (رومية ٥ : ١٨) و(٢كورنثوس ٥ : ٢١).
- كان متواضعًا وصبورًا (فيلبي ٢ : ٦ – ٨) و(٢تسالونيكي ٣ : ٥).
- كان إنسانًا كما آدم (رومية٥ : ١٢ – ٢١) و(١كورنثوس ١٥: ٢١ – ٢٢).
- كان إنسانًا (١ تيموثاوس ٢ : ٥).

تبدأ رسالة العبرانيين (١ : ١ – ٣) بالحديث عن يسوع الممجد ابن الله الوارث لكل شيء والخالق لكل شيء. لكنها توازن هذه المقدمة بذكر الكثير من المعلومات عن الطبيعة الإنسانية الكاملة للابن. توضح رسالة العبرانيين على سبيل المثال أن يسوع:

- كان أقل من الملائكة وكان مهتمًّا بالناس في إرساليته (٢ : ٩ ، ١٦).
- تشارك في اللحم والدم مثل كل الناس (٢ : ١٤).
- كان معرَّضًا للتجربة (٢ : ١٨ و ٤ : ١٥).
- صلَّى بصراخ ودموع (٥ : ٧).
- تعلم الطاعة من خلال الألم (٢ : ١٠ و ٥ : ٨ – ٩).
- اختبر المخافةَ الإلهيةَ (٥ : ٧).
- اعتبر الموتَ جزءًا لا يتجزأ من إرساليته (٢ : ٩ ، ١٤).

نرى في كتاب «Salvation by Grace» أن رسالة العبرانيين تركِّز على فكرة موت يسوع «الكفاري» وتعدُّد مؤهلات يسوع كرئيس الكهنة

العظيم للبشرية، موضِّحة أن إنسانيته هي شرط لا غنى عنه فيما يتعلق بتقديمه لنفسه كذبيحة من خلال الروح. نرى ذلك على سبيل المثال في (عبرانيين٩ : ١٤ ، ٢٦ – ٢٨ و ١٠ : ١٠ ، ٢٠).

لو لم يتوسط يسوعُ الإنسانُ لدى الله ممهِّدًا لنا الطريق، ما كان لأي إنسان منا دخول لدى الله. يتحدث كلُّ العهد الجديد عن يسوع بصفتيه: فهو الابن الإلهي وهو أيضًا الإنسان الكامل. هو الابن الذي يعكس مجد الله وهو الإنسان الذي يمكن أن يُجرَّب مثلنا. هذه حقيقة مهمة وعلينا أن نجتهد في الاحتفاظ بشقيها معًا في فهمنا وتجاربنا وإعلاننا لشخص يسوع.

ناسوت يسوع الذي بلا خطية:

عندما يتحدث العهدُ الجديدُ عن يسوع الإنسان الكامل، يؤكد أنه إنسانٌ بلا خطية. يسوع هو في الواقع الإنسان الوحيد الذي وُجِد بلا خطية منذ وقت آدم وحواء قبل السقوط. نقرأ عن هذه الحقيقة في (عبرانيين ٤ : ١٥) و(١بطرس ٢ : ٢٢) و(١يوحنا ٣ : ٥).

لا يعلن يسوعُ في البشائر بصفةٍ خاصة عن حقيقة كونه بلا خطية. ومع ذلك، هناك العديد من الدلائل التي تشير إلى كماله المطلق ولا يوجد ما يناقض هذه الحقيقة أبدًا. على سبيل المثال:

- لم يعترف يسوعُ أبدًا بأية خطيةٍ.
- كان يدعو الناسَ إلى التوبة في حين لم يُظهِر هو أية حاجة إلى التوبة.
- خضع لمعمودية يوحنا «كي يكمل كلَّ بر» لا كعلامة على التوبة (متى ٣ : ١٤ – ١٥).
- أظهر حساسيةً حادةً ضد الشر (متى ١٦ : ٢٣).

- قاوم التجربةَ مقاومةً تامة (متى ٤ : ١ – ١١).
- أدان الرياءَ دون أن يرد أحدٌ متَّهمًا إياه بالرياء (متى ٢٣: ١ – ٣٦).
- حثَّ الآخرين على أن يكونوا كاملين مثل الله مستثنيًا نفسه من هذا الحثِّ، حيث لم ينوِّه بأي شكل إلى أنه أقل كمالاً من الله (متى ٥: ٢٠).
- ميَّز نفسَه عن سامعيه «الأشرار» (متى ٧ : ١١).
- لم يتَّهمه أحدٌ أبدًا بأنه لا يعيش طبقًا لتعاليمه.
- صرَّح بأمورٍ كان من الممكن اعتبارها غايةً في التكبر لو أنها لا تتناسب وحالته الأدبية والأخلاقية (يوحنا ٨ : ١٢).
- لم يتَّهمه أحدٌ أبدًا بأية خطية حتى حينما طلب من سامعيه أن يبكِّتوه على خطية إن وُجِدت فيه (يوحنا ٨ : ٤٤).
- أعلن أنه يفعل مشيئةَ الآب بطريقةٍ توضِّح أنه من غير الوارد أن يفعل العكس (يوحنا ١٠ :٣٧ و ١٤ : ١٠ – ١١ ، ٣١ و ١٥ : ١٠ و ١٧ : ٤).
- أعلن أنه والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠ و ١٧ : ٢٢).

غالبًا ما أشارت الكنيسةُ الأولى ضمنيًّا إلى خلو يسوع من الخطية بوصفها له بأنه «قدوسٌ» و«بار». نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال ٢ :٢٧ و ٣: ١٤ و ٤ : ٣٠ و ٧ : ٥٢ و ١٧ : ٣١).

كما تتضح حقيقة كون يسوع بلا خطية بصورةٍ جليةٍ في تعاليم بولس عن الخلاص. قلنا إن رسالة العبرانيين توضح وجوبَ أن يكون يسوع إنسانًا كاملاً حتى يقوم بدور وساطة رئيس الكهنة. كذلك يوضح كلٌّ من (٢كورنثوس ٥ : ٢١) و(غلاطية ٣ :١٣) وجوب أن يكون يسوع بلا أية خطية حتى يكون موتُه كفارةً مقبولةً ومؤثِّرةً. عندما نفكر جيدًا، سيتضح

لنا أنه لم يكن من الممكن أن يجعل اللهُ يسوعَ خطيةً إلا إذا كان بلا خطيةٍ، ولم يكن من الممكن أن يُصيِّره لعنةً لأجلنا إلا إن لم يكن هو نفسه غير واقع تحت لعنةٍ.

تساءل بعض العلماء على مدار السنين عما إذا كان خلو يسوع التام من الخطية يعني أنه لم يكن قادرًا على ارتكاب الخطية. لكن العهد الجديد يؤكِّد على أنه جُرِّب في كل شيءٍ مثلنا وكان في ذات الوقت بلا خطية.

وتساءل علماء آخرون عما إذا كان من الممكن أن يكون يسوع إنسانًا حقيقيًّا إن لم يكن ميالاً إلى صنع الخطية مثل كل البشر. لكن العهد الجديد لا يشير أبدًا إلى أن يسوع كان عليه أن يتوحد مع البشرية في طبيعتها الساقطة حتى يخلِّصها من الخطية. لكنه يوضح أن يسوع كان آدم آخر وكان إنسانًا حقيقيًّا (كما أراد اللهُ للإنسان أن يكون) لكن بدون الطبيعة الساقطة التي ظهرت بعد عدن.

أوضح آدمُ أنه حتى الإنسان الكامل غير الساقط يمتلك الحرية لارتكاب الخطية عندما يدخل في تجربةٍ حقيقيةٍ. المعجزة الحقيقية لإنسانية يسوع التي بلا خطية هي أنه الوحيد الذي لم يستسلم لخطية قول «لا» لله. ولهذا ندين نحن بخلاصنا.

الابن

رأينا في كتاب «معرفة الآب» أن الكتاب المقدس يعلن الكثيرَ من أوجه طبيعة الله من خلال الأسماء التي قدَّم بها نفسَه لشعبه، ومن خلال الأسماء والألقاب التي أوحي لشعبه أن يخاطبوه بها.

ينطبق نفسُ الأمر على جوانب شخص الابن كامل الناسوت وكامل اللاهوت. يعلن الكتاب المقدس على سبيل المثال أنه:

- يسوع (متى ١: ١).
- المسيح (متى ١: ١).
- ابن داود (متى ١: ١).
- ابن إبراهيم (متى ١: ١).
- ملك اليهود (متى ٢: ٢).
- الناصري (متى ٢: ٢٣).
- الرب (متى ٣: ٣).
- ابني الحبيب (متى ٣: ١٧).
- ابن الله (متى ٤: ٣).
- الرب إلهك (متى ٤: ٧).
- معلِّم (متى ٨: ١٩).
- ابن الإنسان (متى ٨: ٢٠).
- العريس (متى ٩: ١٥).
- رب السبت (متى ١٢: ٨).
- ابن الله الحي (متى ١٦: ١٦).
- النبي (متى ٢١: ١١).
- الملك (متى ٢٥: ٣٤).
- سيد (متى ٢٦: ٢٥).
- يسوع الجليلي (متى ٢٦: ٦٩).
- قدوس الله (مرقس ١: ٢٤).
- ابن العلي (مرقس ٥: ٧).
- النجار (مرقس ٦: ٣).

- ابن مريم (مرقس ٦: ٣).
- أخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان وأخواته (مرقس ٦: ٣).
- ابن المبارك (مرقس ١٤: ٦١).
- مختار الله (لوقا ٢٣: ٣٥).
- حمل الله (يوحنا ١: ٢٩).
- مخلِّص العالم (يوحنا ٤: ٤٢).
- خبز الحياة (يوحنا ٦: ٣٥).
- نور العالم (يوحنا ٨: ١٢).
- أنا هو (يوحنا ٨: ٢٤).
- باب الخراف (يوحنا ١٠: ٧).
- الراعي الصالح (يوحنا ١٠: ١١).
- القيامة والحياة (يوحنا ١١: ٢٥).
- الطريق والحق والحياة (يوحنا ١٤: ٦).
- الكرمة الحقيقية (يوحنا ١٥: ١).
- ربي وإلهي (يوحنا ٢٠: ٢٨).
- القدوس البار (أعمال الرسل ٣: ١٤).
- رئيس الحياة (أعمال الرسل ٣: ١٥).
- رئيس ومخلِّص (أعمال الرسل ٥: ٣١).
- الرب يسوع المسيح (أعمال الرسل ٢٨: ٣١).
- فصحنا (١كورنثوس ٥: ٧).
- رأس الكنيسة (أفسس ٥: ٢٣).
- ملك الملوك ورب الأرباب (١ تيموثاوس ٦: ١٥).
- رئيس الخلاص (عبرانيين ٢: ١٠).
- رسول ورئيس كهنة (عبرانيين ٣: ١).
- وسيط العهد الجديد (عبرانيين ١٢: ٢٤).

- رب المجد (يعقوب ٢: ١).
- رئيس الرعاة (١ بطرس ٥: ٤).
- كلمة الحياة (١يوحنا ١: ١).
- الشاهد الأمين البكر من الأموات (رؤيا ١: ٥).
- الألف والياء، الأول والآخر (رؤيا ١: ١٧).
- الآمين (رؤيا ٣: ١٤).
- الأسد الذي من سبط يهوذا أصل داود (رؤيا ٥: ٥).
- أمين وصادق (رؤيا ١٩: ١١).
- كوكب الصبح المنير (رؤيا ٢٢: ١٦).

على الرغم من أن أغلب هذه الأسماء والأوصاف مستخدمة مرة أو اثنتين في العهد الجديد، إلا أن كلها تقريبًا لها خلفيات محدَّدة في العهد القديم. يمكننا أن نتعلم الكثيرَ عن طبيعة الابن وإرساليته من خلال الدراسة المتأنِّية لهذه الأسماء والألقاب. لكننا سنحتاج أيضًا إلى التأمل في خلفياتها الروحية حتى نفهم ما تنطوي عليه بصورة صحيحة.

تتكرر أربعة من هذه الأسماء في العهد الجديد بصورةٍ كبيرةٍ، حيث غالبًا ما يُطلَق على يسوع «المسيح» أو «ابن الإنسان» أو «الرب» أو «ابن الله». تُطلِعنا هذه الأسماءُ على الكثير عن شخصيته الفريدة ودعوته الفريدة أيضًا.

سيكون قول إن كلاًّ من هذه الألقاب يشير إما إلى ناسوته الكامل أو إلى لاهوته الكامل من قبيل التبسيط المُبالَغ فيه. ومع ذلك، غالبًا ما يُقال إن لقبي «المسيح» و«ابن الإنسان» يركِّزان بصورةٍ أكبر على بشريته، في حين أن لقبي «الرب» و«ابن الله» يؤكِّدان على إلوهيته. لكننا لا نستطيع قول

أكثر من ذلك هنا؛ وذلك لأن لقب مثل «ابن الإنسان» ـ كما سنرى له ـ أيضًا دلائل إلهية.

المسيح

معنى الكلمة اليونانية «christos» هو «الممسوح» وهي تقابل الكلمة العبرية «المسيا». وهذا يوضح أن يسوع كان شخصًا ممسوحًا بصفة خاصة أو مفروزًا لمهمةٍ خاصة.

«المسيح» هو أكثر الألقاب المستخدمة ليسوع. وتدل تسمية المؤمنين الأوائل «مسيحيين» على أهمية هذا اللقب لمعرفة الابن.

خلفية لقب "المسيح" في العهد القديم

يتطلع العهدُ القديم إلى عصر «مسياوي» لشعب الله فيه الكثير من الوعود الرائعة. نرى ذلك على سبيل المثال في (إشعياء ٢٦ – ٢٩ و ٤٠ – ٦٦) و(حزقيال ٤٠ – ٤٨) و(دانيال ١٢) و(يوئيل ٢: ٢٨ – ٣: ٢١).

لكن من المدهش أن كلمة «المسيا» ترد نبويًّا في (دانيال ٩: ٢٥ – ٢٦) فقط. وفيما عدا ذلك، تشير الكلمة إلى أناس «ممسوحين» لأغراض معينة كما في (١ صموئيل ٢٤: ١٠) و(إشعياء ٤٥: ١) و(مراثي إرميا ٤: ٢٠) و(حبقوق٣ : ١٣) و(زكريا ٤: ١٤). تدل قصة كورش «الممسوح» على خمسة مبادئ مسياوية:

- أُختير من قبل الله بصورةٍ خاصة (إشعياء ٤١: ٢٥).
- عُيِّن كي يتمِّم قصدَ الله بالخلاص نحو شعبه (إشعياء ٤٥: ١١ – ١٣).
- عُيِّن كي ينفِّذ قضاءَ الله (إشعياء ٤٧).
- أُعطي السيادة على الأمم (إشعياء ٤٥: ١ – ٣).

- كان الله هو الفاعل الحقيقي في كل ما قام به من أعمال (إشعياء ٤٥: ١ – ٧).

يحتوي العهدُ القديمُ على ثلاث مجموعات مميَّزة من الأشخاص الممسوحين لمناصب معينة وخدمات معينة:

- الكهنة (لاويين ٤: ٣).
- الملوك (١ ملوك ١٩: ١٥ – ١٦).
- الأنبياء (١ ملوك ١٩: ١٦).

هذه المناصب الثلاثة «الممسوحة» مهدت الطريق «للممسوح» الذي سيكون «النبي» و«الكاهن» و«الملك»، الذي سيختاره اللهُ ويمسحه كي يدخل العصر المسياوي الموعود.

يسوع المسيا

غالبًا ما يفكر مؤمنو العصر الحديث في كلمة «المسيح» كاسم إضافي لـ«يسوع». وهو بالنسبة لهم «يسوع المسيح» على غرار «جون وايت» أو «جانيت براون». لكن كلمة «المسيح» هي لقب وليست اسمًا. فهو «المسيح يسوع» أو «يسوع المسيح» على غرار «الدكتور بلاك» أو «جونز الجزار».

لو أردنا أن نفهم أهمية هذا اللقب، فسيكون من المفيد ذهنيًّا أن نستبدل كلمة «المسيح» أينما نقابلها بكلمة «الممسوح». يمكننا أن نفعل ذلك في نصوص مثل (متى ١: ١٨ و١٦: ١٦، ٢٠ و٢٦: ٦٣ و٢٧: ٢٢) و(مرقس ٨: ٢٩ و١٤: ٦١) و(لوقا ٢: ١١، ٢٦ و٩ : ٢٠ و٢٢: ٦٧) و(يوحنا ٤: ٢٩ و٧: ٢٦ – ٣١، ٤٠ – ٤٢ و٩: ٢٢ و١٠: ٢٤) و(أعمال الرسل ٢: ٣٦ و٣: ٢٠ و٤: ٢٦ و٥: ٤٢ و٩: ٢٢ و١٧: ٣ و١٨: ٢٨ و٢٦: ٢٣).

يدل (أعمال الرسل ١٠: ٣٨) و(لوقا ٤: ١٨) على أن يسوع مُسح علنيًّا كالمسيا عند عماده. لكن يسوع نادرًا ما استخدم هذا اللقب وذلك ربما لأن اليهود كانوا سيفهمون خطأً أنه مخلِّص سياسي.

ومع ذلك قَبِل يسوعُ هذا اللقب عندما اعترف بطرس أنه المسيا في (مرقس ٨: ٢٧ – ٣٠)، لكنه طلب من تلاميذه ألا يقولوا لأحد. كما اعترف أنه المسيا عندما سأله رئيسُ الكهنة في (مرقس ١٤: ٦١ – ٦٤) إن كان هو المسيح أم لا.

مثل هذا الاعتراف قاد يسوعَ إلى الموت الذي سريعًا ما حوَّله اللهُ إلى قيامة من بين الأموات وتمجيد في الأعالي وإعلان يسوع المصلوب «ربًّا ومسيا». نرى ذلك في (أعمال الرسل ٢: ٣٦) و(رومية ١: ٤).

كان يسوع «نبيًّا» و«كاهنًا» و«ملكًا» مختلفًا عما توقعه اليهودُ. اعتقد اليهودُ أن المسيح سيكون حاكمًا آخر مقتدرًا مثل داود الممسوح. وقد أعلن الصوتُ الإلهي عند معمودية يسوع في (مرقس ١: ١١) أن يسوع هو الابن المسياوي الذي يتحدث عنه (مزمور ٢). لكنه أوضح سريعًا ـ عندما أضاف كلمات (إشعياء ٤٢: ١) ـ أن مسحة يسوع ستظهر من خلال معاناة الخدمة كما من خلال الحكم الملكي.

الكنيسة الأولى

كانت الكنيسة الأولى تشير إلى يسوع بلقب «المسيح» باستمرار. وكان هذا هو المحتوى الرئيسي لوعظهم وخاصةً ذلك الموجَّه إلى اليهود. نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال الرسل ٣: ١٦ – ١٨ و٤: ١٠، ٢٦ و٥: ٤٢ و٨: ٥،

١٢ و٩: ٢٠ – ٢٢ و١٠: ٣٦ – ٣٨ و١١: ١٧ و١٧: ٣ و١٨: ٥ و٢٤: ٢٤ و٢٨: ٣١).

يوضح (أعمال الرسل ٩: ٢٠ – ٢٢) أن إدراك بولس لحقيقة أن يسوع هو المسيا كان هو العامل الأساسي في تحوُّله إلى الإيمان. ونجده يدعو يسوع بالمسيح في كل رسائله.

كان بولس كيهودي متعلم لديه نفس التوقعات اليهودية الشائعة عن أن المسيا سيكون مخلِّصًا سياسيًّا، لذا كان موت يسوع دليلاً على أنه ليس هو المسيح المنتظر.

لكن القيامة بالنسبة لبولس غيَّرت كلَّ شيء؛ فقد أثبتت أن يسوع هو مسيح الله وأوضحت أنه أتى كي يبدأ ملكوتًا روحيًّا مفتوحًا للجميع وليس ملكوتًا ماديًّا مفتوحًا لليهود فقط.

كان بطرس هو أول تلميذ يدرك أن يسوع هو المسيح. لذلك ليس من المستغرب أن يتحدث كثيرًا عن مسحة يسوع في عظته في سفر أعمال الرسل، وكذلك في رسالتيه. توضح نصوص مثل (١ بطرس ١: ٣، ١١، ١٩ و٢: ٢١ – ٢٥ و٣: ١٨ – ٢١ و٤: ١، ١٣ و٥: ١) أن الكنيسة الأولى أعلنت أن يسوع هو المسيا الذي هو في الوقت نفسه الخادم المتألم والرب المقام الذي انتصر على الموت. وفي هذا تكرار للإعلان السماوي الذي أعطاه الآب عند معمودية يسوع.

ابن داود

يرتبط لقب «ابن داود» ارتباطًا وثيقًا بلقب «المسيح»؛ وذلك لأن العهد

القديم يوضح أن المسيا سيكون من ناحية الجسد مَلكًا من نسل داود. نرى ذلك على سبيل المثال في (٢صموئيل ٧: ١٦) و(إرميا ٣٠: ٩ و٣٣: ١٥) و(حزقيال ٣٤: ٢٣ – ٣١ و٣٧ : ٢٤) و(هوشع ٣ : ٥).

يُرجع كلٌّ من متى ولوقا نسبَ يسوع إلى داود في سلسلة النسب التي ترد في بشارة كلٍّ منهما وذلك لإثبات أحقيته في أن يكون هو المسيح. كما يعلن (لوقا ١: ٣٢ و٦٩) نبويًّا أن يسوع هو ابن داود المنتظر.

يدعو الناسُ يسوعَ «ابن داود» في (متى ٩: ٢٧ و١٢: ٢٣ و١٥: ٢٢ و٢١: ١٥). توضح هذه النصوصُ أن المعجزات جعلت الشعبَ يأمل في أن يكون يسوع قويًّا بما فيه الكفاية حتى يكون المخلِّص القادم. لكن لا يبدو أن الشعب عرف أنه المسيا.

لم يُعرِّف يسوعُ نفسَه علنيًّا بأنه «ابن داود» ولا حتى في (متى ٢٢: ٤١ – ٤٦). وبالمثل، لم يرفض هذا اللقبَ عندما ناداه الناسُ به.

عندما كانت الكنيسة الأولى تعظ اليهودَ، كان من المهم أن تؤكد على أوراق اعتماد يسوع كالمسيا وذلك بإعلان أنه من نسل داود. نرى ذلك على سبيل المثال في (أعمال الرسل ١٣: ١٦ – ٢٣) و(رومية ١: ٣) و(٢ تيموثاوس ٢: ٨).

أثبت هذا «النسب البشري» أن يسوع مؤهلٌ من الناحية البشرية أن يتمِّم وعودَ عهد الله لداود وأن يملك كملكٍ بشري يتمتع بسلطة ملكية. يؤكد (رؤيا ٣: ٧ و٥: ٥ و٢٢: ١٦) على هذه الحقيقة.

الخادم

رأينا أن الصوت السماوي عند معمودية يسوع أعلن أنه الحاكم الممسوح الذي يتحدث عنه (مزمور ٢) والذي سيحقق بركات عهد داود وهو أيضًا الخادم المتألم المحبوب الذي يتحدث عنه إشعياء. وهذا يعني أن فهمنا ليسوع باعتباره «المسيح» يجب أن يتضمن كلاًّ من السلطة الملكية «لابن داود» والخدمة المضحية «لخادم الله».

لم يستخدم يسوعُ أبدًا لقبَ «خادم الله» كما لم تُعطِه أيٌّ من البشائر هذا اللقبَ. ومع ذلك، من الواضح أن البشائر اعتبرته ذلك الشخص المميَّز الذي يشير إليه إشعياء في أربع «ترانيم الخادم» الواردة في (إشعياء ٤٢: ١ – ٤ و٤٩: ١ – ٦ و٥٠: ٤ – ٩ و٥٢: ١٣ – ٥٣: ١٢).

تنبَّأ إشعياءُ أن الله سيدعو هذا الخادمَ ويعطيه روحَه، وأنه سيستعيد إسرائيلَ ويؤسِّس العدلَ ويعمل في كل الأمم معلِّمًا قضاءَه بينهم. لكنه سيتألم نيابةً عنا حتى يحقق مقصدَه هذا.

يوضح (أعمال الرسل ٣: ١٣، ٢٦ و٤: ٢٧ – ٣٠) أن الكنيسة الأولى كانت تعتبر أن يسوعَ هو هذا الخادم المتألم. وهناك العديد من العبارات الواردة في الترانيم الأربع عن الخادم مُطبَّقة على المسيح كما نرى على سبيل المثال في (متى ٨: ١٧ و١٢: ١٨ – ٢١ و٢٠: ٢٨) و(مرقس ٩: ١٢ و١٠: ٤٥) و(لوقا ٢٢: ٣٧) و(رومية ٤: ٢٥ و٨: ٣٢ – ٣٤) و(عبرانيين ٩: ٢٨) و(١ بطرس ١: ١٠ – ١١ و٢: ٢١ – ٢٥ و٣: ١٨).

تنعكس فكرة أن يسوع هو خادم الله المتألم في بعض الأسماء والألقاب

الأخرى. هناك على سبيل المثال الألقاب الوصفية مثل «حمل الله» و«المختار» و«الحبيب» و«البار» – وهذه كلها مأخوذة من ترانيم الخادم.

ابن الانسان

تسجل البشائرُ أن يسوع عادةً كان يصف نفسه بأنه «ابن الإنسان». لكن من المدهش أنها لا تسجِّل أن أي شخصٍ آخر وصفه بهذا اللقب. كما لا يرد هذا اللقب في أي مكان آخر من العهد الجديد.

علماء الكتاب المقدس غير متأكدين من معنى هذا اللقب، ولا يعرفون من أين أتى. يستخدم سفر حزقيال هذا اللقب تسعًا وثلاثين مرة كلقب يُخاطب به نبيًّا من البشر. لذلك يعتقد البعض أن هذا اللقب يدل على أن يسوع كان يقول إنه ممثلٌ عن البشر. وآخرون يصرُّون على أن اللقب يوضح أن يسوع يعتبر نفسَه الممثل عن البشر. بينما هناك مجموعة ثالثة تعتقد أنه يشير إلى (مزمور ٨: ٤ – ٨) أو إلى الشخص الأخروي المذكور في (دانيال ٧: ١٣ – ١٤).

لكن يمكننا فهم المعنى الحقيقي لهذا اللقب عندما نستوعب كيف استخدمه يسوع. يبدو أن يسوع استخدم لقب «ابن الإنسان» بثلاث طرق متمايزة:

١ ـ ليشير إلى عمل ابن الإنسان على الأرض:

- سلطانه (مرقس ٢: ١٠، ٢٨) و(يوحنا ٩: ٣٥ – ٣٩).
- أسلوب حياته (متى ٨: ٢٠ و١١: ١٩).
- أهميته (متى ١٢: ٣٢).
- خدمته (متى ١٣: ٣٧) و(لوقا ١٩: ١٠ و٢٢: ٤٨) و(يوحنا ٦: ٢٧).

٢ ـ ليشير إلى آلام ابن الإنسان:

- كي يتنبأ بموته (مرقس ٨: ٣١ و٩: ٩، ١٢، ٣١ و١٠: ٣٣) و(لوقا ١١: ٣٠) و(يوحنا ٨: ٢٨ و١٢: ٢٣ – ٢٤).
- كي يوضِّح أهمية موته (مرقس ١٠: ٤٥) و(يوحنا ٣: ١٣ – ١٤ و٦: ٥٣).
- كي يتنبأ بخيانته (مرقس ١٤: ٢١، ٤١).

٣ ـ ليشير إلى العمل والتمجيد المستقبلي لابن الإنسان:

- كي يصف عودته (متى ٢٤: ٣٧ – ٣٩، ٤٤) و(مرقس ٨: ٣٨ و١٣: ٢٦ و١٤: ٦٢) و(لوقا ١٧: ٢٢ – ٣٠ و١٨: ٨).
- كي يعلن عن عمله (متى ١٣: ٤١) و(لوقا ١٢: ٨) و(يوحنا ١: ٥١ و٥: ٢٧ – ٣٠).
- كي يوضح مجده (متى ١٩: ٢٨ و٢٥: ٣١) و(لوقا ٢١: ٣٦).

من الواضح أن الاستخدام الثالث يرتبط بما ورد في (دانيال ٧: ١٣ – ١٤) وأن الاستخدامين الأول والثاني يرتبطان بما ورد في إشعياء عن الخادم المتألم.

وهذا يدل على أنه كما يلخص لقب «المسيح» كلاًّ من جلال «ابن داود» وتواضع «الخادم»، هكذا يجمع لقبُ «ابن الإنسان» بين مجد الشخص النبوي الذي يتحدث عنه دانيال وتضحية الخادم المتألم الذي يتحدث عنه إشعياء. يتضح هذا الجمع بصورة خاصة في (مرقس ١٠: ٤٥).

عندما نلقي نظرةً عامةً على الطريقة التي يستخدم بها يسوعُ هذا اللقبَ، يمكننا أن نرى أنه يعبِّر عن ثلاثة جوانب متكاملة من شخصه:

- سلطانه المتفرِّد – لمغفرة الخطايا ومراقبة السبت والاشتراك في الدينونة والاعتراف بالناس أمام الله.
- تواضعه المتفرِّد – تألم يسوع على يد الآخرين ولم يكن له مكان يعيش فيه. كما لم يتمتع بأية مميزات مادية من وراء لقبه وكان يتوقع من تابعيه أن يفعلوا هكذا.
- مجده المتفرِّد – غالبًا ما تحدَّث يسوع عن المجد بالارتباط بالمجيء المستقبلي لابن الإنسان. وأعلن أن آلامه إنما هي طريق أكيد نحو المجد المستقبلي. يوضح (يوحنا ١: ٥١ و٣: ١٣ و٦: ٦٢) أن هذا المجد لن يكون تجربةً جديدةً، حيث هو حق يمتلكه.

من المدهش أن لقب «ابن الإنسان» لا يرد خارج البشائر إلا أربع مرات فقط:

- يستخدمه استفانوس في (أعمال الرسل ٧: ٥٦) عند موته كي يؤكد على مجد الابن الذي صعد وعلى مكانته السماوية الممجدة.
- يقتبس (عبرانيين ٢: ٦ – ٨) ما ورد في (مزمور ٨: ٤ – ٦) كجزء من إعلانه العام عن حقيقة أن إنسانية يسوع هي صفة أساسية من عمله كرئيس كهنة.
- يستخدم (رؤيا ١: ١٣ و١٤: ١٤) هذا اللقبَ بطريقةٍ مشابهةٍ لما ورد في (دانيال ٧: ١٣ – ١٤) كي يصف شخصًا سماويًّا يظهر في هيئةٍ إنسانيةٍ.

يسوع الإنسان:

رأينا أن العهد الجديد يشير إلى كمال إنسانية يسوع وذلك عن طريق تسجيل مجموعة من الحقائق الصغيرة والتفاصيل العرضية وكذلك عن طريق وصفه بـ«المسيح» و«ابن الإنسان».

يكمِّل كلٌّ من هذين اللقبين أحداهما الآخر. يمكننا ـ بصفة عامة ـ أن نقول إن لقب «المسيح» يشير في الأساس إلى من هو يسوع باعتباره الابن (الممسوح، الحبيب، المختار، النبي المنتظر، الكاهن والملك وهكذا) وأن لقب «ابن الإنسان» يشير إلى ما يفعله باعتباره الابن (يأتي من السماء ويغفر ويشفي ويتألم ويموت ويدين ويرجع إلى السماء ويعود بالمجد وهكذا).

بينما ننتقل للتأمل في لاهوت المسيح الكامل ونرى كيف يمكننا أن نعرفه بصورةٍ شخصيةٍ (وليست افتراضية)، علينا ألا ننسى أنه إنسانٌ كاملٌ، وأنه ـ في الأساس ـ قد واجه كلَّ مشكلة وتجربة علينا نحن أن نواجهها.

عندما نستجيب لدعوة يسوع بأن «نتبعه»، فعلينا أن نثق أنه لا يدعونا إلى أن نتبعه في مكان لم يذهب إليه أو إلى فعل شيء لم يفعله أو إلى قول شيء لم يقُله أو إلى تحمُّل شيء لم يتحمله أو إلى مواجهة شيء لم يواجهه.

الجزء الثاني

الابن كامل اللاهوت

رأينا أن العهد الجديد يصف يسوعَ كإنسانٍ حقيقي؛ حيث يسجِّل أنه وُلِد بالطريقة الإنسانية العادية وأنه عاش وتنفس ومات مثل كل الناس الآخرين، وأنه اختبر الألَمَ والضغطَ والجوعَ والتعبَ والفرحَ والحزنَ والتجارب بنفس الطريقة التي نختبر نحن بها هذه الأشياء اليوم.

لكن الكتاب المقدس يؤكد أيضًا على أن يسوع كان أكثر من إنسان كامل بلا خطية؛ حيث يعلن أنه إلهٌ كاملٌ وإنسانٌ كاملٌ؛ أي الله في جسد بشري.

تعلن بشارة يوحنا إلوهية يسوع بوضوح خاص؛ حيث تتحدث عنه في الأساس باعتباره «كلمة الله» اللوجوس التي هو الإعلان الذاتي الشخصي عن الله. وكذلك بتسجيل سلسلةٍ من تصريحات «أنا» التي يوحد فيها يسوع نفسه مع يهوه الذي هو «أهية الذي أهيه».

رأينا أن اثنين من أكثر أسماء وألقاب يسوع شيوعًا تركِّز أيضًا على إلوهيته. يتحدث كلُّ العهد الجديد عن يسوع باعتباره «ابن الله». كما تصرخ كل الأسفار السبعة والعشرين تلك الصرخة العظيمة معلنةً أن «يسوع ربٌّ». عندما ننظر إلى هذه العبارات الأربع معًا، سنبدأ في تقدير إلوهية الابن الكاملة.

اللوجوس:

نتناول «لوجوس الله» أي «كلمة الله» ببعض التفصيل في كتابي «الإيمان الحي» و«الاستماع إلى الله». ونرى أن اللوجوس يشير إلى الإعلان الذاتي الكامل عن الله. نفهم من هذين الكتابين من سلسلة «سيف الروح» أن الله يعلن عن نفسه بصورةٍ كاملةٍ من خلال الأسفار المقدسة (اللوجوس المكتوب) والابن (اللوجوس الشخصي).

إن كلمة «لوجوس» اليونانية هي واحدةٌ من أكثر الكلمات تميُّزًا في بشارة يوحنا. تشير الكلمةُ في بعض الأحيان إلى رسالة يسوع، وفي أحيان أخرى، إلى يسوع نفسه. لكنها تعني دائمًا شيئًا أكثر من مجرد الكلمات المنطوقة. يوضح (يوحنا ٥: ٢٤ و٨: ٣١، ٥١) على سبيل المثال، أن لوجوس الله يحتاج إلى أن يُسمع ويُفهم بطريقةٍ صحيحةٍ حتى نقدِّر جانب «الإعلان الذاتي» الأعمق الذي يتمتع به.

تبدأ بشارة يوحنا «بسلسلة النسب الإلهية» في (يوحنا ١: ١ – ١٨)، موضِّحةً أن يسوع الإنسان الكامل هو أيضًا كلمة الله الأزلي الأبدي والإعلان الكامل عن الله.

نرى في كتاب «الإيمان الحي» فكرة أن كلمة الله راسخةٌ تمامًا في العهد القديم. يعلن العهد القديم على سبيل المثال أن كلمة الله:

- خلق العالم وحفظه (تكوين ١) و(مزمور ٣٣: ٦ – ٩ و١٤٧: ١٥ – ١٨ و١٤٨: ٨).
- له قوة إلهية وسلطان إلهي (مزمور ١٤٧: ١٥) و(إشعياء ٥٥: ١١) و(هوشع ٦: ٥).
- يعلن عن أفكار الله واهتماماته ومقاصده (مزمور ١١٩: ٩، ١٠٥) و(إرميا ٢٠: ٩) و(حزقيال ٣٣: ٧).
- متوحد تمامًا مع حكمة الله (أيوب ٢٨: ١٢ – ٢٧) و(أمثال ٨: ١ – ٩، ١٢).

بتعريفها ليسوع من البداية بأنه اللوجوس، تعلن بشارة يوحنا بصورةٍ ضمنيةٍ أن يسوع كان مشتركًا في الخلق وكان ممنوحًا قوة إلهية وأنه إعلان الله وأنه متوحِّد تمامًا مع حكمة الله. تتطور كلُّ هذه الأفكار بعد ذلك خلال البشارة.

تعطينا مقدمة بشارة يوحنا سلسلةً كاملةً من المبادئ التي تتوسع فيها البشارة بعد ذلك (مثل النور والحياة والحق والمجد والعالم). لكن البشارة تحتوي على ثلاث أفكار أساسية عن يسوع توضِّح الصفات الرئيسية للابن باعتباره اللوجوس.

علاقته مع الآب

يكرر (يوحنا ١: ١ – ٢) ما ورد في (تكوين ١: ١) ويعلن عن وجود الابن السابق. يعلن يوحنا ببساطة أن اللوجوس كان مع الله وأنه الله. وهذا يؤكد على إلوهية الابن دون أن يشوِّش التمايز بين الصفة الشخصية للابن والصفة الشخصية للآب.

يعلن (يوحنا ١: ١ – ٢) أن اللوجوس له طبيعة الله وأن «اللوجوس» و«الله» ليسا مصطلحين يمكن أن يحل كلٌّ منهما محلَّ الآخر. وعلى الرغم من أن الكلمة هو الله، إلا أن الله أكثر من الكلمة.

علاقته مع العالم

يشير (يوحنا ١: ٣) و(كولوسي ١: ١٥) إلى علاقة الابن مع العالم. تتطور هذه الفكرة على مدار بشارة يوحنا ونتناولها بالتفصيل في كتاب «الوصول للتائهين». علينا أن ندرك أن يوحنا لا يفرِّق بين قوة خلق الابن وقوة خلق الله، لكنه يفرِّق بين الابن والخليقة. وهذا يعني أن الكلمة لم يُخلق بل كان موجودًا دائمًا مع الله.

علاقته بالبشرية

يشرح (يوحنا ١: ١٤) أن اللوجوس الإلهي صار في هيئة جسد بشري وحل بين البشر. نرى في كتاب «Salvation by Grace» أن هذا يعني أن الله «نصب خيمته» في البشرية وأنه يشير مباشرةً إلى خيمة الاجتماع في العهد القديم.

كما يوضح أن إعلان يوحنا عن أن الابن هو الكلمة الأبدي لا يلغي إنسانيةَ يسوع. لكنه يضعه في التاريخ كإنسان من لحم ودم وكشخص إلهي له علاقة ثابتة وأبدية مع الله.

«أنا»:

تستخدم بشارة يوحنا الضمير الشخصي «أنا» أكثر من أي جزء آخر من أجزاء الكتاب المقدس. يضيف استخدامُ هذا الضمير كرامةً وسلطانًا ليسوع ولكلماته. يستخدم يوحنا الكلمةَ اليونانيةَ «ego» أي «أنا» ١٣٤ مرة (في حين يستخدمها متى ٢٩ مرة، ومرقس ١٧ مرة، ولوقا ٢٣ مرة) وذلك كي يجذب الانتباهَ إلى الابن ولكي يجهز أذهاننا لاستخدام الضمير الشخصي المشدد «ego eimi» أي «أنا هو». ويبدو أن يوحنا يستخدم مثلَ هذا الضمير المشدد كي يؤكد على إلوهية يسوع الكاملة.

العبارات التي يستخدم فيها يسوعُ الضميرَ الشخصي المشدد «أنا هو» هي عبارات مهمة؛ لأن هذا الضمير يُستخدَم في العهد القديم كاسمٍ شخصيٍّ لله. نرى في كتاب «معرفة الآب» أن الله يقدم نفسه لموسى في (خروج ٣: ١٤) كيهوه «أهيه الذي أهيه». وقد أضفى هذا الاسم بالنسبة لليهود دلالةً إلهيةً على الضمير الشخصي المشدد.

يسجل يوحنا سبع عبارات يستخدم فيها يسوع الضمير «ego eimi» كي يصف نفسه:

- «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ» (يوحنا ٦: ٣٥).
- «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يوحنا ٨: ١٢).
- «أَنَا بَابُ الْخِرَافِ» (يوحنا ١٠: ٧).
- «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ» (يوحنا ١٠: ١١).
- «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١١: ٢٥).
- «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١٤: ٦).
- «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ» (يوحنا ١٥ : ١).

تكشف عبارة «أنا هو» في كل مرة عن وظيفة مختلفة من وظائف يسوع الإلهية، فهو يقوت وينير ويُدخل ويحفظ مضحِّيًا ويعطي حياةً جديدةً ويُرشِد ويجعلنا مثمرين. كل هذه إعلانات مذهلة وردت أولاً في مقدمة بشارة يوحنا. ومن خلال هذه العبارات السبع جعل يسوع تلك الحقائق التي وردت نظريًّا في المقدمة حقائق منطبقة عليه بصورة شخصية؛ حيث أعلن أنه التجسيد الإلهي لكل ما يريده الناس ويطلبونه.

يقول بعض القادة إن عبارة «أنا هو» هي مجرد تعريف ذاتي مشدَّد. بينما يرى آخرون أنها عبارة موازية لعبارة «يشبه ملكوت الله». لكن (يوحنا ٦: ٢٠ و٨: ٢٤، ٥٨ و١٣: ١٩ و١٨: ٥) يدحض هذين الاقتراحين.

يُسأل يسوع في (يوحنا ٨: ٥٧ – ٥٨) عما إذا كان قد رأى إبراهيم. واعتقد سائلوه أن إجابته بها تجديف فأخذوا حجارةً كي يرجموه. اعتقد هؤلاء أن يسوع يدَّعي أنه الأنا الإلهية الواردة في (خروج ٣: ١٤) و(تثنية ٣٢: ٣٩)

و(إشعياء ٤٣: ١٠ و٤٦: ٤). كذلك يؤكد رد فعل الجموع في (يوحنا ١٨: ٥ – ٦) على الدلالة الإلهية لإعلان يسوع المتكرر عن كونه «أنا هو» العظيم.

يجب أن تشكل قوة استخدام يسوع للضمير الشخصي «ego eimi» في (يوحنا ٨: ٢٤، ٥٨ و١٣: ١٩) فهمنا لعبارات «أنا هو» السبع. يمكننا قول إن هذه العبارات تعلن صفات ووظائف يسوع الإلهية. كما توضح جوانب مهمة لطبيعة الابن الإلهية.

الرب:

للكلمة اليونانية «kurios» أي «رب» استخدامات عديدة في العهد الجديد. تعبِّر الكلمة على سبيل المثال عن الاحترام العام. كما تُستخدَم كلقب للأعلى مقامًا من قبيل الاحترام وكذلك لمخاطبة الإمبراطور الروماني أو إله وثني.

لكن للكلمة معنى خاص بالنسبة لليهود؛ حيث إنها هي المقابل اليوناني للكلمة العبرية «أدوناي» التي هي أحد الأسماء الجذرية لله والتي كانت شائعة الاستخدام بدلاً من «يهوه».

ينعكس هذا الاستخدامُ الواسع للكلمة في العهد الجديد: تستخدم كلمة «رب» في بعض الأحيان كمجرد لقب بشري يعبِّر عن الاحترام (مثل كلمة «سيدي») لكنها تُستخدَم أكثر كلقب إلهي يؤكد على الطبيعة الإلهية للابن باعتباره «أدوناي».

الرب المقام

اعتقد كثيرون من قادة الكنيسة على مدار العصور أن يسوع عُرف بـ«ho kurios» أي «الرب» فقط بعد (وبسبب) قيامته. تنعكس هذه الحقيقة بوضوح

في بشارة مرقس، حيث نقرأ عن امرأة واحدة فقط خاطبت يسوع بلقب «kurios» قبل القيامة وهي المرأة الفينيقية السورية في (مرقس ٧: ٢٨). وقد استخدمت هذا اللقب؛ لأنها امرأة أممية تخاطب رجلاً يهوديًّا غريبًا.

أما في باقي البشارة، فلا يستخدم مرقس كلمة «kurios» هذا في حين أنها ترد في البشائر الأخرى. على سبيل المثال (متى ٨: ٢) و(مرقس ١: ٤٠) و(متى ٨: ٢٥) و(مرقس ٤: ٣٩) و(متى ٢٦: ٢٢) و(مرقس ١٤: ١٩). لكنه يعلن فجأة بعد هذا الصمت في (مرقس ١٦: ١٩ – ٢٠) أن الابن المقام هو الآن «الرب».

يتكرر الربط بين «الرب» والقيامة في (لوقا ٢٤: ٣٤)، حيث يبدو أن لوقا يشرح هنا استخدامه المتكرر للكلمة في كل بشارته كما في (لوقا ٧: ١٣ و١٠: ١، ٣٩ و١١: ٣٩ و١٢: ٤٢ و١٣: ١٥ و١٧: ٥ – ٦ و١٨: ٦ و١٩: ٨ و٢٢: ٦١ و٢٤: ٣٤) على سبيل المثال.

يمهد لوقا الطريقَ لربوبية يسوع الإلهية في قصة الميلاد حيث يصف اللهَ بالرب دائمًا كما في (لوقا ١: ٩، ١١، ١٥، ٢٥، ٣٢، ٣٨، ٤٥، ٤٦، ٥٨، ٦٦، ٦٨، ٧٦ و٢: ٩، ٢، ٢٣، ٢٤، ٢٩، ٣٩). يمكننا القول إنه إذا كانت كلمة «الرب» تعني «الله» في بداية بشارة لوقا، فهي بكل تأكيد تعني «الله» في كل البشارة عندما يستخدمها لوقا لوصف الابن.

وعليه يمكننا القول إن تحديد الملاك لهوية المخلِّص في (لوقا ٢: ١١) يعبِّر عن الربوبية الإلهية. وهذا يدل على أن «المسيح الرب» هي العبارة الكتابية التي تلخِّص ببراعة إنسانيةَ الابن الكاملة ولاهوته الكامل.

تتبع بشارةُ يوحنا النمطَ الأساسي في تعريف يسوع «بالرب» بعد قيامته. يستخدم يوحنا «ho kurios» ثلاث مرات فقط في الأصحاحات التسعة عشر الأولى. لكنه يصبح فجأة الاسم الشائع للابن في الأصحاحين ٢٠ و٢١. ومن المدهش أنه يرتبط بوضوح بالله في اعتراف توما بإيمانه في (يوحنا ٢٠: ٢٨) والذي يمثل الذروة الدرامية والأدبية للبشارة.

في كل سفر أعمال الرسل، يخاطب التلاميذُ الابنَ المقام بلقب «الرب» كما في (أعمال الرسل ١: ٦، ٢٤ و٤: ٢٩ و٩: ٥ و١٠: ٤، ١٤ و٢٢: ٨، ١٩). ويلقبونه كذلك بـ«الرب يسوع» و«الرب يسوع المسيح» كما في (أعمال الرسل ١: ٢١ و٤: ٣٣ و٧: ٥٩ و٨: ١٦ و١١: ١٧، ٢٠ و١٥: ١١، ٢٦ و٢٠: ٢١، ٢٤، ٣٥ و٢٨: ٣١). توضح هذه النصوص أن المسيحيين الأوائل كانوا مقتنعين أن القيامة هي دليل إلوهية يسوع.

وصلت العظة الأولى في عصر الكنيسة إلى ذروتها في (أعمال الرسل ٢: ٣٦) عندما أعلن بطرسُ أن «اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا». كما توضح كلمات بطرس في (أعمال الرسل ٢: ٢٠ – ٢١، ٣٤ – ٣٥) أن هذا الإعلان عن ربوبية يسوع الإلهية هو إعلانٌ قائمٌ على خلفية العهد القديم بأن «رب» تعنى إلهي.

إن ربط بطرس في عظته التبشيرية الأولى بين ربوبية يسوع الإلهية ومسياويته البشرية هو ربط مهم وحيوي جدًّا لفهمنا واختبارنا وإعلاننا لشخص الابن. يمكننا في الواقع أن نقول إن معرفة يسوع «كالرب والمسيح» هي المفتاح الأساسي لمعرفة الابن في كامل طبيعتيه البشرية والإلهية.

توضح أجزاء أخرى من سفر أعمال الرسل مثل (٩: ٤ – ١٧ و١٠: ٣٦) أن

ربوبية يسوع تعني سلطانًا وسيادةً إلهية مطلقة؛ فهو إما «رب الكل» أو «ليس ربًّا على الإطلاق».

الكنيسة الأولى:

تعلن كل رسائل بولس أن «يسوع رب». وتوضح أجزاء مثل (رومية ١٠: ٩) أن هذا الإعلان إنما يشير في الأساس إلى قيامته. الابن هو «رب الكل»؛ لأنه هزم الموتَ وأقامه الله إلى مقامه الممجَّد جدًّا. القيامة والربوبية ببساطة لا ينفصلان عن بعضهما البعض؛ وذلك لأن الإيمان بالقيامة هو أساس الاعتراف بربوبية المسيح.

يعلن بولس أن يسوع هو رب في (رومية ١٠: ١٢) و(١كورنثوس ١٢: ٣) و(فيلبي ٢: ١١) على سبيل المثال. تربط هذه النصوص بين الاعتراف الحالي بربوبية المسيح من قِبَل المسيحيين ومشهد الاعتراف العالمي بهذه الربوبية في المستقبل.

يوضح بولس في (٢كورنثوس ٤: ٥) أن ربوبية الابن هي أساس وعظه التبشيري. وهذا يدل على أن أي وعظ حالٍ لا يعلن سلطانَ يسوع المطلق وسيادته الكاملة هو وعظ لا يتفق مع الإعلان الكتابي عن الابن.

تؤكد كلُّ أسفار العهد الجديد تقريبًا على أن يسوع هو رب. على سبيل المثال (رومية ٤: ٢٤) و(١كورنثوس ٦: ١٤) و(٢كورنثوس ١: ١٤) و(غلاطية ٦: ١٤) و(أفسس ٦: ٢٣ – ٢٤) و(فيلبي ٢: ١١) و(كولوسي ٢: ٦) و(١ تسالونيكي ٥: ٩) و(٢تسالونيكي ١: ٨) و(١ تيموثاوس ١: ١ – ٢) و(٢ تيموثاوس ١: ٢) و(تيطس ١: ٤) و(فيلمون ١: ٣) و(عبرانيين ١٣: ٢٠)

و(يعقوب ١: ١) و(١ بطرس ١: ٣) و(٢بطرس ٣: ١٨) و(٢ يوحنا ١: ٣) و(يهوذا ١: ١٧) و(رؤيا ١١: ٨).

عندما نُلقي نظرةً عامةً على الطريقة التي يعلن بها العهدُ الجديد عن ربوبية يسوع، يمكننا القول إنه يستخدم هذا اللقب الخاص:

- لكي يؤكد على قيامة الابن ولكي يرمز إلى انتصاره على الموت.
- لكي يدلل على أن الابن له لاهوت كامل وأنه يقوم بنفس أعمال الله.
- لكي يؤكد على سلطة يسوع المطلقة وسيادته الكاملة على كل جانب من جوانب الحياة والإيمان.

ابن الله:

اللقب الأساسي الرابع الذي يستخدمه العهد الجديد ليشير إلى إلوهية يسوع بأقصى وضوح هو «ابن الله». يدل هذا اللقب على أننا لو أردنا أن نعرف الابن بصورة دقيقة، فعلينا أن نعرفه من خلال علاقته المتفردة مع الآب.

وكما هو الحال مع كل الإعلانات الكتابية، علينا أن نحاول فهم حقيقة «ابن الله» في سياقها الكتابي. يمهد العهد القديم لاستخدام هذا اللقب وذلك باستخدامه لفكرة البنوية بالعديد من الطرق المختلفة. على سبيل المثال:

- يُوصف الملائكة بأنهم «أبناء الله» مما يدل على طبيعتهم الروحية (تكوين ٦: ١ – ٤) و(أيوب ١: ٦ و٢ : ١).
- يُعرف آدم بأنه ابن الله مما يدل أيضًا على طبيعته الروحية (لوقا ٣: ٣٨).
- كان الإسرائيليون كجماعةٍ يُدعَون أبناء الله وذلك لتمييزهم عن

الأمم المحيطة بهم (تثنية ١٤: ١ – ٢) و(إرميا ٣: ١٩ – ٢٠) و(هوشع ١: ١٠).

- إسرائيل ككل كانت تُدعى «ابني» وذلك لإعلان علاقة «الأب – الابن» الخاصة التي يتمتع بها الشعب مع الله (هوشع ١١: ١).
- كان ملك إسرائيل الممسوح هو ابن الله الخاص (٢صموئيل ٧: ١٤) و(مزمور ٢: ٧).

بالنظر إلى هذه الاستخدامات في العهد القديم، ادَّعى البعضُ أن يسوع لم يستخدم لقب «ابن الله» في الأصل بالطريقة التي يدَّعيها المسيحيون. لكن كما سنرى، يشير هذا اللقب إلى تفرُّد يسوع وإلى أنه الله الظاهر في الجسد.

من الجدير بالذكر هنا أن العلاقة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثاني تُعلَن كعلاقةٍ بين الآب والابن. وسنرى في الجزء السابع أن المقصود من إعلان العلاقة بهذه الطريقة هو التأكيد على:

- أن الآب والابن يشتركان في نفس الطبيعة.
- أولوية الآب.
- خضوع الابن للآب.
- الوحدة بين الآب والابن.
- اعتماد الابن على الآب.

نتناول علاقة الآب بالابن في كتاب «معرفة الآب»، ونرى أن البشائر تسجِّل أن يسوع يصف اللهَ بأنه «الآب» و«أبي» و«أبي السماوي» و«أبيكم السماوي» و«أبا الآب» أكثر من خمسين مرة.

كما نؤكد في كتاب «معرفة الآب» على أن يسوع كانت له علاقة متفردة

مع الآب وأن هناك فارقًا مهمًا بين كون الله «أبًا ليسوع» و«أبًا للتلاميذ». نرى هذا الفارق بوضوح في (يوحنا ٢٠: ٢٨). لكن يمكن أن نراه أيضًا في النصوص التي تؤكد على أن يسوع هو ابن الله «الوحيد».

نتناول علاقة الابن بالآب بالتفصيل في الجزء السابع. لكن علينا أن ندرك هنا أن نصوصًا مثل (متى ١١: ٢٥ – ٣٠) و(مرقس ١: ١١ و٩: ٢ – ٧ و١٢: ١ – ١٢، ٣٥ – ٣٧ و١٣: ٣٢) و(لوقا ١٠: ٢١ – ٢٤ و٢٢: ٢٩) توضح بعضَ العناصر الأساسية عن بنوية يسوع الإلهية.

كتابات يوحنا:

يقول يوحنا في بشارته (يوحنا ٢٠: ٣١) إن الهدف المحدَّد للبشارة هو أن يؤمن القراء أن يسوع هو ابن الله. لذا ليس من المستغرب أن تؤكد بشارته على هذا اللقب وعلى الجوانب الإلهية لطبيعة يسوع.

يَرِد لقب «ابن الله» عشر مرات فقط في بشارة يوحنا، إلا أن يسوع يتحدث عن الله «كأب» أكثر من مائة مرة. يسود إدراك يسوع لبنويته الإلهية إنجيلَ يوحنا، ويقدم لنا كلُّ إصحاح لمحةً واحدةً على الأقل عن معنى كون يسوع هو الابن المتفرِّد لله.

يوصف يسوع أربع مرات في بشارة يوحنا بأنه الابن «الوحيد» (يوحنا ١: ١٤ – ١٨ و٣: ١٦ – ١٨). وهذا يدل على أن بنوية يسوع ليست كبنويتنا. يوضح (يوحنا ١: ١٢) أننا نُعطى سلطانًا كي نصير أولاد الله. لكن يسوع لا يحتاج إلى هذا السلطان؛ لأنه ابنٌ لله من نوع مختلف. يؤكد يوحنا على هذه الحقيقة باستخدامه للكلمة اليونانية «huios» التي تعني «ابنًا» فقط عند الحديث عن بنوية يسوع. أما عندما يصف علاقة أي شخص

مؤمن مع الله، فيستخدم الكلمة اليونانية الأكثر عمومية «tekna» والتي تعني «أولادًا».

يسجل (متى ٤: ٣ – ٦) و(لوقا ٤: ٣ – ٩، ٤١) اعتراف إبليس والشياطين بأن يسوع هو ابن الله. لكن يوحنا يسجل ثلاث حوادث يعترف فيها الناسُ ببنوية يسوع الإلهية (يوحنا ١: ٣٤، ٤٩ و١١: ٢٧) وثلاثة أمثلة يعلن فيها يسوعُ أنه ابن الله (يوحنا ١٠: ٣٦ – ٣٧ و١١: ٤ و١٩: ٧).

سوف نتناول تعاليمَ يوحنا عن بنوية يسوع الإلهية بتفصيل أكثر في الجزء السابع. لكن علينا أن نعرف هنا أن بشارته تعلن سبعَ صفات مهمة عن يسوع كابنٍ الله:

- الابن أُرسِل بواسطة الآب ومن قِبَله (يوحنا ٣: ٣٤ و٥: ٣٦ – ٣٨ و٧: ٢٩ و١١: ٤٢ و١٧: ٤ – ٥).
- الآبُ يحب الابنَ (يوحنا ٣: ٣٥ و٥: ٢٠ و١٠: ١٧ و١٧: ٢٣ – ٢٤).
- الابن يخضع للآب ويعتمد عليه (يوحنا ٥: ١٩، ٣٠ و١٤: ٢٨ – ٣١ و١٥: ١٠).
- الابن هو واحد مع الآب بكل تأكيد (يوحنا ٥: ١٩ – ٢٣ و١٠: ٣٠ و١٤: ١١، ٢٠ و١٧: ١١).
- الابن يصلي للآب (يوحنا ١١: ٤١ و١٢: ٢٨ و١٧: ١، ٥، ١١، ٢١، ٢٤، ٢٥).
- الابن هو الإعلان الوحيد عن الآب (يوحنا ٦: ٤٦، ٨: ١٩ و١٠: ١٥ و١٤: ٨ – ٩).
- الابن يتحدث بكلمات الآب (يوحنا ١٠: ١٨ و١٢: ٤٩ – ٥٠ و١٤: ٢٤ و١٥: ١٥ و١٦: ٢٥).

- الابنُ أخذ كلَّ شيء من الآب (يوحنا ٨:١٦ و١٣:٣ و١٦:١٥ و١٨:١١).
- الابنُ سيعود إلى الآب (يوحنا ١٤:١٢، ٢٨ و١٦:١٠، ١٦، ٢٨ و٢٠:١٧).

كذلك تسود حقيقةُ أن يسوع هو «ابن الله» رسالةَ يوحنا الأولى – وهذا هو أحد الأسباب الرئيسية التي تجعلنا واثقين من أن كاتب البشارة هو نفسه كاتب الرسالة. توضح رسالة يوحنا الأولى أن الإيمان بيسوع كابن الله يجب أن يكون هو الاعتراف الأساسي للمؤمن. نرى ذلك على سبيل المثال في (١يوحنا ٢:٢٢ – ٢٣ و٣:٢٣ و٤:١٥ و٥:٥، ١٠ – ١٣). كما تؤكد الرسالة على جوانب أخرى من بنوية يسوع كما نرى في (١يوحنا ١:٧ و٣:٨ و٤:٩ – ١٠، ١٤ و٥:٩ – ١١، ٢٠).

الابن المتفرِّد:

عندما نتأمل في شخص يسوع باعتباره ابن الله كما جاء في كتابات يوحنا، فمن المهم أن نضع في اعتبارنا التعبير اليوناني «monogenes huios» الوارد في (يوحنا ١: ١٤، ١٨ و٣:١٦، ١٨) و(١يوحنا ٤:٩) والذي صيغ بالعديد من المقابلات في الإنجليزية مثل (the only begotten son) أي «الابن الوحيد المولود» بحسب ترجمة (King James Version) و(one and only son) أي «الابن الواحد والوحيد» بحسب ترجمة (The New International Verstion).

النقطة التي على المحك هنا هي: هل يجب ترجمة الكلمة اليونانية «monogenes» في الإنجليزية إلى «begotten» أي «المولود» أم إلى «unique» أي «المتفرد»؟ تتضمن الكلمة اليونانية نفسها مفتاحَ الإجابة؛

فهي تتكون من شقين هما «monos» أي «الوحيد» و «genos» أي «من نفس الطبيعة أو النوع». الذين يعترضون على ترجمة الكلمة إلى «begotten» يقولون إن المترجمين اعتقدوا أن كلمة «gennao» التي تعني بالإنجليزية «to beget» أي «يلد» هي أصل الشق الثاني لكلمة «monogenes» بينما أصل الشق الثاني في الواقع هو «genos» أي «من نفس الطبيعة أو النوع».

وهذا يعطينا تعريفًا جيدًا لكلمة «monogenes» وهو «الوحيد من نوعه». مما يعني أنه عندما نصف علاقةَ يسوع بالآب بهذه الكلمة، فنحن لا نشير إلى أصل يسوع «كمولود» من الآب بل إلى وضعه المتفرِّد كالابن «الوحيد من نوعه».

يتفق هذا المعنى مع استخدام كلمة «monogenes» في (عبرانيين ١١: ١٧) حيث تصف علاقة إسحاق بإبراهيم أبيه. كان لإبراهيم العديد من الأبناء، لذلك لا يمكن أن يكون إسحاق هو الابن «الوحيد المولود» لإبراهيم («the only begotten» كما تصيغ ترجمة King James Version هذه الآية). لكن إسحاق - باعتباره ابن الموعد - كان بكل تأكيد هو الابن المتفرد «والوحيد من نوعه» لإبراهيم. يتأكد هذا المعنى لكلمة «monogenes» من استخداماتها الأخرى في العهد الجديد. يستخدمها لوقا - على سبيل المثال - ليصف الابن «الوحيد» لأرملة نايين (لوقا ٧: ١٢) والابنة الوحيدة ليايرس (لوقا ٨: ٤٢) والولد الذي كان عليه روح شرير والذي كان الابن الوحيد لأبيه (لوقا ٩: ٣٨). التركيز في هذه الروايات الثلاث ليس على كون الابن أو الابنة مولودًا أو مولودة من الأب أو الأم، بل على حقيقة أن الأب أو الأم ليس لديهما سوى هذا الابن أو الابنة. ولذلك كانت حاجتهما مُلحَّةً.

لذلك فإن استخدام يوحنا لكلمة «monogenes» لا ينم عن أن يسوع

مولودٌ من الآب، ملمِّحًا إلى وجود نوعٍ ما من الولادة. لكنه يشير إلى تفرد يسوع باعتباره ابن الله الواحد والوحيد. وليس معنى ذلك أننا نلغي فكرة الولادة، لكننا نقول إنها ليست فكرةً مستندةً على هذه النصوص.

لكن ماذا نفعل بالتعليم القائل إن يسوع مولود من الآب قبل كل الدهور؟ لقد كان هذا التعليم هو في الواقع الموقف التاريخي للكنيسة منذ مجمع نيقية عام ٣٢٥ م، والذي كان يقال دائمًا وبوضوح إنه عقيدة ولادة الابن من الآب منذ الأزل. تقول هذه العقيدةُ إنه على الرغم من أن يسوع مساوٍ للآب في الجوهر، إلا أنه كأقنوم مولود ومنبثق من الآب منذ الأزل. وهكذا، فإنه فيما يتعلق بجوهر الابن فهو ذاتي الوجود. أما فيما يتعلق بشخصه، فهو منبثق من الآب منذ الأزل. وهو بهذا المعنى الابن المولود من الآب منذ الأزل.

إن عقيدة ولادة الابن الأزلية هي عقيدة مفيدة من الناحية اللاهوتية لوصف العلاقة بين الآب والابن. لكن ـ كما رأينا ـ هناك فرقًا بين تطبيق تعبير «مولود» في قانون الإيمان وتطبيقه على الشواهد الخمسة سابقة الذكر من كتابات يوحنا.

(لكن هذا لا يعني أن كلمة «مولود» لا تظهر في الكتاب المقدس. يستخدم كلٌّ من (أعمال الرسل ١٣: ٣٣) و(عبرانيين ١: ٥ و٥: ٥) كلمة «gennao» في اقتباس لـ(مزمور ٢: ٧) «أنا اليوم ولدتك». (مزمور ٢) هو في الواقع مزمور افتتاحي للملك الإسرائيلي يشير إلى الإعلان العام لملكيته. يوضح اقتباس هذا المزمور الملكي أن وجود كلمة «مولود» في نصوص العهد الجديد هذه لا يشير إلى ولادة المسيح المعجزية بالروح القدس، لكن إلى قيامته وتمجيده. لذلك ترد هذه الأعداد الثلاثة في ترجمة

(The New Intenational Verstion) بصورةٍ رمزيةٍ فتقول: «today I have become your father» أي «اليوم أصبحت أباك». وكما هو الحال مع (رومية ١: ٤) التي نتناولها فيما يلي، تشير هذه النصوص إلى إعلان الآب العام لبنوية المسيح الذي هو الملك الحقيقي عند قيامته).

تعاليم بولس:

يسجل (أعمال الرسل ٩: ٢٠) كيف أن العظات الأولى للرسول بولس تعلن تلك الحقيقة المهمة بأن يسوع هو «المسيح» و«ابن الله» – هو إنسان وإله. يقدم (رومية ١: ١ – ٤) فكرة أن يسوع هو «ابن الله» والتي هي الفكرة الأساسية في تعريف بولس بشخص يسوع.

يعتقد بعضُ القادة أن معنى (رومية ١: ٤) هو أن يسوع لم يكن ابن الله قبل القيامة. لكن هذا الاعتقاد ليس صحيحًا، حيث يوضح (رومية ١: ٤) أن القيامة أعلنت على الملأ حقيقةً قائمةً بالفعل.

يمكننا القول إن التلاميذ قد أصبح لهم فهم أفضل لحقيقة أن يسوع هو «ابن الله» بعد القيامة. وذلك كما كان لهم فهم أفضل لكونه «الرب» بعد القيامة أيضًا. لكن قولنا هذا يختلف عن قول إن يسوع أصبح ابن الله من خلال القيامة؛ حيث يجب أن يكون من الواضح لنا أن بنوية يسوع هي علاقةٌ أساسيةٌ أزليةٌ أبديةٌ داخل شخص الله مثلث الأقانيم. وهي لذلك علاقة لم تتغير بالتجسُّد أو بالصعود. نتناول العلاقات بين الأقانيم الثلاثة ببعض التفصيل في كتاب «معرفة الآب».

يتحدث بولس عن يسوع باعتباره «ابن الله» في (٢كورنثوس ١: ١٩) و(غلاطية ٢: ٢٠) و(أفسس ٤: ١٣). لكنه عادةً يشير إلى يسوع بعبارة «ابنه»

كما نرى على سبيل المثال في (رومية ١: ٩ و٨: ٢٩) و(١كورنثوس١: ٩) و(غلاطية ٤: ٦) و(كولوسي ١: ١٣).

ترتبط بنوية يسوع الإلهية بالنسبة لبولس بإرسالية يسوع. لذلك نراه في (رومية ٨: ٣) و(غلاطية ٤: ٤ – ٥) على سبيل المثال، يصف كيف أرسل اللهُ ابنَه إلى هذا العالم الخاطئ كي يخلِّص البشريةَ. نتناول هذه الحقيقة بالتفصيل في الجزء الخامس من هذا الكتاب.

يؤكد بولس أيضًا على التأثيرات العملية لبنوية يسوع على المؤمنين؛ حيث يصف في (رومية ٨: ١٥) و(غلاطية ٣: ٢٦ – ٤: ٧) على سبيل المثال، مركزَنا كأبناءٍ لله، ويوضِّح كيف أصبح لنا هذا المركز.

تعطينا هذه النصوص نظرةً قيِّمةً على العلاقة الحميمة بين الآب والابن. وتوضح أيضًا أن هذه العلاقة هي نموذجٌ لعلاقة الله معنا.

يسوع هو الله:

رأينا أن العهد الجديد يعلن إلوهيةَ يسوع بإعلان أنه «كلمة الله» وبتسجيل سلسلةٍ من أقوال «أنا هو» التي يوحِّد فيها يسوعُ نفسَه مع يهوه. وكذلك، بإعلان أنه «رب الكل» و«ابن الله».

لكن هناك بعض النصوص الأخرى التي تعلن أكثر من ذلك بقولها إن يسوع هو الله نفسه وذلك بكلماتٍ واضحةٍ لا لبس فيها. على سبيل المثال:

تبدأ بشارة يوحنا وتنتهي بتصريحٍ واضحٍ عن طبيعة يسوع الإلهية. يؤكد (يوحنا ١: ١) أن اللوجوس لم يكن فقط عند الله بل كان هو الله كذلك. ثم

يعود فيؤكد على هذه الحقيقة بصورة أكبر في (يوحنا ١:١٨). كما يمثل (يوحنا ٢٠:٢٨) قمة الإيمان الرائعة للبشارة – يسوع هو حقًّا «رب» و«إله».

(رومية ٩ :٥) هو أقوى تصريح لبولس عن إلوهية يسوع. لكن هذا التصريح القوي يبدو ضعيفًا في بعض الترجمات الإنجليزية التي ترقمه بطريقة خاطئة. هناك العديد من الأسباب النحوية التي تدفعنا إلى الإصرار على أن هذا العدد هو إشارة إلى يسوع وليس إلى الله الآب. ولذلك يجب أن نقرأه مرقمًا هكذا «Christ who is God over all...» أي: «...المسيح الكائن على الكل إله» وليس: «Christ. God who is over all...» أي «... المسيح. الله الكائن على الكل».

(تيطس ٢:١٣) هو أيضًا تصريح مطلق عن إلوهية يسوع؛ حيث يشير بولس صراحةً إلى: «الله العظيم مخلِّصنا يسوع المسيح» «our great God and Saviour Jesus Christ» (وليس «الله العظيم وكذلك مخلصنا يسوع المسيح» «our great God and our Saviour Jesus Christ» كما يقول البعض). لو قصد بولس أن يفرِّق بين «الله» و«يسوع» لما كان استخدم تعبير «الله مخلِّصنا» في (تيطس ١:٣).

يقتبس (عبرانيين ١:٨) من (مزمور ٤٥:٦) ويطبقه بطريقةٍ توضِّح أن الابن يُخاطَب باعتباره الله. أيًّا كان المعنى الأصلي للمزمور، فقد أُوحي لكاتب العبرانيين أن يستخدمه ليعلن أن الابن هو الله.

(٢بطرس ١:١) هو إعلان آخر بسيط عن أن يسوع المسيح هو الله والمخلص.

توضح هذه النصوص أن الكنيسة الأولى كانت تدرك أن يسوع الإنسان الكامل له أيضًا لاهوت كامل. نرى هذا الإيمان عاملاً في النصوص التي تسجل أن العبادة والسجود الذي كان يُقدَّم لله كان يُقدَّم أيضًا في بعض الأحيان ليسوع المسيح كما في (متى ٢٨: ٩) و(٢ تيموثاوس ٤: ١٨) و(٢بطرس ٣: ١٨) و(رؤيا ١: ٥ – ٦ و٥: ١٣ و٧: ١٠) على سبيل المثال. وأيضًا في النصوص التي تصف كيف أن الصلوات كانت تُرفَع ليسوع كما نقرأ في (أعمال الرسل ٧: ٥٩ – ٦٠) و(١كورنثوس ١٦: ٢٢) و(٢كورنثوس ١٢: ٨). وكذلك في البركات التي تربط اسم يسوع باسم الله كما نقرأ في (١ تسالونيكي ٣: ١١ – ١٢) و(٢تسالونيكي ٣: ٥، ١٦).

تدحض هذه البيانات الكتابيةُ الاتهامَ القائلَ بأن فكرة «يسوع هو الله» هي ادِّعاء من اختراع المسيحية المتأخرة – ربما مسيحية أوآخر القرن الرابع. هناك بالطبع عقائد صيغت لمواجهة النزاعات اللاهوتية مثل قانون إيمان مجمع نيقية عام ٣٢٥م الذي يُعلِن أن يسوع هو «إله من إله» أو أنه «واحد مع الآب في الجوهر». لكن هذه الأفكار كما رأينا هي جزء من العهد الجديد نفسه.

إنسان كامل وإله كامل:

رأينا في الجزئين الأول والثاني من هذا الكتاب أن العهد الجديد يقدِّم لنا مفارقةً واضحةً المعالم؛ حيث يعلن أن يسوع الناصري كان إنسانًا حقيقيًّا قال إنه – وكان هو حقًّا – أدوناي يهوه الرب الإله. ويعلن العهدُ الجديدُ أيضًا أن يسوع كان شخصًا إلهيًّا أزلي الوجود كائنًا فوق الوجود المادي جاء لينقذ البشريةَ. وفي الوقت نفسه، كان إنسانًا كاملاً بلا خطية أوضح للبشرية كيف تحيا.

لكن العهد الجديد لا يشرح كيف يكون يسوع هو الله ويكون في ذات الوقت مميَّزًا عن الله، أو كيف يصبح بشرًا دون أن يعدِّل في إلوهيته لدرجة أن يتوقف عن كونه إلهًا حقيقيًّا، أو كيف يتواجد جانبا طبيعته معًا في داخله. لكنه يعلن ببساطة وجود هذه الطبيعة المزدوجة ويترك الباقي لعمل الإيمان.

صارع الناسُ مع هذا التناقض الظاهري للطبيعتين في شخصٍ واحدٍ على مدار تاريخ الكنيسة. وكانت النتيجة أن سعى البعضُ نحو التركيز على معرفة الابن كلي اللاهوت بينما وجد البعضُ الآخر أنه من الأسهل أن يركزوا على الابن كامل الناسوت. كما كان هناك فريق ثالث حاول تبسيط هذا التناقض. لكن كل هذا أدى إلى ظهور أفكار غير كتابية مثل:

- الدوسيتية (Docetism) – إنكار حقيقة ناسوت يسوع.
- الأبولينارِيَّة (Apollinarianism) – بُترت إنسانية يسوع لأن الكلمة الإلهي أخذ مكان روح يسوع، لذلك لا يمكن اعتبار أن يسوع هو إنسان كامل، حيث كان جسده فقط هو الجانب البشري به.
- الأريوسية (Arianism) – على الرغم من أن المسيح هو أول وأسمى كل مخلوقات الله، إلا أنه هو نفسه مخلوق. والله الآب هو وحده الأزلي الأبدي.
- الإبيونية (Ebionism) – لم يكن يسوع أزلي الوجود، لكنه كان ابنًا ليوسف ومريم بنويةً كاملةً. وقد أخذ الروحَ فقط بعد معموديته. وهذا يشبِّه التبني بمعنى أن يسوع وُلد كإنسانٍ طبيعي، لكنه رُفِع بعد ذلك إلى مركز البنوية الإلهية وذلك على الأرجح من خلال المعمودية أي التبني.
- النسطورية (Nestorianism) – كان يسوع شخصين متمايزين: الإنسان يسوع وابن الله الإلهي.

- الأوطاخية (Eutychianism) – الطبيعة الإنسانية ليسوع ذابت في طبيعته الإلهية لتنتج طبيعةً ثالثةً هجينةً.
- الكينوتية (kenoticism) – الابن تخلَّى عن لاهوته كي يصبح بشرًا.

لكننا عندما نتبنى أيًّا من هذه التوجهات، ستكون النتيجة الحتمية هي عدم معرفة الابن المعلن في الأسفار المقدسة. إن الفهم الخاطئ لإحدى أو كلتا طبيعتي المسيح هو في الواقع واحد من الصفات التي تميِّز أيةَ عقيدةٍ خاطئة اليوم. على سبيل المثال، يعتقد شهودُ يهوه أن الآب خلق يسوعَ الذي هو في الأصل رئيس الملائكة ميخائيل، وهو لذلك إلهٌ أقل منزلةٍ من الآب. أما عقيدة العلماء المسيحيين فتعلِّم أن يسوع لم يكن هو الله، بل كان إنسانًا عكس «فكرة المسيح». كما تعلِّم كنيسة التوحيد أن يسوع كان إنسانًا كاملاً حصل على مرتبةٍ أقل من الإلوهية.

لكن يسوع الذي تتحدث عنه الأسفار المقدسة هو كامل اللاهوت، وكامل الناسوت معًا. هو ١٠٠٪ الله و١٠٠٪ إنسان. إنه ليس نصف إله أو نصف إنسان أو ١٠٪ إله و٩٠٪ إنسان. كما أن طبيعتيه ليستا ممتزجتين معًا أو متَّحدتين معًا في طبيعة جديدة هي مزيج من «الله – الإنسان». يقول التعليمُ الكتابي – والذي يُشار إليه في بعض الأحيان بالاتحاد الأقنومي – إنه في شخص يسوع الواحد هناك طبيعةٌ إلهيةٌ وطبيعةٌ بشريةٌ، لذلك فيسوع هو حقًّا الله الظاهر في جسدٍ بشري.

مهما كان من الصعب على عقولنا أن تستوعب العقيدةَ الكتابيةَ عن المسيح، علينا ألا نتغاضى أبدًا عن المفارقة الأساسية التي يقدمها العهدُ الجديد. ولنكن واثقين من أنه بينما نتشبث في كلمة الله بعقولنا ونفتح أرواحَنا للوجوس الله المكتوب، سيمكِّنُنَا روحُ ابنِ الله من معرفة الابن بكامل روعة طبيعته المزدوجة المتفردة.

الجزء الثالث

شخص متفرد

يعرف كل شخص منا أن العهد الجديد يحتوي على أربع روايات عن حياة وموت يسوع المسيح وهي بشائر متى ومرقس ولوقا ويوحنا. هذه البشائر الأربع هي العمل الكامل لله الروح القدس الذي يصور طبيعةَ وإرساليةَ الله الابن، فكل آيةٍ من آيات هذه البشائر إنما كُتبت بنسمة الله وهي مهمة جدًّا لإرشاد حياتنا ولتعليمنا كيف نحيا.

تعلن لنا البشائرُ الأربع الحقَّ عن شخص الابن المتفرِّد بأوضح وأتم صورة ممكنة، وذلك عن طريق وصف حياته وإرساليته من زوايا مختلفة قليلاً، لكنها مكملة لبعضها البعض.

لكن الأربعة أسفار الأولى من العهد الجديد ليست مجرد تكملة لبعضها البعض (مع أنها هكذا بالفعل)؛ وذلك لأنها أكثر من مجرد شهادات متكررة؛ حيث إن لكل بشارةٍ منها هدف معيَّن تختار وترتب الحقائقَ التي تسجِّلها طبقًا له. وكذلك لكل بشارةٍ أفكارها الخاصة وكلٌّ منها تركِّز وتؤكد على جوانب مختلفة لإرسالية يسوع. وتحتوي كلٌّ منها أيضًا على مادةٍ تتفرد بها، ويمكن أن تتجاهل بعض الحوادث والتفاصيل التي لابد وأن الكاتب كان يعرفها.

لقد تم كل هذا تحت إرشادٍ دقيقٍ ووحيٍ من الروح، مما يعني أننا يجب

أن نفهم كلَّ البشائر الأربع حتى نعرف كلمة الله الشخصي بالطريقة التي تعلنها كلمته المكتوبة.

متى:

يتحدث متى عن يسوع في كلِّ بشارته باعتباره الملك الذي أتى كي يؤسِّس ملكوتَه. ولذلك، يؤكد على قضايا القيادة والسلطة ويركِّز على ملكوت الله السماوي.

وهو يعلن أوراقَ اعتماد يسوع الملكية عن طريق سلسلة النسب التي يبدأ بها بشارته والتي يُرجِع فيها نسب يسوع إلى إبراهيم وداود وسلسلة من ملوك إسرائيل حتى يصل إلى يوسف أبيه الرسمي.

وفي روايته عن ميلاد يسوع، في (متى١:١٨ – ٢:٢٣)، يؤكد متى على فكرة السلطة ويوضح ملوكية يسوع ويلقي الضوءَ على سر ملكوت الله النامي. تتمحور الأحداث حول يوسف (رئيس بيته) مؤكدةً على طاعته التامة. ويُعرِّف متى بيتَ لحم بأنها المكان الموعود الذي يخرج منه قائدٌ يرعى شعبَ الله. ويقول إن رجالاً عظامًا من المشرق أتوا يطلبون الملكَ الجديدَ وإن هذه الأخبار عن الميلاد الملكي قد أزعجت الملكَ هيرودس.

يبدو أن متى يصوِّر ميلادَ يسوع كصراع بين الملوك وبين طرق مختلفة للحكم: يحاول مغتصب الحكم القوي خداع المجوس وقتل يسوع. ثم يقوم بقتل أطفال بيت لحم. هذا بينما الوريث الشرعي للعرش مسالم رقيق ومعرَّض للهجوم. لكن الله الذي يعمل من خلال طاعة البشر يقوم بحمايته.

يسجل متى خمس مجموعات من تعاليم يسوع ذات السلطان (متى ٥ – ٧،

١٠، ١٣، ١٨، ٢٤ – ٢٥) ويبدو أن هذه المجموعات الخمس توازي أسفارَ الشريعة اليهودية الخمسة. تركز هذه التعاليم على «ملكوت السماوات» و«البر» لكي توضِّح الشخصيةَ السماويةَ والسلطةَ الأخلاقيةَ والأدبيةَ للابن الملكي.

كما يجمع متى عشر معجزات في (متى ٨: ١ – ٩: ٣٧) كي يعطي أمثلةً على السلطة المادية والروحية لملكوت الله. توضح هذه المعجزات أن ليسوع سلطانًا على الطبيعة والمرض والأرواح الشريرة.

يسجل متى في (متى ٢١: ١ – ١٦) حادثةَ دخول يسوع إلى أورشليم كملكٍ بصورةٍ أوضح من البشائر الأخرى. ويتبع هذه الحادثة بمثل في (متى ٢٢: ١ – ١٤) يوضح أن الملك يمكنه أن يختار أيًّا من يريد لدخول الملكوت، وباتِّهام متفرِّد موجَّه للكتبة والفريسيين في (متى ٢٣: ١ – ٣٩) بأنهم يسيئون استخدامَ سلطتهم ولا يعيشون بحسب البر، وببعض التعاليم المفصَّلة في (متى ٢٤: ١ – ٢٥: ٤٦) عن المجيء الثاني للملك الذي سيعود بسلطانٍ على كل الكون كي يحكم ويملك.

ويعطينا متى في تسجيله لآلام وقيامة يسوع في (متى ٢٦: ١ – ٢٨: ٢٠) تسجيلاً كاملاً لمحاكمة يسوع من قِبَل الحاكم الروماني، ويركِّز على سؤال بيلاطس في (متى ٢٧: ١١)، وعلى تعييرات واستهزاء الجنود الرومان بيسوع في (متى ٢٧: ٢٩). ثم يسجِّل بعد ذلك العديدَ من التفاصيل المميَّزة التي تؤكِّد على تفرُّد قوة وسلطان موت وقيامة يسوع. متى وحده من بين كل البشائر هو من يصف على سبيل المثال:

- الزلزال الفوقي (متى٢٧: ٥١).
- انفتاح القبور (متى ٢٧: ٥٢).

- قيام الكثير من أجساد القديسين الراقدين (متى ٢٧: ٥٢).
- الحراس (متى ٢٧: ٦٢ – ٦٥).
- الأختام على الحجر (متى ٢٧: ٦٦).
- الزلزلة العنيفة (متى ٢٨: ٢).
- الملاك الذي دحرج الحجر (متى ٢٨: ٢).
- المرأتين اللتين سجدتا ليسوع (متى ٢٨: ٩).
- المرأتين اللتين أطاعتا يسوع (متى ٢٨: ١٠ – ١١).
- السلطات الشريرة التي كذبت (متى ٢٨: ١١ – ١٥).

وأخيرًا يختتم متى بشارتَه باختيار كلمات تعيد تأكيد سُلطة الابن الملوكية وتدعو مرةً أخرى إلى طاعةٍ كاملةٍ من القلب في حياة أتباع يسوع (متى ٢٨: ١٨ و٢٨: ٢٠).

مرقس:

لا تقدم بشارةُ مرقس الابنَ كملكٍ قوي أتى ليملك، بل كعبدٍ أتى ليخدم وليقدم نفسَه كذبيحةٍ عن كلِّ البشرية. يؤكد مرقس بصورةٍ جميلةٍ في روايته القصيرة عن إرسالية الابن المتفرِّدة على العديد من التفاصيل الصغيرة في حياة يسوع، والتي عندما ننظر إليها معًا نرى مثالاً رائعًا للخدمة الصبورة.

لا يذكر مرقس شجرةَ عائلة يسوع، ولا يسجِّل أية تفاصيل عن ميلاده؛ فبالنسبة له ليس المهم هو أصل الخادم، بل العمل الذي يقوم به ومدى إجادته لهذا العمل. وعلى عكس البشائر الأخرى، يمر مرقس مرورًا سريعًا على حادثة معمودية يسوع ولا يعطي أية تفاصيل عن تجربة الشيطان له في البرية، لكنه يذهب مباشرةً إلى خدمة يسوع في الجليل.

لا يسجل مرقس أية مناسبات يعطي فيها يسوعُ إعلانًا ملكيًّا مطوَّلاً عن قوانين ملكوته. كما يصف القليلَ جدًّا من أحكام يسوع؛ هذا لأن الخدمة بالنسبة لمرقس تكمن في الفعل أكثر مما تكمن في القول. يذكر مرقس ثمانية أمثال قصيرة فقط لمعظمها علاقة واضحة بالخدمة.

يبدو أن مرقس يستخدم الكلمةَ اليونانيةَ «euthus» أي «للوقت» ليؤكد على فكرة الخدمة. ترد هذه الكلمة ثمانين مرة في العهد الجديد يستأثر مرقس بأكثر من نصفها. وهو عندما يستخدمها يعبِّر عن الاستجابة السريعة لخادم متشوِّق للخدمة.

يذكر مرقس العديدَ من التفاصيل الصغيرة عن حياة يسوع، وهي تفاصيل لا ترد في البشائر الأخرى في روايتها عن نفس الحوادث. وهذه هي التفاصيل التي لا يلاحظها سوى من لديهم عينا خادم، ويُعجَبون بالخدمة الحكيمة في الآخرين. على سبيل المثال:

- «أَقَامَهَا مَاسِكًا بِيَدِهَا» (مرقس ١: ٣١).
- «فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ» (مرقس ٣: ٥).
- «ثُمَّ أَتَوْا إِلَى بَيْتٍ» (مرقس ٣: ١٩).
- «نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ» (مرقس ٣: ٣٤).
- «دَخَلَ... إِلَى الْبَيْتِ» (مرقس ٧: ١٧).
- «فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ» (مرقس ٨: ٣٣).
- «فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ» (مرقس ٩: ٢٧).
- «دَخَلَ بَيْتًا» (مرقس ٩: ٢٨).
- «فَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسَطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ» (مرقس ٩: ٣٦).
- «فَاحْتَضَنَهُمْ» (مرقس ١٠: ١٦).
- «وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ» (مرقس ١٠: ١٧).

- «فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ» (مرقس ١٠: ٢١).
- «وَتَبِعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ» (مرقس ١٠: ٥٢).
- «وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ» (مرقس ١١: ٢٧).

يصف مرقس في (مرقس ٧: ٣١ – ٣٧ و٨: ٢٢ – ٢٦) معجزتين لا تذكرهما أيةُ بشارة أخرى. ويوضح من خلالهما رغبةَ يسوع في العمل دون أن يلاحظه أحدٌ. الابن في بشارة مرقس يريد أن يخدم دون أن يراه أحدٌ، وهو مستعدٌ للخدمة دون أن يتلقى شكرًا. كما يبغي السريةَ ويحاول أن يخفي نفسَه مثلما جاء في (مرقس ٧: ٢٤).

لكن الخادم الجيد عادةً ما يلبِّي طلبات الآخرين. يوضح مرقس كيف أن الابن كان يسمح للآخرين باقتحام خصوصيته كما في (مرقس ١: ٣٥ – ٣٩ و٣: ٢٠ و٦: ٣١ – ٣٤، ٤٥، ٥٤ – ٥٥).

لا يتجاهل مرقس قوةَ يسوع وسلطانَه، لكنه يشير إليهما بطريقة أكثر اختصارًا من متى، مُلقيًا الضوء على أمور لا يذكرها غيرُه توضِّح مفتاحَ الأسرار عن قوة يسوع كما في (مرقس ١: ٣٥، ٤١ و٦: ٣٤ و١٠: ٢١).

يعطي مرقس تفاصيل أكثر من البشائر الأخرى فيما يتعلق بالمصاعب التي شعر بها يسوعُ وواجهته كما في (مرقس ٣: ٥، ٢١ و٦: ٦ و٧: ٣٤ و٨: ١٢) على سبيل المثال. كانت أعظم الآلام التي واجهت يسوع هي آلام الصليب ويسود بشارة مرقس إدراكٌ عميقٌ للصليب.

نرى الصليبَ في كل بشارة مرقس كمجد الخدمة وثمنها. كل شيء في الأصحاح الثامن يقود إلى الصليب عندما يدرك الرسلُ أخيرًا من هو يسوع،

ويصبح لديهم الاستعداد ليعرفوا عن الصليب. من هذه النقطة فصاعدًا تسود البشارةَ فكرةُ الألم والموت. نرى ذلك على سبيل المثال في (مرقس ١٠: ٢١، ٣٠، ٤٥).

يختتم مرقس بشارتَه بطريقةٍ مختلفةٍ عن الكُتَّاب الآخرين وذلك بتوضيح أن الابن المقام لازال خادمًا. رأينا فيما سبق أن مرقس يتحدث عن يسوع فجأة في (مرقس ١٦: ٢٠) بصفته «الرب». لكن علينا أن نلاحظ تذكيرًا بأن الرب المقام لازال يخدم مع تلاميذه على الأرض ولازال يؤكِّد على صدق الكلمة من خلال الآيات المصاحبة لها. بهذه اللمسة الصغيرة المميزة يختتم مرقس روايتَه عن الابن الخادم.

لوقا:

لا تقدم بشارةُ لوقا الابنَ كملكٍ أو كخادمٍ، بل كإنسانٍ مثالي – كالعيِّنة المثالية من البشر، وكنموذج لحياة كل البشرية.

يؤكد لوقا على أن يسوع هو شخصٌ مجرَّبٌ بكل طريقةٍ ممكنةٍ، وأنه خاضعٌ لكل أشكال الصراع والمشاعر العادية. لكنه مع ذلك يبقى بلا خطية. يمكننا القول إن بشارة لوقا تعلن أن الابن هو الصديق المتعاطف مع الخطاة والشخص الذي يحب أتباعَه.

يكتب لوقا الكثيرَ عن الأحداث المحيطة بميلاد يسوع، ويستخدم القصةَ ليقدم بعضَ أفكاره المميزة: إنسانية يسوع – مكانة المرأة – معاملة الفقراء – الاهتمام بالأطفال الصغار – معونة الروح القدس – الضيافة – معجزات الشفاء – التسبيح والفرح.

معرفة الابن

يوضح لنا لوقا في (لوقا ١: ٥ – ٢: ٣٨) أن الله يريد أن يجذب إليه أناسًا عاديين ويملأهم من الروح القدس ويستخدمهم في نشر الأخبار السارة عن يسوع. يتحدث لوقا في (لوقا ٣: ٢٣ – ٣٨) عن نسل المسيح حتى يصل إلى آدم وذلك لكي يوضِّح أن يسوع هو أخ لكل البشرية.

تركِّز قصة الميلاد في بشارة لوقا على رد مريم على الله وعلى الرعاة الذين زاروا المسيح بلا هدايا وعلى فقر أبويه وعلى المعجزات التي أثرت على زكريا المتواضع. وتركِّز كذلك على الروح القدس وعلى التسبيح والفرح. نرى ذلك على سبيل المثال في (لوقا ١: ١٤، ٢٨، ٤٤، ٤٧، ٥٨، ٦٤ و٢: ١٠، ١٣، ٢٠، ٣٨).

لوقا فقط هو من يتحدث عن الخلفية التاريخية والسياسية لعالم الابن في (لوقا ٣: ١ – ٢، ١٩ و٤: ١٦). يقدم لوقا في الجزء الأول من بشارته العديدَ من المفاتيح التي تدل على هوية يسوع، ويقدم الكثيرَ من الناس الذين يتساءلون عمن يمكن أن يكون يسوع كما نقرأ على سبيل المثال في (لوقا ١: ٣١ – ٣٣ و٣: ١٥ – ١٧، ٢٢ و٤: ١٧ – ٢٢، ٢٣ و٧: ١٨ – ٢٠ و٨: ٢٥ و٩: ٧ – ٩). حيث يكشف لوقا عن أن يسوع هو «مسيح الله».

نجده يركِّز على تعاليم يسوع عن المال وغالبًا ما يعطي ملاحظةً ماليةً تتعلق بالأشخاص الذين يصفهم كما في (لوقا ٣: ١٠ – ١١ و٧: ٥ – ٦ و٨: ١ – ٣ و١٩: ٨ – ١٠ و٢١: ١ – ٤ و٢٣: ٥٠ – ٥٤). تدور الكثيرُ من أمثال لوقا الفريدة حول الثروة. وحتى المعجزة الفريدة التي يسجلها في (لوقا ٥: ١ – ١١) هي اختبار اقتصادي في جزء منها: هل سيتركون الصيدَ الوفيرَ على الشاطئ ليأخذه آخرون بينما يقومون هم كي يتبعوا يسوع؟

نقطة التركيز هذه تتضح أكثر في (لوقا ١٢: ٣٣ – ٣٤). إذا كان البر هو أهم صفات الملكوت في بشارة متى، فالسخاء هو الصفة المقابلة له عند لوقا.

الابن بالنسبة للوقا هو شخصٌ يأخذ بوضوح صفَّ أدنياء المجتمع: كان مكان راحته الأول مذودًا، ومكان راحته الأخير قبرًا لرجل آخر، وفيما بينهما لم يكن له أين يسند رأسه. يسجل لوقا أنه حتى والديه قدما الذبيحة الخاصة بالفقراء، نرى ذلك في (لوقا ٢: ١٦، ٢٤ و٩: ٥٨ و٢٣: ٥٣).

لوقا هو من يوضح أن الابن رجل صلاة. ربما يسجِّل يوحنا أطولَ صلاة ليسوع، وربما يعطينا متى تفاصيل أكثر عن الصلاة الربانية. لكن لوقا يوضِّح أن الصلاة تملأ كلَّ جانب في حياة يسوع. نرى ذلك على سبيل المثال في (لوقا ٣: ٢١ و٥: ١٦ و٦: ١٢ و٩: ١٨، ٢٨ و١١: ١ – ٨ و١٨: ١ – ١٤ و١٩: ٤٥ – ٤٦ و٢٢: ٣٢، ٤٠، ٤٥ و٢٣: ٤٦ و٢٤: ٣٠ – ٣١).

توضح بشارةُ لوقا أن الابن هو أخبار سارة لكل الرجال والنساء العاديين. يصف لوقا خمس مناسبات كان يسوع فيها ضيفًا مدعوًّا لطعام في بيتٍ ما، ويعطي يسوعُ أكثرَ تعاليمه تحدِّيًا في هذه الأجواء غير الرسمية كما في (لوقا ٥: ٣٢ و٧: ٣٦ – ٥٠ و١: ٣٧ – ٥٤ و١٤: ١ – ١٤) على سبيل المثال.

يقدم لوقا في كل بشارته سلسلةً من الأشخاص الذين يتجاوبون مع الابن بطرق مختلفة؛ حيث يبدأ بوصفٍ مفصَّل لتعاملات الله مع زكريا، وينتهي برواية حديث يسوع مع كيلوباس. وهناك بالإضافة لهذين الاثنين زكا. يمثل هؤلاء الثلاثة معًا أمثلة لوقا العظيمة عن تغيير الله لأشخاصٍ عاديين.

يؤكد لوقا على موقف يسوع الثوري من المرأة في سلسلةٍ من النصوص التي توضِّح مكانتَها في خدمته وذلك كما نقرأ في (لوقا ٧: ١١ – ١٦، ٣٦ – ٣٨ و٨: ١ – ٣ و١٠: ٣٨ – ٤٢ و١١: ٢٧ – ٢٨ و١٣: ١٠ – ١٧ و١٥: ٨ – ١٠ و١٨: ١ – ٨، ٢٣: ٤٩، ٥٥ و٢٤: ١٠).

يسجل لوقا نفسَ عدد المعجزات التي يسجلها متى ومرقس، لكن اختياره للمعجزات مختلف إلى حدٍّ ما؛ فبينما يصف متى ومرقس المعجزات التي توضِّح سلطانَ يسوع على الأرواح الشريرة والطبيعة، يركِّز لوقا على معجزات الشفاء مسجِّلاً عشر معجزات فريدة (لوقا ١: ٢٠ – ٢٢، ٢٤، ٦٤ و٥: ٤ – ٧ و٧: ١١ – ١٧ و١٠: ١٧ و١٣: ١٠ – ١٧ و١٤: ١ – ٦ و١٧: ١١ – ١٩ و٢٢: ٥١).

تركِّز كلُّ معجزات لوقا على يسوع، لكنها ليست جميعًا من صنع الابن. يوضح (لوقا ١: ٢٠ – ٢٢، ٢٤، ٦٤ و٥: ١٧) أن الله يصنع المعجزات بسلطانٍ، ويوضح (لوقا ٩: ١٠ و٩: ٤٩ – ٥٠ و١٠: ١٧) أن الله يستطيع أن يصنع المعجزات بواسطة أي شخصٍ يختاره، وليس فقط عن طريق يسوع.

تتشابه قصةُ لوقا عن آلام المسيح مع البشائر الأخرى مع وجود بعض التفاصيل الإضافية كما في (لوقا ٢٢: ٥١ و٢٢: ٦٤ و٢٣: ٣٩ – ٤٣) على سبيل المثال. وعلى الرغم من أن روايته هي الأكثر اختصارًا، إلا أنها تعطينا إحساسًا مكثَّفًا بالحزن والألم. يصف (لوقا ٢٢: ٤٢ – ٤٤) تحمُّل يسوع لألمٍ روحي لا يعادله شيءٌ؛ حيث كان يصارع مع إرادة الآب. وهذه هي نظرة لوقا الأكثر تعبيرًا عن إنسانية الابن.

يترك لوقا كتَّابَ البشائر الأخرى لتوضيح حقيقة أن موت يسوع هو «فدية

عن كثيرين» وانتصارٌ على الشيطان، لكنه يركِّز على إعلان أن موت يسوع هو أقصى تعبير عن صلاح الإنسانية الكاملة. الصليب بالنسبة للوقا هو المكان الذي أتم فيه المسيا ما سُجِّل عنه في (إشعياء ٥٣) عندما قَبِل وتحمَّل الرفضَ والألمَ والموتَ.

تنتهي هذه البشارةُ تمامًا كما تبدأ؛ أي بملاك ومعجزة وعدم إيمان من قِبَل هؤلاء الذين يجب أن يعلموا أفضل. يؤكد لوقا على الحقيقة المادية لقيامة جسد يسوع ويسجِّل ظهورَه لتلميذٍ عادي. ثم تنتهي البشارةُ حيث تبدأ – في الهيكل – ويختتم لوقا بشارتَه بكلماتٍ أكثر فرحًا.

يوحنا:

بشارة يوحنا هي الأكثر تميُّزًا؛ حيث لا تتحدث عن يسوع بصفته ابن داود الملكي أو خادم الله المتألم أو مثال البشرية الكامل، لكنها تتحدث عنه بصفته ابن الله الممجَّد.

على الرغم من أن يوحنا كان يعرف مريمَ أكثر من كتَّاب البشائر الآخرين، إلا أنه تجاهل أصولَ يسوع البشريةَ وبدأ بشارتَه في (يوحنا ١: ١ – ١٨) بسلسلة نَسَبِه الإلهية. يستخدم يوحنا كلمات غاية في الجمال والروعة كي يصف علاقة الابن بالله، ولكي يوضح كمالَ لاهوت الابن. يقدم يوحنا في هذه المقدمة تلك الأفكارَ المميزة عن النور والحياة والمجد والحق والتي تظهر في كل بشارته.

يصف يوحنا في (يوحنا ١: ١٩ – ٢: ١٢) الأسبوعَ الأولَ من خدمة يسوع. تتحدث كلُّ البشائر عن العلاقة الأرضية بين يوحنا المعمدان ويسوع. لكن يوحنا يضيف بُعدًا مختلفًا وهو أنه إن كان يسوع هو

«النور»، فيوحنا المعمدان هو «المصباح» وإن كان يسوع هو «الكلمة»، فيوحنا المعمدان هو «الصوت».

وبينما يركِّز متى على كرازة يوحنا المعمدان عن الملكوت، ويركز لوقا على مطالبته بالتوبة والتدليل عليها بالجود والعطاء، يسجل يوحنا إعلانَه الرائع عن إلوهية يسوع في (يوحنا ١: ٣٤ – ٣٥). وبينما يوضح متى أن يوحنا عارَضَ تعميدَ يسوع؛ لأنه كان يعلم أن ليسوع سلطانًا أعظم، ويشير لوقا إلى أن يوحنا ويسوع أقرباء من الناحية البشرية ويعرفان بعضهما البعض بالتأكيد، يعلن يوحنا أن المعمدان لم يعرف يسوعَ في (يوحنا ١: ٣٣).

سيبدو لنا من النظرة الأولى أن هناك تناقضًا لا يمكن معالجته، لكن علينا أن ندرك أن كتابات يوحنا هي عن يسوع الابن الإلهي، وليست عن يسوع الإنسان. من الممكن أن نعرف الابن بصفته إنسان وخادم وحتى ملك، ولكن ليس بصفته الله. كان يوحنا المعمدان يعرف يسوعَ كقريبٍ له منذ الطفولة، لكنه لم يعرفه بصفته حمل الله حتى رأى الروحَ يستقر عليه.

ينتهي الأسبوعُ الأول في بشارة يوحنا بمعجزة يسوع الأولى وهو يستخدم هذه المعجزةَ ليشير إلى فكرتين يطوِّرهما فيما بعد في البشارة. أولاً: ينتهي العملُ البشري دائمًا بالفشل، لكن الابن دائمًا ما يُخرِج المجدَ من الفَشَلِ. ثانيًا: عندما يضعف العطاءُ البشري، يعطي الابنُ أشياءً حسنةً بسخاء.

يكشف يوحنا في (يوحنا ٢: ١٣ – ٤: ٥٤) عن تصاعد للأفكار الروحية. أولاً: يؤكِّد على حقيقة أن الابن يمكنه استعادة أي شيء تُفسِده البشريةُ. ثم

يشرح معجزةَ الولادة الجديدة، وبعدها يقدِّم حقيقةَ سُكنَى الروح القدس. نرى ذلك في (يوحنا ٢: ٢٠ و٣: ٣ و٤: ١٤).

يوضح يوحنا أن الابن جاء ليُحضِر الحياةَ. إذا كان متى يركِّز على البر، ولوقا يركِّز على السخاء والجود، فإن يوحنا مشغولٌ جدًّا بالحياة. وإذا كان تلاميذُ متى قد أصبحوا أبرارًا بطاعتهم للملك، وتلاميذ لوقا أصبحوا أسخياء باتِّباعهم لمثال الإنسان الكامل، فإن تلاميذَ يوحنا سيأخذون الحياةَ الأبديةَ بالإيمان بالابن.

يذكر يوحنا الحياةَ والإيمانَ لأول مرة في (يوحنا ١: ٤، ١٢) ويؤكد على العلاقة بينهما في (يوحنا ٣: ١٥ – ١٦). وبعد ذلك يدمج الفكرتين معًا بصورةٍ وثيقةٍ في باقي البشارة كما نرى على سبيل المثال في (يوحنا ٥: ٣٩ و٦: ٤٠ و١١: ٢٥ – ٢٦ و٢٠: ٢٧ – ٣١).

يصف يوحنا في (يوحنا ٥: ١ – ٤٧) معجزةَ شفاء متفرِّدة يقابل من خلالها بين ضعف الناموس وقوة الابن المانحة للحياة. الأقوياء فقط هم الذين يستفيدون من البركة، والأقوياء فقط هم الذين يساعدهم الناموس. لكن الضعفاء هم من يمنحهم الابنُ قوةً، وأي شخص يؤمن به ينال الحياةَ.

يقدم لنا (يوحنا ٥: ١٩) أولَ وميض ضوء على فكرةٍ أخرى من أفكاره المميزة، وهي وحدانية الابن والآب. يوضح يوحنا ابتداءً من هذا العدد وحتى نهاية البشارة أن يسوع والآب واحدٌ، فالابن يتحدث بما يقوله الآبُ، ويذهب حيث يرسله الآبُ، ويفعل ما يفعله الآبُ. وبتكرار هذه الحقيقة يؤكد يوحنا على خضوع الابن للآب ووحدانيته مع الآب.

يصف (يوحنا ٦: ١ – ٧١) فِصحًا ثانيًا، ويتحدث عن الابن بصفته تتميم للفصح كما في (يوحنا ٦: ٣٥، ٥٤) على سبيل المثال. ثم يصف (يوحنا ٧: ١ – ١٠: ٢١) عيد المظال ويوضح (يوحنا ٧: ٣٧ و٨: ١٢) أن يسوع هو أيضًا تتميمٌ لهذا العيد.

حتى هذه النقطة يتحدث يوحنا عن الابن كالحياة، لكنه يبدأ بعد ذلك في الحديث عن فكرة النور. يستخدم يوحنا حادثتين لتوضيح طبيعة الابن الفائقة كالنور. أولاً: تقف امرأةٌ زانيةٌ في النور أمام يسوع ولا تُدان بينما ينصرف الفريسيون مُدانين من قِبَل ضمائرهم. ثم بعد ذلك نقرأ عن إنسانٍ أعمى يبصر. هناك بالطبع عمي آخرون يُشفَون في البشائر الأخرى، لكن يوحنا وحده هو من يقدم مثل هذه المعجزة ومعها تصريح يسوع الاستثنائي الرائع في (يوحنا ٩: ٥).

ثم في (يوحنا ١٠: ٢٢ – ١١: ٥٧) يربط يوحنا يسوعَ بعيد التكريس الذي يحتفل بانتصار اليهود العظيم بقيادة المكابيين في الفترة ما بين العهدين القديم والجديد. لقد كانت هذه خلفية رائعة لإعلان الابن عن انتصاره العظيم على الموت، والذي رمز إليه بقيامة لعازر من الموت. في هذا النص، يعيد يوحنا التأكيدَ على كل أفكاره المميزة (يوحنا ١٠: ٣٠، ٣٨ و١١: ١٠، ٢٥ – ٢٦، ٤٠).

تختلف بشارة يوحنا في مجملها عن بقية البشائر الأخرى. لكن رواية يوحنا الأطول عن عشاء الفصح الأخير ليسوع هي أكثر أجزاء بشارته تميُّزًا. الأصحاحات السبعة الأولى من بشارة يوحنا تركِّز على فكرة الحياة. ثم تركِّز الأصحاحات الخمسة التالية على فكرة النور بينما تتناول بقيةُ البشارة موضوعَ المحبة. يستخدم يوحنا كلمة «المحبة» ثماني مرات في

الأصحاحات الاثني عشر الأولى، ويستخدمها ثلاثين مرة في الأصحاحات التسعة الأخيرة.

تسود المحبةُ «العشاءَ الأخير»؛ حيث يصف يسوعُ خلال العشاء كيف يعبِّر اللهُ عن محبته لأحبائه، وكيف يجب على هؤلاء الأحباء الاستجابة لمحبة الله بمحبة بعضهم البعض. نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ١٣: ١، ٣٤ و١٤: ٢١ و١٥: ١٣، ١٦: ٢٧ و١٧: ٢٦).

إن لوقا فقط هو من يستخدم تعبير «ممتلئ من الروح القدس». وهو ينظر نحو الأرض كي يوضح أن الروح هو المعونة الخاصة التي يعطيها اللهُ للأشخاص العاديين. لكن يوحنا يسجِّل أوضحَ تعاليم يسوع عن الروح، وهو ينظر نحو السماء كي يوضِّح انبثاقَ الروح من الآب. يوحنا هو من يُعرِّف الروحَ بأنه «روح الحق» ويصفه بالبارقليطُس أي «المعزِّي» ويتحدَّث عن عمله كالمعلِّم والشاهد.

يركز كلٌّ من متى ومرقس ولوقا على الألم والحزن البشري في آلام يسوع، ويوضِّحون أنه تشارَكَ في أحزانه مع الرسل. لكن (يوحنا ١٤: ٢٧) ينظر إلى نفس الأحداث من زاويةٍ مختلفة، موضِّحًا كيف كان يسوعُ يعزي أتباعَه. إنه نفس البستان، لكن (يوحنا ١٨: ٤ – ٦) يكمل تصويرَ لوقا لصراع الابن مع مشيئة الآب من خلال تصوير يسوع المُسالِم المتحكِّم في الموقف. وبعد أن يصف يوحنا القيامةَ، يسير ببشارته نحو قمة الإيمان والحياة والمحبة في (يوحنا ٢٠: ٢٧ – ٣١). لكن بعد ذلك، وعلى الرغم من أن البشارة تبدو وقد انتهت، يشعر يوحنا بوجوب إضافة حاشية عن المحبة.

وهكذا تنتهي هذه البشارةُ بتذكيرنا بأن العمل الإنساني ينتهي دائمًا

بالفشل، وبمثالٍ على كيف يُخرِج الابنُ المجدَ من هذا الفشل، وبمعجزةٍ يعطي فيها الابنُ بسخاءٍ لمن نضب عطاؤهم، وأخيرًا بثلاثة أسئلةٍ عن المحبة.

تنتهي بشارةُ متى بإعلان الابن الملكي عن السُّلطة المطلقة، وتنتهي بشارةُ مرقس بتوضيح أن الابن الخادم لازال يعمل مع تلاميذه، وتنتهي بشارةُ لوقا بوعد الابن الإنسان بإرسال معونةٍ أكثر لأتباعه، وتنتهي بشارةُ يوحنا بتوضيح أن الابن الإلهي مازال يبحث عن المحبة.

أربع بشائر – الابن الواحد:

رأينا أن البشائر الأربع تقدِّم صورًا مميَّزةً للابن. تحتوي كلُّ بشارةٍ على كلمات خاصة وأفكار مميَّزة ووجهات نظر متفرِّدة. وتبدأ كلٌّ منها وتنتهي بطريقةٍ تعكس نقاط تركيزها الخاصة.

لكن هناك يسوع واحدًا فقط وابنًا واحدًا فقط والله واحدًا فقط وصليبًا واحدًا فقط و«بشارةً» واحدةً فقط. لا تتحدث البشائرُ الأربع عن أربعة «أبناء» مختلفين، لكنها تعلن جميعًا عن الابن المتفرِّد بطرق مُوحَى بها متداخلة مكمِّلة لبعضها البعض. إذا كنا نعرف الابنَ في كمال الوحي الإلهي، فإننا نحتاج إلى أن نعرفه ونسجد له ونعلن شخصَه بهذه الطرق الأربع المكلمة لبعضها البعض دون أن نتجاهل إحداها أو نغالي في التأكيد على إحداها.

يسوع شخصٌ متفرِّدٌ؛ لأنه إنسانٌ كاملٌ وإلهٌ كاملٌ في ذات الوقت. هو وحده ملك وخادم وإنسان بلا خطية والله الحي. وعلى الرغم من أن كل بشارة تركز على جوانب مختلفة ـ إلى حدٍّ ما ـ من عمل وطبيعة الابن، إلا أنها جميعًا تقدم بشارةً واحدةً عن شخصٍ واحدٍ.

أربع "ترانيم" – ابن واحد:

بعد هذه الصور الدقيقة التي تقدِّمها البشائرُ الأربع عن الابن، يركِّز باقي العهد الجديد بصورةٍ أكبر على نتائج ومعنى عمل الابن أكثر من تركيزه على إعطاء وصفٍ مفصَّلٍ لطبيعته وإرساليته. لكن هناك نصَّين «رئيسيين» ونصَّين «ثانويين» يقدمون ملخصًا مهمًّا ومُوحَى به عن هذا الشخص المتفرِّد.

يعتقد معظمُ الدارسين أن هذه النصوص كانت في الأساس أجزاء من ترانيم وضعتها واستخدمتها الكنيسةُ الأولى قبل أن ترد في العهد الجديد. لكن، أيًّا كان أصل هذه النصوص، فهي تحتوي على معلومات قيِّمة عن الابن تساعدنا على معرفته بشكل أفضل.

(فيلبي ٢: ٥ – ١١)

هذه الترنيمة الشهيرة رائعة الغنى بتصريحات عن المسيح يسوع الابن، وهي تعلِّمنا الكثيرَ عن وجوده الأزلي وتجسُّده وتمجيده.

وجود الابن الأزلي

يعلن (فيلبي ٢:٦) عن وجود الابن الأزلي، لكن بعض القادة يختلفون فيما يتعلق بالمعنى الدقيق لهذا العدد. الكلمة اليونانية «morphe» التي تعني «شكلاً» تُفهَم على أنها تعني في الأصل «جوهرًا». ولذلك، كان أغلب قادة الكنيسة يعتقدون أن معنى ذلك هو وجود طبيعة الله الإلهية في الابن بصورةٍ دائمةٍ، وأن الابن هو دائمًا مساوٍ للآب بصورة كاملة.

لكن البعض قالوا مؤخرًا إن كلمة «morphe» تعني «حالة» أو «صورة» وليس «جوهرًا». ويضيفون أن هذا المعنى أكثر اتفاقًا مع تعاليم بولس في

(٢كورنثوس ٤: ٤) و(كولوسي ١: ١٥)، وعليه، يكون يسوع مجرد ممثِّل لله مثله ـ إلى حدٍّ ما ـ مثل آدم المخلوق على صورة الله. لكننا سنرى أن كلمة «صورة» في (كولوسي ١: ١٥) تعني أكثر من مجرد «ممثِّل» وأنها تتضمن الحضورَ الفعلي لله.

ليس من الواضح إن كان معنى (فيلبي ٢: ٦) هو أن المسيح لم يتمسك بما يمتلكه فعلاً (أي كونه مساويًا لله) بل تخلى عنه بإرادته، أم أن معناها هو أنه قاوم إغراءَ التمسُّك بما ليس له بعد (أي مجد الملك على الخليقة) وكان مقتنعًا بانتظار حدوث ذلك. ربما يكون هذا الالتباس في معنى العدد هو التباسًا متعمَّدًا يشير إلى الحقيقتين معًا.

تجسُّد الابن

يصف (فيلبي ٢: ٧ – ٨) تجسُّدَ الابن من خلال فعل التجسُّد، وكذلك من خلال حياة التجسُّد. يختلف الكثيرون أيضًا بشأن معنى (ع ٧).

يقول البعضُ إن الإنسان يسوع ما كان بإمكانه أن يكون ذا طبيعةٍ إلهيةٍ إذا كانت مساواته مع الآب قد وُضعت جانبًا. يعتقد الكثيرون أن يسوع تخلَّى فقط عن منزلة المساواة العلنية مع الله. لكن البعض الآخر يقول إن كلمة «أخلى» يجب أن تُفهَم على أنها إعلانٌ عن إنكار الذات والتواضع الإلهي.

من المهم أن نفهم أن تجسُّد يسوع كان بإضافة صفاتٍ بشريةٍ وليس بطرح صفاتٍ إلهيةٍ. بعبارة أخرى، أصبح يسوع إنسانًا بإضافة الطبيعة البشرية للاهوته الموجود بالفعل وليس بتجريد إنسانيته من الإلوهية أو بأن أصبح أقل من الله.

إشارة بولس إلى «عبد» في (ع ٧) والوصف الذي يعطيه في (ع ٨) هو إشارة إلى «عبد الله» الذي يتحدث عنه إشعياء. وكما يقول (ع ٦) إن يسوع كامل اللاهوت، يقول (ع ٧) إنه كامل الناسوت – إنه «المسيح» الممسوح الذي تحدثنا عنه في الجزء الأول.

وعلى الرغم من أن (ع ٨) يقول إن بشرية يسوع هي عكس إلوهيته الأزلية، إلا أن بولس لا يحاول أن يحل هذا التوتر في طبيعة يسوع المزدوجة، لكنه ـ مثل باقي كُتَّاب العهد الجديد ـ يعلن سرَّ تجسُّد يسوع دون محاولة شرحه أو تبريره.

تمجيد الابن

يعلن (فيلبي ٢: ٩ – ١١) عن تمجيد الابن ويقول إن هذا التمجيد يتضمَّن:

- عملاً إلهيًّا.
- إعطاء اسم فريد.
- سجودًا من كلِّ الناس.
- اعترافًا من الكلِّ بسيادته.

يعتقد بعضُ القادة أن يسوع رُفِع إلى منزلةٍ أعظم من منزلته الأزلية قبل التجسُّد. لكن البعض الآخر لا يعتقد أن هذا ممكن ويقولون إن (ع ٩) يعني أن يسوع استعاد منزلتَه الأصلية.

إن المعنى المقصود هنا هو أن يسوع أُعطِي المنزلة المجيدة للحاكم المسؤول عن الكون. هذا هو المقصود بالمنزلة الرفيعة التي يشير إليها العدد. لكن علينا أن نلاحظ أن هذه المنزلة الرفيعة ستجعل «كل ركبة تجثو» لسلطان الله المُهَيمِن، وعليه ـ طبقًا لما ورد في (١كورنثوس ١٥: ٢٤ – ٢٨)

ـ سيسلِّم الابنُ «ملكوتَه» أو سلطتَه الحاكمةَ للآب مرةً أخرى. هذا هو المقصود من (فيلبي ٢: ١١) عندما يقول إن رفعة يسوع هي «لمجد الله الآب».

لا يُعرِّف (ع ٩) ما هو الاسم المُمجَّد الجديد الذي أُعطِي ليسوع، لكن دارسي الكتاب المقدس اعتقدوا دائمًا أن بولس يقصد هنا لقبَ «الرب» الذي ـ كما رأينا ـ كان هو اللقب المُستَخدَم ليسوع بعد القيامة.

يؤكد كلٌّ من (ع ١٠) و(ع ١١) على تمجيد الابن، وذلك بالتنبُّؤ بسجود وعبادة الكل له تتميمًا لما ورد في (إشعياء ٤٥: ٢٣). وهذا إثباتٌ آخر على أن يسوع له إلوهية الله ذاته. وحقيقة أن السجود للابن يمجِّد اللهَ الآبَ توضح أن الابن ليس مستقلاً بلاهوته.

(كولوسي ١: ١٥ - ٢٠)

سواء كان هذا النص مأخوذًا من ترنيمةٍ قديمةٍ أم لا، فهو وصفٌ رائعٌ للمسيح يوضِّح أن الابنَ:

- بكر كل خليقةٍ.
- أسمى من الخليقة.
- ملء الله الكامل.

سمو المسيح

يقول بولس في (كولوسي ١: ١٥) إن يسوع هو صورة الله غير المنظور والإعلان الكامل عنه. يعلِّمنا الكتابُ المقدس دائمًا أن الله غير منظور، لكن بولس يُعلِن عن رؤية غير المنظور من خلال المسيح الذي هو صورته الكاملة. لا يقول بولس إن يسوع مجرد ممثِّل لله. لكنه يؤكِّد على أن غير المنظور قد أصبح منظورًا في شخصه.

يعتقد البعضُ أن تعبير «البكر» يعني أن المسيح مخلوقٌ، لكن إذا كان هذا هو المعنى الذي يقصده بولس، فما كان قد صرح في العدد التالي بأن هذا البكر هو خالق كل الأشياء. يؤكد كلُّ هذا النص على وجود الابن الأزلي وسموِّه؛ فكلُّ شيءٍ «به» و«له» قد خُلِق. إنه مصدر ومركز وقصد كل الخليقة.

كفاية المسيح

يردد (كولوسي ١: ١٧ – ١٨) صدى ما ورد في (عبرانيين ١: ٣) موضحًا أن كل الأشياء تقوم معًا في المسيح الذي هو أساس تماسك وترابط هذا الكون. المسيح ليس خالقًا غائبًا عن خليقته أو غير مهتم بها، لكنه الرأس الفعَّال المُعطَى للكنيسة.

ملء المسيح

إن ما ورد في (كولوسي ١: ١٨ – ١٩) هو ذروة تأكيد بولس على شخص الابن. عندما يعلن بولس عن سمو المسيح، فهو يؤكِّد على تفرُّده، لكنه يؤكِّد على أكثر من ذلك عندما يربط هذا السموَّ بالملء. يوضح (كولوسي ٢: ٩) أن معنى الملء هو جوهر الله الكامل. ببساطة، كل ما هو الله يوجد في المسيح.

ربما يكون هذا أعظم وأهم تصريح لبولس عن الابن. وعلينا أن نفهم كلَّ ما يكتبه عن «الصورة» أو «الشكل» في ضوء (كولوسي ١: ١٩ و٢: ٩).

يوضح (كولوسي ١: ٢٠) أن حلول كل ملء الله في المسيح له هدف وظيفي ليس فقط بالنسبة للبشرية، لكن بالنسبة «لكل الأشياء» أيضًا. نتناول هذه الحقيقةَ في كتابي «الوصول للتائهين» و«Salvation by Grace». وهذا يوضِّح أن معرفة الابن هي أمرٌ عملي وليس نظريًّا. لو أننا لا نعرف المسيحَ

كالمصالح الشخصي عن تجربة، فستكون كل معرفتنا النظرية مضيعةً للوقت لا طائل من ورائها.

ترانيم أخرى:

غالبًا ما يقال إن (١ تيموثاوس ٣:١٦) و(عبرانيين ١:٣) هي مقتطفات من ترانيم كانت الكنيسة الأولى تحتفي من خلالها بحياة الابن المتفرِّدة.

(١ تيموثاوس ٣:١٦)

يلخص (١ تيموثاوس ٣:١٦) حقيقةَ التجسُّد بإعلان أن الله ظهر في الجسد، وبتوضيح العلاقة الوثيقة بين الابن والروح في الحياة المتجسِّدة (والتي سنتناولها في الجزء السادس) وكذلك بقوله إنه رُفع في المجد. نرى هذا التأكيد على مصير الابن الممجَّد في (فيلبي ٢:١١) و(عبرانيين ١:٣) أيضًا.

(عبرانيين ١:٣)

يعطينا (عبرانيين ١:٣) نظرةً ساميةً أخرى عن المسيح تؤكِّد على علاقة الابن بالخليقة وبالله. يستخدم هذا العدد كلمتين يونانيتين مهمتين لتوضيح علاقة الابن بالله.

الكلمة الأولى هي «apaugasma» وهي غالبًا ما تُترجَم «سطوع» أو «صورة منعكسة» لكنها في الواقع تعني «بهاء». وهي تنطوي على معنى السطوع الباهر الذي يشع من ضوء لامع. والكلمة تُستَخدَم هنا ـ كما في (كولوسي ١:١٥) و(يوحنا ١:١٤) ـ لتوضِّح أن مجد الله يمكن أن يُرَى بصورةٍ كاملةٍ وتامة في شخص ابنه.

الكلمة الثانية هي كلمة «charakter» والتي عادةً تُترجَم «صورة»، لكنها كلمة تقنية تنطوي على فكرة أداة نقش مثل العلامة الموجودة على ختم يحمل الصورة الدقيقة لشيءٍ ما حتى ينسخه تمامًا كما هو. وهذا يوضح أن هناك تطابقًا تامًّا بين طبيعة الابن وطبيعة الآب، وأن تجسُّد الابن هو في الأساس تجسُّد وظيفي.

يشير هذا العدد مثل (فيلبي ٢: ١٠ – ١١) إلى تمجيد الابن وذلك بالحديث عن جلوسه «في يمين العظمة في الأعالي». وهو يوضح أن هذا التمجيد جاء بعد تطهيره لنا من خطايانا – يشير (فيلبي ٢: ١٠ – ١١) إلى هذه الحقيقة أيضًا لكن بصورةٍ ضمنيةٍ عندما تتحدث عن طاعة الابن حتى موت الصليب.

الأربع ترانيم:

هذه الترانيم الأربع عن شخص المسيح مهمة جدًّا؛ لأنها تتوسَّع في الحديث عن العديد من الأفكار المتضمَّنة في أسماء وألقاب الابن في العهد الجديد، ولأنها توضِّح - بما لا يدع مجالاً للشك - أن يسوع هو إنسانٌ كاملٌ وإلهٌ كاملٌ.

عندما ننظر إلى هذه الترانيم الأربع معًا كما ننظر إلى البشائر الأربع معًا، فسوف نرى أنها تربط بين تمجيد الابن واتِّضاعه، وأنها تقدِّم لنا شخصًا متفرِّدًا تمامًا. مبادئ مثل «المساواة مع الله» في (فيلبي ٢) و«الصورة» و«الملء» في (كولوسي ١) و«البهاء» الإلهي في (عبرانيين ١) تجعل من المستحيل علينا ألا نؤمن بأن الابن كان أكثر من مجرد إنسان. وهي جميعها تؤكد على شخص المسيح الواحد ذي الطبيعتين.

على الرغم من أنه من المستحيل على عقولنا البشرية أن تستوعب أو تشرح سرَّ تجسُّد الابن وطبيعته المزدوجة، وما بها من تناقضٍ ظاهري، إلا أنه علينا دائمًا أن نحاولَ أن ننظر إلى رفعته واتضاعه، مجده ووداعته، جلاله وخدمته، سلطانه وخضوعه، إنسانيته ولاهوته، عدله ورحمته؛ لأننا في الواقع إن لم نجاهد في فهم ملء طبيعةِ الابن المتفرِّدة فمن المحتمل ألا نعرفه جيدًا.

الجزء الرابع

حياة متفرِّدة

تصف البشائرُ الأربع حياةً غاية في التفرد؛ فكلمات يسوع وأعماله وموته وكماله الذي بلا خطية تفصله جميعُها عن الكل، وتجعل منه شخصًا متميِّزًا كان مركزًا للجدال في عصره، شخصًا احتُفي به وكُرِّم وسُبَّ لأكثر من حوالي ألفي عام.

من بين كل الأحداث الكتابية المسجَّلة عن أمثال ومعجزات ورحمة الابن وغضبه المقدس وصلبه وهكذا، تبرز ثلاثة أحداث وتقف متفرِّدة.

على مدار التاريخ، علَّم الكثيرون مبادئ روحيةً وقصصًا بقيت، وصنع الكثيرون معجزات حقيقيةً وأظهر البعضُ رحمةً عميقةً، بل ولاقى البعضُ ميتات رهيبةً. لكن لا أحد سوى يسوع اختبر الميلادَ العذراوي والقيامة من بين الأموات والصعود إلى السماء.

على الرغم من أن العهد الجديد يقدِّم هذه الروايات الفوقية الثلاث على أنها حقائقٌ تاريخيةٌ، إلا أنها تمثل حجرَ عثرةٍ لإيمان الكثيرين من الناس. من الممكن أن يقبل هؤلاء أن الابن كان رجلاً صالحًا، وأنه صنع المعجزات، بل وأنه كان الله ذاته، لكنهم لن يصدِّقوا أنه وُلِد من عذراء، وأنه قام من الموت، وصعد إلى السماء على سحابةٍ.

إذا أردنا أن نعرف الابنَ في ملء الإعلان الكتابي عنه، فعلينا أن نعرفه

بصورةٍ شخصيةٍ، ونعلن شخصَه بوضوحٍ مؤكِّدين على أن هذه الأحداث الثلاثة المتفرِّدة تمثِّل إطارَ حياته.

الميلاد العذراوي:

رأينا أن متى ولوقا يصفان ميلادًا غير معتاد بالمرة، وأن لوقا يخصِّص مساحةً كبيرةً من كتاباته لقصص الميلاد. وقصصهما التي دققا في البحث في تفاصيلها مهمة جدًّا لفهمنا لهذا الحدث المتفرِّد في حياة الابن.

لوقا

في (لوقا ١: ٢٧ – ٣٨) يصف لوقا مريمَ بأنها عذراء، ويسجل إعلانَ الملاك لها بأنها ستحبل وتلد ابنًا يكون اسمه يسوع و«ابن العلي» يُدعَى، وأن هذا الابن سيملك على إسرائيل مُلكًا بلا نهاية. نوضِّح مرةً أخرى هنا أن هذه المقدمة البسيطة عن الابن تضم كلاًّ من ناسوته ولاهوته.

وعندما سألت مريمُ المتحيِّرةُ عن كيف يمكن أن يحدث ذلك وهي عذراء، لم يدخل الملاك في أية تفاصيل، بل أعلن فقط أن هذا الميلاد لن يحدث بطريقة التكاثر العادية للبشر، لكنه سيكون عملاً لا يُضاهَى للروح القدس.

يعلن لوقا الطبيب في (لوقا ١: ١ – ٤) أنه يكتب متتبِّعًا الأحداث بترتيب وتدقيق كما رآها شهود عيان، ويؤكد على أن ما يكتبه هو أمور «متيقنة».

يتبع خبيرُ الطب في القرن الأول نفسَ هذا الأسلوب في وصف الحَمل المعجزي ليوحنا والولادة الخارقة للطبيعة للابن – والتي يفسِّرها بقوة الروح. يبدو الأمرُ وكأن لوقا يقول: «أعرف أن هذا يفوق الطبيعة. لكن ثقوا

بي. أنا طبيب وقد تفحصت هذه الأحداث وسألت من شهدها. ثقوا بما أقول، فلقد وقعت هذه الأحداث تمامًا كما أصفها لكم».

عندما يستمر لوقا في وصف النمو البشري الطبيعي ليسوع وطاعته لوالديه وازدياد حكمته (٢: ٤٠، ٥١ – ٥٢) فهو يوضِّح أن الميلاد العذراوي لا ينفي إنسانية يسوع. وهو بهذه الطريقة البسيطة، يؤكِّد على وجود جانب طبيعي وجانب يفوق الطبيعة في الابن.

علينا أن نقبل أن لوقا يخبرنا عن مريم العذراء وعن الميلاد العذراوي كحقائق مقبولة. وكما أُجبِر أكثر النقاد شكًّا على قبول الدقة المتناهية للتفاصيل التاريخية والسياسية والجغرافية والأثرية التي يذكرها لوقا، سيكون من الصعب عليهم رفض هذا الجزء من البشارة لأي سببٍ من الأسباب سوى التحيُّز الأعمى غير العاقل.

متى

على الرغم من أن متى – كما رأينا – يتحدث عن ولادة يسوع من وجهة نظر يوسف ويتجاهل مريم بصورة كبيرة، إلا أنه يضيف الكثير إلى فهمنا للميلاد العذراوي حيث يشرح على سبيل المثال أن:

- يسوع وُلِد من مريم وليس من يوسف ومريم (متى ١: ١٦).
- مريم وُجِدت حُبلى من الروح القدس لما كانت مخطوبة ليوسف وقبل أن «يجتمعا» (متى ١: ١٨، ٢٠).
- يوسف لم «يعرف» زوجته حتى ولدت ابنها (متى ١: ٢٥).
- تتمم هذه الأحداثُ نبوةَ (إشعياء ٧: ١٤) عن العذراء التي تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل (متى ١: ٢٣).

يقول البعض إن المعنى الحرفي لكلمة «parthenos» التي يستخدمها متى هو «شابة». لكن متى يوضح صراحةً أن مريم كانت امرأةً طاهرةً غير متزوجةٍ، وعليه، من الصحيح ترجمة كلمة «parthenos» إلى «عذراء».

مرقس ويوحنا

رأينا فيما سبق أن مرقس لا يذكر شيئًا عن ميلاد يسوع ويبدأ مباشرةً بالحديث عن خدمته، وأن يوحنا يبدأ بذكر أصوله الإلهية.

تأتي مساهمة مرقس في فهمنا لميلاد يسوع في (مرقس ٦: ٣)؛ حيث يسجِّل أن أهل الناصرة أشاروا إلى يسوع بأنه «ابن مريم» - وهو ما يخالف الممارسات اليهودية التقليدية.

يقول البعضُ إن في هذا إشارة إلى موت يوسف المبكر، لكن (يوحنا ٦: ٤٢) يؤكد على خطأ هذا القول. الأكثر احتمالاً هو أن تعليق الناس في (مرقس ٦: ٣) إنما يشير إلى ميلاد يسوع غير المعتاد كما يفعلون في (يوحنا ٨: ٤١).

لا يبين لنا تصريح (يوحنا ١: ١٤) بأن الكلمة صار جسدًا وحل بيننا كيفية وقوع هذا الحدث المميَّز، لكنه يتطلب بكلِّ تأكيد وجود كيفية معيَّنة يصبح بها شخصٌ أزلي الوجود إنسانًا.

على الرغم من أن يوحنا لا يشرح كيف حبلت مريم بيسوع وولدته، إلا أنه يعلِّمنا الكثيرَ عن الميلاد الروحي. يعتقد قادة كثيرون أن ورود (يوحنا ١: ١٢ – ١٣) قبل (يوحنا ١: ١٤) مباشرةً له دلالة مهمة، وأن هناك ربطًا بين الطريقة التي وُلِد بها يسوع، والطريقة التي يختبر بها المؤمنون الميلادَ الثاني.

إلى جانب ذلك، يستخدم يوحنا الفعل «gennao» (الذي يشير إلى الولادة الجسدية الطبيعية) في كل الأصحاح الثالث من بشارته، حيث يصرح يسوعُ أنه نزل من السماء ويربط ذلك بالولادة من الروح.

ترد كلمة «gennao» أيضًا في (١يوحنا ٢: ٢٩ و٣: ٩ و٤: ٧ و٥: ٤، ١٨) وتشير إلى وجود نوعٍ من التوازي بين تجسُّد المسيح وسُكنَى المسيح في هؤلاء الذين يولدون ثانيةً من الروح.

بولس

يقول بعضُ دارسي الكتاب المقدس إن بولس لم يكن يؤمن بالميلاد العذراوي؛ حيث لم يذكره في رسائله، لكن القول الذي بلا حجة هو قولٌ ضعيفٌ دائمًا. ولو استنتجنا ما يترتب منطقيًّا على مثل هذا القول فسيكون هو أن بولس لم يؤمن بالكثيرين من أنبياء وملوك العهد القديم وبأجزاء كبيرة من الأسفار المقدسة.

على الرغم من عدم وجود تصريحاتٍ واضحةٍ عن ميلاد يسوع العذراوي في رسائل بولس، إلا أن هناك العديد من الإشارات إليه. والأهم من ذلك أن بولس في (رومية ١: ٣) و(غلاطية ٤: ٤) و(فيلبي ٢: ٧) لم يستخدم الفعل «gennao» المعتاد كي يصف الميلادَ لكنه استخدم الفعل «genomenos» الذي يصعب ترجمته والذي يعني «أتى إلى الوجود» أكثر مما يعني «وُلِد».

التفسير المنطقي الوحيد لدلالة هذا الاستخدام البديل المتكرر للفعل «Genomenos» هو أن بولس يسعى إلى التفريق بين «إتيان يسوع إلى الوجود على الأرض» وولادة البشر الطبيعية.

القصد من الميلاد العذراوي

يقول مؤمنون قليلون إن يسوع كان يجب أن يُولَد من عذراء حتى يكون خاليًا من الخطية الأصلية. لكن مثل هذا القول يؤكِّد بصورةٍ ضمنيةٍ على عقيدة الحَمَل الطاهر التي تنادي بأن مريم حُفِظت بطريقةٍ ما من فساد الخطية الأصلية وهو أمر لا يشهد عنه الكتابُ المقدس. علينا أن نتذكر أن تدخُّل الروح في حبل مريم - وليس طهارة مريم الجنسية - هو ما ضمن أن يكون يسوع بلا خطيةٍ.

يقول البعضُ الآخر إن فكرة التجسُّد تتطلب ميلادًا عذراويًّا، وإلا لكان يسوع مجرد إنسان. لكن الله كان قادرًا بالتأكيد على أن يتمِّم التجسُّدَ بالعديد من الطرق الأخرى. ويقول فريقٌ ثالثٌ إن الميلاد العذراوي كان ضروريًّا لتوضيح أن الله وليس يوسف هو أبو يسوع.

كل ما يمكننا قوله بالتأكيد هو إن الميلاد العذراوي يؤكِّد بصورةٍ عظيمةٍ على تفرُّد يسوع وأنه يناسب تمامًا طبيعة الشخص الذي أصبح جسدًا على الرغم من أنه مساوٍ لله.

سيظل هناك دائمًا سرٌّ متعلقٌ بالتجسد والميلاد العذراوي؛ لأن الأحداث المتفردة بحق يحيطها الغموضُ دائمًا. ربما لا يُذكَر الميلاد العذراوي كثيرًا في رسائل الكنيسة الأولى، لكن هذا لا ينفي أهميته.

القيامة:

بعد صلب المسيح أصبح التلاميذ مجموعةً متفرقةً من الأشخاص الذين على استعداد للعودة إلى بيوتهم وحياتهم السابقة. لكن شيئًا ما حدث وأقنعهم أن يسوع لازال حيًّا وأن لهم رسالة يمكن أن تغيِّر كلَّ العالم.

على هؤلاء الشكَّاكين الذين لا يؤمنون أن الابن قام من بين الأموات أن يشرحوا هذا التحوُّلَ العظيمَ في حياة التلاميذ وجسارتهم في إعلان البشارة على الرغم من المعارضة الفظيعة التي لاقوها. بالنسبة للمسيحيين، القيامة الفعلية ليسوع هي السبب الواضح لهذا التغيُّر المفاجئ في موقف وعمل التلاميذ.

نقرأ في (أعمال ٢: ٢٤، ٣٦) أن الكارزين المسيحيين الأوائل أعلنوا أن الشخص الذي صلبه اليهودُ قامَ من الموت وأن الله جعله ربًّا ومسيحًا. لابد أن شيئًا ما قد حدث حتى تكون لديهم مثل هذه القناعة. يجتمع كتَّابُ العهد الجديد على أن هذا الشيء كان هو القيامة الفعلية ليسوع.

نتناول كلَّ الأدلة المختلفة على القيامة في كتاب «الوصول للتائهين» ونوضح كيفية الإجابة على اعتراضات هؤلاء الذين يرفضون القيامة.

كانت القيامة من الأهمية بالنسبة للكنيسة الأولى لدرجة أن من شهدوا القيامة فقط كانوا هم المرشَّحين للحلول محل يهوذا كما نقرأ في (أعمال الرسل ١: ٢٢). ونرى كذلك أن القيامة في كل سفر الأعمال كانت تحتل المرتبةَ العليا في كرازة وتعليم الكنيسة كما نقرأ على سبيل المثال في (أعمال ٣: ١٥، ٢٦ و٤: ٢، ١٠، ٣٣ و٥: ٣٠ و١٠: ٤٠ و١٣: ٣٧ و١٧: ٣١ و٢٥: ١٩).

التنبُّؤ بالقيامة

يسجل كلٌّ من متى ومرقس ولوقا أن يسوع تنبَّأ بموته ثلاث مرات وأنه ربط موتَه بوعد القيامة بعد ثلاثة أيام. نرى ذلك في (متى ١٦: ٢١

و١٧: ٢٢ – ٢٣ و٢٠: ١٩) و(مرقس ٨: ٣١ و٩: ٣١ و١٠: ٣٤) و(لوقا ٩: ٢٢ و١٨: ٣٢ – ٣٤).

تدل حقيقة تنبؤ يسوع بموته وقيامته عدة مرات على أن التلاميذ لم يكونوا ليستوعبوا هذا الأمر بسهولةٍ. كانت مشكلة التلاميذ هي أن لهم أفكارًا خاطئةً عن إرسالية يسوع. يوضح (لوقا ٢٤: ٢١) أن أملهم كان مثبَّتًا على المملكة الفعلية، وأنهم تشتَّتوا بعد الصلب.

كل التلاميذ ـ فيما عدا يوحنا خذلوا يسوعَ ولم يكونوا معه عند الصليب؛ حيث لم يكن لديهم إيمانٌ فيما يتعلق بالقصد الروحي لإرسالية يسوع، كما لم يتذكروا ما تنبَّأ به عن موته وقيامته. توضح البشائرُ أن فكرة المسيا المتألم كانت فكرةً غير مقبولة ليس فقط لدى اليهود، بل لدى التلاميذ أيضًا. لذلك، ليس من المستغرب أن التلاميذ هربوا عندما صُلِب يسوعُ.

تتميم القيامة

لا يشرح الكتابُ المقدس أبدًا كيف عمل اللهُ في الخلق؛ لأننا لا نعلم، ولا يمكن أن نفهم، طرقَ عمله الإلهية. لذلك، لا يحاول كتَّابُ البشائر أن يشرحوا كيف أقام اللهُ يسوعَ من الموت، لكنهم يسجِّلون فقط ما قد رأوه:

- كان القبر فارغًا (متى ٢٨: ١ – ١٥) و(مرقس ١٦: ٤ – ١١) و(لوقا ٢٤: ٢ – ٤، ١٢) و(يوحنا ٢٠: ١ – ١٠).
- ظهر الرب المقام لتلاميذ بمفردهم ولجماعات صغيرة منهم وحتى لمجموعة كبيرة من ٥٠٠ شخص (متى ٢٨: ٩، ١٦ – ٢٠) و(مرقس ١٦: ٩، ١٢، ١٤) و(لوقا ٢٤: ١٣ – ٥٣) و(يوحنا ٢٠: ١٤ – ٢٩ و٢١: ١ – ٢٣) و(أعمال ١: ٣، ٤ – ٨) و(١كورنثوس ١٥: ٦).

رأينا في كتاب «الوصول للتائهين» أن الأشخاص الذين يرفضون الإيمانَ بالقيامة، عليهم أن يعطونا تفسيرًا بديلاً لهذه الحقائق. لا يستطيع من يؤكدون على أن ظهورات المسيح كانت عبارة عن هلوسة، أن يفسِّروا قضيةَ القبر الفارغ. والذين يؤكِّدون على أن فراغ القبر كان عبارة عن احتيال وخداع، لا يستطيعون تفسيرَ ظهورات القيامة.

لقد أكد ظهورُ الابن على قيامته ومنحه سلسلة من المناسبات التي علَّم فيها تلاميذَه عن الملكوت في ضوء القيامة.

إعلان القيامة

يقول الرسول بولس في (١كورنثوس ١٥: ٣ – ١١) أنه «قَبِل»:

- حقيقةَ موت المسيح.
- التفسير والتطبيق الروحي لموته.
- الدفن والقيامة.
- ظهورات القيامة.
- تأكيد الأسفار المقدسة على القيامة.

يذكر بولس الظهورات حتى يؤكِّد صحة القيامة، واصفًا تجربته الشخصية. ثم يقوم بتطبيق ذلك في إعلانه العام عن القيامة في (١كورنثوس ١٥: ١٢ – ٥٨). يؤكد بولس في هذا النص على أن الإيمان المسيحي يصبح بلا طائلٍ إن لم يكن المسيح قد قام. القيامة بالنسبة لبولس هي مركز إيمانه وفكره، كما أنها مركز تجربته.

تتخلل القيامةُ كلَّ تعاليم بولس. يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية على سبيل المثال إن القيامة:

- تشهد لبنوية يسوع (رومية ١: ٤).
- مرتبطة بالتبرير (رومية ٤: ٢٤ – ٢٥).
- مرتبطة بالخلاص (رومية ٥: ١٠).
- مرتبطة بالمعمودية والدخول إلى الحياة الجديدة (رومية ٦: ٣).
- مرتبطة بالروح (رومية ٨: ١١).
- ضمان شفاعته (رومية ٨: ٣٤).

تؤكد رسائل بولس الأخرى على القيامة وتعلنها كما نرى على سبيل المثال في (غلاطية ١: ١) و(أفسس ١: ٢٠) و(فيلبى ٣: ١٠) و(كولوسي ٢: ١٢ و٣: ١) و(١ تسالونيكي ١: ١٠). قيامة الابن بالنسبة له هي حقيقة تاريخية غير قابلة للشك والجدل، كما أنها من أساسيات كرازته.

كان على بولس مثلنا أن يتعلم عن القيامة من الآخرين، لكن بطرس كان شاهد عيان. يوضح بطرس في (١ بطرس ١: ٣، ٢١ – ٢٢) العلاقةَ بين القيامة والولادة الجديدة وثقتنا في الله. كان بطرس يكتب في الأساس إلى المؤمنين المُضطَهَدين المتألِّمين، مؤكِّدًا لهم أن ألمهم سيعطي مجدًا للمسيح المقام. حقيقة القيامة بالنسبة لبطرس هي أساس الرجاء الذي لا جدال بشأنه. كان الرسول يوحنا شاهد عيان آخر ويتمحور سفر الرؤيا الذي كتبه حول المسيح المقام. نرى ذلك على سبيل المثال في (رؤيا ١: ٥، ١٧ – ١٨).

نرى في كتاب «Salvation by Grace» أن القيامة هي دليل على من هو شخص يسوع وما حققه على الصليب. عندما نفكِّر بعمقٍ، سيكون بإمكاننا أن نرى أن طبيعة الابن المزدوجة قائمةٌ على كون القيامة حدثًا حقيقيًّا.

بدون القيامة، الابن هو إما شخص إلهي لم يصبح إنسانًا حقًّا ولم يَمُت أو إنسان وليس إلهًا مات ولم يَقُم. القيامة وحدها هي التي تضمن الطبيعةَ

المزدوجةَ للمسيح. ولذلك فهي مهمة جدًّا لفهمنا للابن ومركزية بالنسبة لإيماننا المسيحي.

يمكننا أن نفهم القيامةَ فقط باعتبارها عمل فوقي لله. على الرغم من أن يسوع يعلن في (يوحنا ١٠:١٨) أن له سلطانًا أن يأخذ حياتَه بعد أن يضعها، إلا أن العهد الجديد لا يقول أبدًا إن القيامة كانت عملاً مستقلاًّ للمسيح.

لقد كانت القوة التي خلف القيامة هي قوة الله وكانت توضيحًا ساميًا للقوة الإلهية. كانت القيامة عملاً هزم الموتَ وكبح الفسادَ. عندما أقام اللهُ ابنَه من الموت إلى الحياة، منح البشرية طريقًا من الموت إلى الحياة. وهذا يعني أن القيامة هي جزءٌ أساسي من خطة الله لخلاصنا.

لكن ليس هذا هو كل ما يتعلق بالقيامة؛ حيث إنها تعبِّر أيضًا عن رضا الله عما فعله المسيحُ على الصليب وتُدافِع عن إرساليته. لو أن المسيح لم يقم من الموت، لما كان هناك دليل مرئي على أن موته تمم أيَّ شيء.

وفوق ذلك كله، تعتمد ثقتنا في أن المسيح لازال يهتم بنا اليوم ولازال يشفع من أجلنا على قيامته. كما يقوم مجده واسمه الجديد ومكانته التي رُدَّت إليه وعمله الحالي على قيامته. إنه بدون القيامة ـ كما يقول بولس ـ يصبح إيماننا بلا معنى ورجاؤنا باطلاً.

الصعود:

الحدث الثالث الفريد في حياة يسوع هنا على الأرض كان هو صعوده إلى السماء. والصعود هو تكميل لقيامته وبداية لتمجيده.

يسجل (مرقس ١٦:١٩) و(لوقا ٢٤:٥٠ – ٥١) مغادرة يسوع للأرض واستقباله في السماء. لكن حديثهما هو دلالةٌ ضمنيةٌ على الصعود أكثر

منه تسجيلاً له. لا يذكر كلٌّ من متى ويوحنا مغادرةَ يسوع للأرض، لكن (يوحنا ٣: ١٣ و٦: ٦٢ و٢٠: ١٧) يتنبَّأ عن صعوده صراحةً.

إن (أعمال الرسل ١: ١ – ١١) هو التسجيل الكامل عن صعود المسيح. يوضح هذا الجزءُ أن الابن استمر في إثبات القيامة بما لا يدع مجالاً للشك لمدة أربعين يومٍ علَّم فيها التلاميذَ عن الملكوت. ثم أمرهم أن يبقوا في أورشليم حتى يتعمدوا بالروح القدس. يوصف الصعود نفسه في (ع ٩).

كما توضح عظة بطرس الأولى في (أعمال الرسل ٢: ١٤ – ٣٦) أن التلاميذ فهموا حقيقة الصعود. يقول بطرس في (ع ٣٣ – ٣٤) إن المسيح ارتفع بيمين الله، ونتيجةً لذلك انسكب الروحُ القدس. ثم يقتبس بطرس بعد ذلك ما ورد في (مزمور ١١٠: ١) كي يؤيِّد ما يقوله؛ حيث إن يسوع على عكس الملك داود صعد إلى السماء.

بعد ذلك، يصف بطرسُ الابنَ في (أعمال الرسل ٣: ٢١ و٥: ٣١) بعباراتٍ تتحدث عن مجد صعوده. يؤكد بولس على حقيقة الصعود بطريقةٍ مباشرةٍ وغير مباشرةٍ كما في (رومية ١٠: ٦ – ٧) و(أفسس ١: ٢٠ و٤: ٩ – ١٠) و(كولوسي ٣: ١) و(١ تسالونيكي ١: ١٠) و(٢تسالونيكي ١: ٧) و(فيلبي٣: ٢٠) و(١ تيموثاوس ٣: ١٦).

تركز رسالةُ العبرانيين على صعود المسيح أكثر من أي جزء كتابي آخر، تقدم الرسالةُ يسوعَ دائمًا على أنه الجالس عن يمين العظمة في الأعالي. نقرأ عن الصعود ونتائجه في رسالة العبرانيين في (عبرانيين ١: ٣ و٤: ١٤ و٥: ٦ و٦: ٢٠ و٧: ١٥ – ١٧، ٢١، ٢٦ و٨: ١ و٩: ٢٤ و١٠: ١٢ و١٢: ٢).

يُشار إلى الصعود أيضًا في (١ بطرس ٣:١٨ – ٢٢). وهو أساس كل الأعمال الإلهية المسجَّلة في سفر الرؤيا.

عندما نفكر في صعود المسيح، يمكننا القول إن أهميته تمكن في دلالته وليس في ذاته كحَدَثٍ؛ فقد كان الصعودُ على سبيل المثال:

- تتميمًا للقيامة ـ كان يسوع، باعتباره من هزم الموت، هو باكورة بين شعبه، لكنه باعتباره الابن الذي صعد، فقد حوَّل انتصارَ القيامة هذا إلى خدمةٍ ممجَّدةٍ خاصة بشعبه.
- بداية التمجيد والتتويج ـ يؤكد (فيلبي ٢: ٩ – ١١) على أهمية النتائج الحاضرة والمستقبلية للصعود. إن مكانة الابن المتوَّج الحالية هي أساسٌ عظيمٌ لرجائنا وتشجيعنا.
- ابتداءً للشفاعة الإلهية ـ يعتمد عملُ المسيح كوسيطٍ بين الله والناس على دخوله إلى السماء، كما كانت وساطة رئيس الكهنة اليهودي تعتمد على دخوله إلى قدس الأقداس.
- تتميمًا للإرسالية الإلهية ـ إرسالية الابن على الأرض التي بدأت بميلاده العذراوي انتهت بصعوده. كان التجسُّد هو أن الابن كامل اللاهوت أخذ جسدًا وأصبح كامل الناسوت. وكان الصعود هو عودة الابن كامل اللاهوت وكامل الناسوت إلى الآب.

أخذ الابنُ دليلَ الخلاص البشري («النعم» التي قالها للآب وطاعته له حتى موت الصليب) إلى حضرة الآب. ولأن الصعود كان مبادرةً من الله، يمكننا القول إنه كان ختم الله على كل إرسالية الابن.

ملء المسيح للكل– يتحدث (أفسس ٤:٨ – ١٠) عن هذا الملء باعتباره سبب الصعود. ملء يسوع للكل هو جمع كل الأشياء إلى كماله ويمكن لهذا أن

يحدث من خلال الابن الممجَّد فقط. (من المدهش أن بولس يربط هذا الملء برئاسة المسيح في (أفسس ١: ٢٢ – ٢٣). ملء المسيح هو حضوره الممجَّد المنتصر الذي يملأ كلَّ الكون والذي سيظهر ـ كما أشرنا في كتاب «المجد في الكنيسة» ـ أولاً وقبل كل شيء في الكنيسة التي تعترف برئاسة المسيح).

إعطاء موهبة ومواهب الروح القدس ـ يعلن يسوع في (يوحنا ٧: ٣٩) أن الروح سيُعطَى فقط عندما يتمجَّد هو. وهذا هو ما يصفه (أفسس ٤: ٨) على أساس (مزمور ٦٨: ١٨). كان يوم الخمسين إذًا مشروطًا بالصعود، وكانت أحداث (أعمال الرسل ٢: ٣٣) هي النتيجة المباشرة للصعود.

بداية السماح بدخول المؤمنين ـ كما اكتسب الابنُ حقَّ الدخول إلى حضرة الآب في الصعود، وقد أكسب هذا الحقَّ أيضًا لكل المتَّحدين معه. وهذا يعني أن صعود يسوع هو واحدٌ من الأساسيات العظيمة للرجاء المسيحي والثقة المسيحية.

بداية عصر جديد ـ هناك حدثان متفرِّدان يشكِّلان إطارَ الكنيسة في العصر الحالي: بدأت الكنيسة بصعود المسيح وسوف تنتهي بعودته. نرى هذا الارتباط في (أعمال الرسل ١: ١١).

عصر الكنيسة الحالي هو عصر الابن المقام الممجَّد الذي هو وسيطنا وشفيعنا، ويجب أن يشكِّل إدراكُنا لتمجيده وعودته فهمَنا لتاريخ الكنيسة وللأحداث الحالية؛ لأنه طبقًا للأسفار المقدسة، يتصل الحاضرُ بالمستقبل اتصالاً لا ينفصم. نتناول هذه الحقيقية في الجزء التاسع.

الجزء الخامس

إرسالية متفرِّدة

ناقشنا في كل كتاب من سلسلة «سيف الروح» تقريبًا جانبًا واحدًا على الأقل من جوانب إرسالية الابن المتفرِّدة. على سبيل المثال:

- «الصلاة الفعالة» ـ ناقشنا الدور الذي لعبته الصلاةُ إلى الآب في حياة يسوع على الأرض.
- «معرفة الروح» ـ رأينا كيف اعتمد الابنُ اعتمادًا كليًّا على توجيه وقوة الروح القدس في خدمته وكيف مسحنا نحن بالروح.
- «مُلك الله» ـ تناولنا تعاليمَ الابن عن ملكوت الله.
- «الإيمان الحي» ـ تحدثنا عن إيمانه وناقشنا الطريقة التي استخدم بها كلمةَ الله.
- «الخدمة المنقادة بالروح» – درسنا الطريقةَ التي نصح بها يسوعُ الناسَ وأخرج الأرواحَ الشريرةَ وشفى المرضى وتحدث بسلطةٍ نبويةٍ.
- «معرفة الآب» تأمَّلنا في العلاقة بين الأقانيم الثلاثة، وفي شركة الابن في الخدمة مع الآب.
- «الاستماع إلى الله» رأينا أن الابن ميَّز ما كان عليه قوله وفعله في إرساليته الأرضية.
- «الوصول للتائهين» ركزنا على خدمته الكرازية، ورأينا كيف أعلن أخبارَ الله السارة من خلال كلماته وأفعاله وحياته الكاملة.
- «Salvation by Grace» نركز على موت يسوع الكفاري، ونفهم

أنه مات كي يهزم الشيطانَ ويخلِّص الخطاةَ ويعلن طبيعةَ الله المقدَّسة ويعطي حياةَ الله الجديدة للبشرية المُخلَّصة.

البشائر الأربع:

كل البشائر الأربع ـ ابتداءً من العدد الافتتاحي لمتى وحتى العدد الختامي ليوحنا ـ هي بوحي وتوجيه الروح لتسجيل إرسالية الابن. لذلك، إذا أردنا أن نعرف الابنَ بإخلاصٍ، فعلينا أن نقرأ ونعيد قراءةَ البشائر وندرسها ونتأمل فيها ونسمح لروح الله أن يعلن لنا عن كلمة الله الشخصية من خلال كلمة الله المكتوبة.

لكن البشائر الأربع ـ كما رأينا ـ ليست متطابقةً؛ حيث تقدِّم كلٌّ منها وجهة نظر مختلفة إلى حدٍّ ما عن إرسالية الابن، لكنها مع ذلك مكمِّلة لبعضها البعض.

على سبيل المثال، يركز متى بصفة عامة على حقيقة أن يسوع قد جاء لكي يؤسِّس ملكوتَ الله، وينتصر على قوى الظلام. وتؤكد بشارته على أن إرسالية يسوع تضمَّنت هزيمة إبليس.

أما مرقس فيركز على حقيقة أن يسوع أتى لكي يتألم كالعبد الذي يحمل غضبَ الله المُنصَبَّ على الخطية، ولكي يصالح الإنسانَ مع الله، وتؤكد بشارته على أن إرسالية يسوع تضمَّنت خلاصَ الخطاة.

يبدو أن لوقا تحمل عناءَ توضيح أن يسوع أتى لكي يكون هو مثال كل إنسان على الأرض؛ ففي موته اليومي عن الذات وعن شهوات الجسد، أوضح

يسوعُ للبشرية كيف تحيا وكيف تموت. وتؤكد بشارته على أن إرسالية الابن تضمَّنت ممارسة الحياة البشرية الكاملة.

ويقول يوحنا إن يسوع أتى ليعلن للعالم شخصَ الله، وليكشف عن طبيعةِ الآب ويوجدها ثانيةً، ولكي يكون الإعلان الكامل عن الله الحي. تؤكد بشارته على أن إرسالية يسوع تضمَّنت إعطاء حياة الله الجديدة للبشرية.

عندما ننظر إلى البشائر الأربع عن قرب، سنرى وجود كل هذه الجوانب لخدمة يسوع في كل واحدةٍ منها، لكن الأمر هو أن كل كاتب يميل إلى التركيز أكثر على جانب معيَّن من الإرسالية. كما توضح كلُّ بشارة من البشائر أن يسوع تمم كلَّ جوانب إرساليته في حياته وكذلك في موته.

سنتحدث في هذا الفصل عن إرسالية الابن في حياته. أما في الفصل الثامن، فسوف نتناول ما تسجله البشائرُ عن موته. لكن إرسالية يسوع من خلال موته مهمة جدًّا، وواسعة جدًّا لدرجة أننا خصصنا كتابًا كاملاً من هذه السلسلة لدراستها وهو كتاب «Salvation by Grace». نوضِّح في مقدمة ذلك الكتاب أننا لا يمكن أن نعرف الابنَ في ملء الإعلان الكتابي عنه دون أن نقرأ كلاًّ من كتابي «معرفة الابن» و«Salvation by Grace» معًا.

معمودية الابن:

المعمودية بالنسبة للمؤمنين هي جزء من تحوُّلنا إلى المسيح ودخولنا في جسده. أما بالنسبة للابن، فهي تكريس ـ توحُّد كامل مع الحالة البشرية وتكريس كامل للمشيئة الإلهية.

تبدأ إرسالية الابن الجسورة لإنقاذ وخلاص البشرية الساقطة بمعموديته وتجربته في البرية كما هو مسجَّل في (متى ٣: ١٣ – ٤: ١١) و(مرقس ١: ٩ – ١٣) و(لوقا ٣: ٢١ – ٢٢ و٤: ١ – ١٤) و(يوحنا ١: ٢٩ – ٣٦).

عندما نتأمل في هذه الأجزاء، يمكننا النظر إلى بداية إرسالية يسوع من عدة زوايا مختلفة. يمكننا أن نرى على سبيل المثال أن الابن جاء إلى الأردن لكي يطيع الآبَ ويخضع لمشيئته، وأنه بعد هذا الخضوع والطاعة يمضي في سلطانٍ لكي يهزم إبليسَ مسيطرًا عليه.

لكن لو نظرنا إلى المعمودية من زاويةٍ أخرى، يمكننا أن نرى أيضًا أن يسوع جاء إلى الأردن طواعيةً لكي يأخذ مكانةً متواضعةً، ويقبل الخدمةَ من قريب بشري له. ثم بعد ذلك، يذهب الابنُ إلى البرية لكي ترعاه الملائكة ولكي يكون مع الحيوانات البرية ولكي يُعَدَّ لخدمته المضحِّية.

لكن لو نظرنا إلى نفس الحدث من زاويةٍ ثالثة، يمكننا القول أيضًا إن يسوع أتى إلى الأردن كي يُمسَح بالروح القدس. لقد ترك الابنُ وراءه عائلتَه وأصدقاءَه وعملَه وأمانَه وممتلكاتَه، ووضع نفسَه بلا أية شروط تحت تصرُّف الآب. ثم بعد أن مُسِح بالروح، تبع الروحَ إلى البرية مستعدًّا لقيادة ودعوة الناس إلى اتِّباعه.

وأخيرًا يمكننا القول إن يسوع أتى إلى الأردن بصفته «حمل الله» كي يوضِّح للناس من هو الله حقًّا. لقد كان نزول الابن «الحمل» إلى الماء رمزًا لموته، وقد خرج من الماء لكي يبدأ في تقديم حياة «قيامة» جديدة للبشرية.

عندما نفكر (أو نعلن) في أي جانبٍ من جوانب إرسالية الابن، فعلينا

أن نحاول تذكُّرَ هذه الزوايا المكمِّلة لبعضها البعض؛ لأن جميعها حقيقيٌّ وجميعها كتابيٌّ. إذا تجاهلنا باستمرار جانبًا ما، وركَّزنا باستمرار على جانبٍ آخر، فلن نعرف الابنَ (ولن نُعرِّفه للآخرين) في ملء الإعلان الكتابي عنه.

من المقبول بالطبع في أية عظة أو موقف أن يكون التركيز عادةً على جانبٍ واحدٍ أكثر من غيره، لكن علينا أن نفهم الصورةَ الكتابيةَ الكاملة عن إرسالية الابن المتفرِّدة إذا أردنا أن نعرف الابنَ ونعلن شخصَه كما أُعلِن لنا في الكلمة.

المراحل النبوية للمعمودية

يبدو أن هناك عدة مراحل فيما سُجِّل في البشائر عن معمودية يسوع:

- نزل إلى الماء.
- صعد من الماء.
- وقف ليصلِّي.
- فُتِحت السماوات ونزل عليه الروحُ.

هذا الترتيب النبوي «للموت» و«القيامة» و«الصلاة» و«مسحة الروح» يتكرر في كل خدمة يسوع على الأرض. على سبيل المثال، يمكننا القول إن الابن كان يموت كل يوم عن الذات، وإنه كان دائمًا يعيش حياةَ القيامة المنتصرة، وإنه كان يستعد دائمًا لكل شيءٍ بالصلاة، وإنه كان دائمًا يأخذ تأكيد وتوجيه وقوة الروح القدس لكل جانب من جوانب خدمته.

ثم تم هذا الترتيب النبوي بصورةٍ كاملةٍ في موت الابن على الصليب

وقيامته من الموت وصلاته لتلاميذه وصلاته لكي يأتي الروحُ، وبالطريقة التي سُكِب بها الروحُ في يوم الخمسين كي يُعِدَّ الكنيسة لإرساليتها.

مرةً أخرى، من السهل أن نقع في خطأ التركيز على واحدةٍ من هذه المراحل دون سواها، ونركِّز على تطبيقها في حياة المؤمنين اليوم. على الرغم من أنه من الصواب تمامًا أن نركِّز على أهمية الصلاة على سبيل المثال، إلا أنه ليس من الصواب أن نقول إن الصلاة هي كل شيء. لقد استعد يسوعُ بالفعل لكل ما فعله بالصلاة، لكنه لم يكتفِ بالصلاة للآب فقط، بل مضى قُدُمًا في تنفيذ المهمة التي كلَّفه الآبُ بها.

ينطبق نفس الأمر على مسحة الروح؛ فمن الصواب بالطبع أن نؤكِّد على الأهمية الحيوية لمسحة الروح، لكن ليس من الصواب أن نعطي انطباعًا بأن الأمور الأخرى غير المسحة لا تهم. لقد اعتمد يسوعُ بالفعل على مسحة الروح وقوته ورفقته، لكنه أيضًا مات عن الذات وصلَّى للآب وانتصر على الشيطان وخدم أناسًا آخرين وهكذا.

نحتاج اليوم إلى التأكيد على أهمية الموت عن الذات، لكن لا ينبغي أن نعلم أن هذا هو خلاصة الأمر كله فيما يتعلق بالتلمذة المسيحية. لقد مات المسيحُ بالفعل عن الذات كلَّ يوم، وهزم كلَّ دوافع الجسد، وانتصر على كلِّ إغراءٍ شيطاني، لكن حياته لم تكن أبدًا سلبيةً؛ لأنه عاش أيضًا حياةً مثمرةً ممسوحةً مصلِّيةً «مُقامَة» ممتلئةً بالفرح والحيوية.

كل هذه «المراحل النبوية» في معمودية الابن هي نقاط تركيز كتابية وجميعها راسخة في إرسالية الابن. لكنها ليست مستقلةً عن بعضها البعض

أو مانعةً لبعضها البعض. في الحقيقة، يمكننا القول إن أحد أسباب تفرُّد إرسالية الابن هو أنها تضم العديدَ من الجوانب المتكاملة في توازن رائع.

الرمزية في معمودية الابن

عندما نفكر في كل مرحلة من هذه المراحل بصورةٍ رمزيةٍ، يمكننا القول إن نزول يسوع إلى الماء يرمز على سبيل المثال إلى:

- الدينونة والتوبة.
- تحمُّل خطايا العالم.
- تكريس كل شيء لله.
- حبة حنطة تقع في الأرض كي تأتي بحبوب أخرى.

التفسيرات الرمزية هي تفسيرات مقبولة وصحيحة عندما نركِّز عليها معًا دون أن نفصل إحداها عن الأخرى. إننا نحتاج إلى كل نظرةٍ كتابيةٍ عن إرسالية الابن المتفرِّدة كي نفهمها ونفسِّرها بطريقةٍ صحيحةٍ وكاملةٍ.

عندما ننظر إلى مراحل المعمودية الأخرى، يمكننا القول إن صعود الابن من الماء يرمز ـ على سبيل المثال ـ إلى:

- سُلطة قيامته.
- طهارته.
- خدمته العلنية.
- غصن جديد سيخرج منه عدة أغصان أكثر من مرة.

يمكننا أيضًا أن نقول إن يسوع وقف ليصلِّي من أجل:

- عقله وجسده وروحه كي يكونوا تحت سلطان الله بالكامل.
- كفارته كي تكون فعَّالة في حياة تابعيه.

- أن يعيش حياته بلا خطأ ويتمِّم كلَّ شيءٍ كلَّفه اللهُ به.
- أن يمجِّد اللهَ ذاته ويجعل الابنَ مثمرًا.
- إتيان الروح على حياته.

ويمكننا أيضًا أن نفهم حلول الروح على أنه:

- مسح الابن بالقوة والسلطان لمواجهة الأرواح الشريرة والأمراض.
- إعداد الابن لخدمته وكفارته التي تشبه تقدمة الحمام.
- عطية ثقة وتأكيد حيوية.
- مصدر لا غنى عنه لإشعاع مجد الله ومحبته.

يجب أن يكون من الواضح لنا أن هذه المجموعة من التفسيرات الرمزية تتساوى في الصحة. لكن لا تمثِّل إحداها الحقيقةَ كاملةً بمفردها. وعلينا كذلك أن ندرك أن إبليس سبَّب المزيدَ من الارتباك والانقسام في الكنيسة من خلال محاولة إغراء المؤمنين كي يُغالوا في التأكيد على حقيقة معينة أو يتجاهلوا أخرى وذلك بدلاً من أن يخدعهم بكذبةٍ واضحةٍ.

من الصعب على أي شخص أو جماعة كنسية أن تعرف وتعلن الحقَّ الكاملَ عن كل جوانب طبيعة وإرسالية يسوع. ولهذا السبب، هناك أربع بشائر وليست بشارةً واحدةً فقط، لكن مثل كل بشارة، علينا أن نقف إلى جانب من يكملوا نقاط تركيزنا وأيضًا إلى جانب من يشاركوننا في نفس نقاط التركيز.

إرسالية متعدِّدة الأوجه:

ترمز معموديةُ الابن - التي هي نقطة البداية في خدمته - إلى إرساليةٍ فريدةٍ «متعدِّدة الأوجه» أعلنها يسوعُ في حياته وتمَّمها في موته.

عندما نلقي نظرةً عامةً على خيوط ونقاط تركيز البشائر المختلفة، يمكننا أن نقول إن الآب أرسل الابنَ إلى الأرض - وإن الابن أتى طواعيةً - بمهمةٍ هي تحطيم قوة الشر.

لقد أخذ إبليسُ سلطانًا على كل الأرض، وكان كل العالم واقعًا تحت سيطرته. لذلك أتى الابنُ إلى العالم لكي يؤسِّس ملكوتَ السماوات ويجرِّد قُوَى الظلام الشريرة وينتصر عليها بصورةٍ حاسمةٍ. لقد أتى يسوعُ لكي يكرز ببشارة التوبة ويعلِّم الناسَ النتائجَ المترتبةَ على الطاعة ويعطيهم توجيهات واضحة بشأن الحياة في ملكوت الله.

لكن يمكننا أيضًا أن نقول إن الآب أرسل الابنَ في مهمةٍ هي أن يطلب ويخلِّص الهالكين. لقد أتى يسوع لكي ينقذ المحتاجين الذين بلا قوة لإنقاذ أنفسهم. لقد أتى الابن - متحملاً تضحية شخصية عظيمة - كي يكفِّر عن الخطية ولكي يكون بديلاً عن كل شخص في البشرية ولكي يتحمَّل قصاص الله العادل ضد الخطية.

يمكننا كذلك أن نقول إن الآب أرسل الابنَ (والابنُ أتى طواعية) ليعلن حياةً بشريةً كاملة التكريس والقداسة. لقد أتى كي يكون نموذجًا أو مثالاً لكل شخص في كل العصور ومن كل الأجناس. لقد أتى يسوعُ كي يوضِّح للبشر من خلال حياته وموته كيف عليهم أن يحيوا ويموتوا.

ويمكن أيضًا أن نقول إن الآب أرسل الابنَ لكي يوضح للعالم من هو الله، وعليه، فإن مهمة الابن كانت هي أن يعلن عن الله المجيد بكل جلاله، وأن يكون كلمة الله الحية والإعلان الفريد الكامل عن الله غير المرئي.

بيان إرسالية الابن:

أعلن يسوعُ الكثيرَ عن إرساليته المتفرِّدة متعدِّدة الأوجه في حديثه أمام مجمع الناصرة بعد أن ترك البريةَ. وتنير لنا كلماته في (لوقا ٤: ١٨ – ١٩) بصورةٍ خاصة، وهي من بين أهم تصريحات الابن. يمكننا وصف هذا الجزء بأنه بيان أو إعلان الإرسالية.

في (لوقا ٤: ١٨ – ١٩) يشرح يسوعُ أولاً أن القصد من مسحة الروح له عند معموديته في نهر الأردن هو «الكرازة بالأخبار السارة للمساكين أو المجروحين» نتناول هذا النقطة بتفصيلٍ أكثر في كتاب «الوصول للتائهين».

ثم يعطينا يسوعُ خمسةَ أمثلةٍ توضِّح المعنى العملي لـ«الكرازة للمجروحين»، ربما يكون هذا أوضح تعريف أعطاه الابن لإرساليته. يمكننا أن نقول إن إرسالية يسوع المتفرِّدة طبقًا لكلامه تتضمن:

- شفاء منكسري القلوب.
- إطلاق المأسورين.
- إعادة البصر للعمي.
- تحرير المنسحقين.
- إعلان رسالة حرية ونعمة الله.

لم يُرسل الابنُ بواسطة الآب ولم يُمسَح بالروح لكي يكرز فقط، لكنه أتى لكي يعلن اللهَ من خلال كلماته وأعماله وحياته الكاملة. وقد أتى لكي يفعل ذلك من أجل المساكين. الكلمة اليونانية المُستَخدَمة هنا هي «ptochos» وهي تعني «المُبتَلِين» أو «المجروحين». لقد أتى يسوعُ لكي يقود تلاميذَه في ذات طريق الملكوت.

تتكرر فكرة الإرسالية المتعدِّدة الجوانب في (لوقا ٧: ١٨ – ٢٢). أراد يوحنا أن يعرف إن كان يسوع هو المسيا المنتظر أم لا، فأرسل اثنين من تلاميذه ليتأكدوا. يصف (ع ٢١) ردَّ يسوع على أسئلة تلاميذ يوحنا ويسجل (ع ٢٢) رسالته إلى يوحنا. كان على التلميذين أن يُخبِرا يوحنا بما رأيا وسمعا، وهو أن العمي يبصرون، والعرج يمشون، والبرص يُطهَّرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يسمعون الأخبارَ السارة.

يؤكد (لوقا ٨) على هذه الفكرة. يصف (ع ١) من هذا الأصحاح الابنَ بأنه (kerusson) و(euangelizmenos) أي «يكرز ويبشر» كلَّ مدينة وقرية في المنطقة. ثم يأتي (ع ٢ – ٥٦) لتوضيح (ع ١)؛ حيث تبيِّن هذه الأعداد أن إرسالية يسوع تضمَّنت أنه:

- كرز وأجاب على أسئلة (ع ٤ – ١٨).
- أعطى السلامَ للخائفين (ع ٢٢ – ٢٥).
- حرَّر المأسورين (ع ٢٦ – ٣٩).
- شفى المرضى (ع ٤٣ – ٤٨).
- أقام الموتى (ع ٤٩ – ٥٦).

تتكرر هذه الحقائق في البشائر الأخرى. على سبيل المثال، يبدأ مرقس روايتَه عن خدمة يسوع بتسجيله ليوم نموذجي واحد في حياة يسوع. يوضح (مرقس١: ٢١ – ٣٤) أن عمل يسوع في هذا اليوم تضمَّنَ:

- التعليمَ في المجمع (ع ٢١ – ٢٢).
- تحريرَ أحد المأسورين (ع ٢٣ – ٢٦).
- شفاء المرضى (ع ٢٩ – ٣١ ، ٣٤).
- إخراج الشياطين (ع ٣٤).

نرى في كل بشارةٍ أن الابن خدمَ جموعًا غفيرةً وأعدادًا كبيرةً من الأفراد

المجروحين. وعلى الرغم من أن إرسالية الابن كانت دائمًا متعدِّدة الجوانب، إلا أن الناس في وقته كانوا مدركين لثلاثة أنشطة أساسية؛ فقد رأوا أن يسوع يحرِّر من قبضة الشر، ويشفي أمراضَهم، ويتلمذهم في ملكوت الله. وقد أعلن الابنُ محبةَ ومجدَ الله الحي وهو يفعل كل ذلك.

الابن يحطِّم قُوَى الشرير:

رأينا في كتاب «ملك الله» أن ملكوت بر الله أتى في ومع يسوع. وعلى الرغم من أن انتصار يسوع الحاسم على إبليس تحقق في موته على الصليب، إلا أن الابن انتصر في جولاته الأولى معه من خلال الخضوع الكامل لأبيه طوال حياته على الأرض. ومن خلال الأعمال القديرة التي أعلنت عن مسحته الفريدة وسلطانه الفريد.

بمجرد أن وُلِد يسوع، عرف إبليسُ أنه الشخص الذي سينتصر عليه في المستقبل، لذا بدأ بمحاولة هزيمته فهاجم يسوع من خلال:

- ذبح أطفال بيت لحم (متى ٢: ١٣ – ١٨).
- تجارب وإغراءات البرية (متى ٤: ١ – ١١).
- محاولة جماعة مجمع الناصرة للقضاء على حياته (لوقا ٤: ٢٨ – ٢٩).
- رغبة الجموع في جعله قائدًا سياسيًّا لهم (يوحنا ٦: ١٥).
- وقوف بطرس أمامه في طريق الصليب ومعارضته له (متى ١٦: ٢١ – ٢٣).
- خيانة يهوذا (لوقا ٢٢: ١ – ٦) و(يوحنا ١٣: ٢٧).

لكن يسوع كان مُصرًّا على إتمام النبوات. أعلن يسوعُ أن ملكوت الله أتى فيه ومن خلاله، وأن أعماله القديرة هي دليل مرئي على إتيان الملكوت.

نرى في البشائر كيف أن ملكوت الله يتقدم بينما تتراجع مملكةُ إبليس حيث تُطرَد الأرواحُ الشريرة وتُشفَى الأمراضُ وتهدأ الطبيعة كما نرى على سبيل المثال في (متى ٤: ٢٣) و(مرقس ١: ٢٤ و٤: ٣٩).

نقرأ في (لوقا ٩: ١ – ٦ و١٠: ١ – ٢٤) أن يسوع أرسل أكثر من ٨٠ تلميذًا ليعلنوا إتيان الملكوت عن طريق الكرازة وشفاء الأمراض وإخراج الشياطين، وعندما عادوا، أخبرهم أنه رأى الشيطانَ يسقط من السماء نتيجةً لأعمالهم.

يبدو أن (مرقس ٣: ٢٧) و(لوقا ١١: ٢١-٢٢) يلخصان فهمَ يسوع لصراعه مع إبليس قبل الصليب. ربما كان الشيطان شخصًا قويًّا، لكن جاء الآن من هو أقوى منه كي يقيِّده ويهزمه ويسلب بيتَه.

يؤكد (١يوحنا ٣: ٨) على أن الابن جاء ليهدم كلَّ ما صنعه إبليسُ كي يُفسِد خليقةَ الله وخصوصًا من خلال الخطية. لقد كانت مهمة يسوع هي أن يخلِّص البشريةَ. يوضح (متى ١٢: ٢٨) أن تحطيم قوة الشر كان في قلب رسالة ملكوت يسوع.

حطم الابنُ قوةَ الشر أثناء حياته بكلماته وأعماله. وقد وصل هذا الجانب من خدمته إلى الذروة على الصليب الذي هو أعظم عمل للخلاص. يصف (عبرانيين ٢: ١٤ – ١٥) كيف هزم يسوعُ إبليسَ وقوةَ الموت، وحرر الذين كانوا مأسورين. نتناول هذه الحقيقة بالتفصيل في الجزء الثامن.

على الرغم من أن التحطيم الكامل لقوى الشر لم يحدث إلا عند الصليب، إلا أنه علينا أن ننتبه إلى عدم اقتصار هزيمة الابن لإبليس على الصليب؛ لأن

في هذا تجاهل لجانب مهم من جوانب إرساليته. توضح البشائر أن يسوع كان دائمًا يحرِّر الناسَ من سلطان قُوَى الشر بفترة طويلة قبل الصليب. نرى ذلك على سبيل المثال في الأحداث التالية:

- الرجل الذي به روح نجس في كفرناحوم (مرقس ١: ٢١– ٢٨) و(لوقا ٤: ٣١ – ٣٧).
- حماة بطرس (متى ٨: ١٤ – ١٥) و(مرقس ١: ٢٩ – ٣١) و(لوقا ٤: ٣٨ – ٣٩).
- الأخرس الذي به روح نجس (لوقا ١١: ١٤ – ٢٢).
- مجنون كورة الجدريين (متى ٨: ٢٨) و(مرقس ٥: ١ – ٢٠) و(لوقا ٨: ٢٦ – ٣٩).
- ابنة المرأة الكنعانية (متى ١٥: ٢١ – ٢٨) و(مرقس ٧: ٢٤ – ٣٠).
- الشخص المصاب بالصرع (متى ١٧: ١٤ – ٢١) و(مرقس ٩: ١٤ – ٢٩) و(لوقا ٩: ٣٧ – ٤٣).
- المرأة المنحنية (لوقا ١٣: ١٠ – ١٧).
- الأخرس الذي به روح نجس (متى ٩: ٣٢ – ٣٤).

تحتوي البشائر على التصريحات التالية عن تحطيم قُوَى الشر: (متى ٤: ٢٤ و٨: ١٦) و(مرقس ١: ٣٢ – ٣٤ و١: ٣٩ و٣: ١١ و٦: ١٣) و(لوقا ٤: ٤١ و٦: ١٨ و٧: ٢١ و١١: ٢٤ – ٢٦). تدل هذه الحوادث والتصريحات على وجود العديد من المبادئ العملية المتعلقة بمهمة يسوع في تحطيم قُوَى الشر في حياة رجال ونساء مستعبدين لها.

خلَّص يسوعُ الأشخاصَ الذين استرعوا انتباهَه

تدل البشائر على أن يسوع أثناء خدمته وكرازته، حرَّر كلَّ من أُحضِروا إليه طالبين المساعدة. كان يسوع يُخرِج الشياطين عندما يطلب منه ذلك شخصٌ

آخر نيابةً عن الشخص الذي به الشيطان أو عندما يكون للروح النجس رد فعل في حضوره أو عندما يقوده الروحُ القدس.

كان يسوعُ يوجِّه بعضَ الأسئلة

كان يسوع بمجرد أن يرى أن الشخص يحتاج إلى خروج الروح النجس منه، يفعل ذلك مباشرةً دون محاولة معرفة السبب. تسجل البشائر في الواقع أن يسوع سأل شخصين فقط ممن كانوا يعانون من الأرواح الشريرة أثناء قيامه بهذه الخدمة.

كان يسوعُ يوجِّه كلماتَه ذات السلطان مباشرةً إلى الروح النجس

كانت كلمات يسوع ذات السلطان توجَّه مباشرةً إلى الروح الشرير مؤثرةً على الشخص الذي يعاني منه ومتحكمةً به. بالطبع لم يكن يسوعُ يتجاهل الشخص الذي يعاني من الروح الشرير، وكانت خدمته تأتي في سياق تقديم المعونة الروحية والتوجيه لهذا الشخص. لكن أثناء الوقت الفعلي للخدمة، كان يسوع يتحدث مباشرةً إلى الروح الشرير.

تسجل البشائرُ أن يسوع أتى لكي «يقيِّد» و«يكبت» و«ينتهر» الأرواحَ الشريرةَ، وأنه أمرها بأن «تخرج» وكان يسأل عن اسمها عند الحاجة. كما كان يأمرها بألا تعود.

لم يفرِّق يسوعُ بين من كانوا يعانون من الأرواح الشريرة

لا توضِّح البشائرُ أن يسوع وضع فوارق وتصنيفات للمعاناة من الأرواح الشريرة من قبيل «قمع» و«مس» و«ضعف» و«ابتلاء» و«تأثير» و«هجوم» و«مرض». هناك كلمة يونانية واحدة فقط هي المُستَخدَمة لوصف كل

الأشخاص الذين كانوا بحاجةٍ إلى التحرير من روح شرير وهي كلمة (daimonizomai).

فرَّق يسوعُ بين طرد الأرواح الشريرة والشفاء

يوضِّح (متى ٨: ١٦) و(مرقس ١: ٣٢ – ٣٤) و(لوقا ٤: ٤٠ – ٤١ و٦: ١٨ و٧: ٢١) وجود فرق بين شفاء المرضى وطرد الأرواح الشريرة. كما يضع (متى ٤: ٢٤) فرقًا مهمًّا بين (daimonizomai) و(seleniazomai) أي بين الابتلاء بروح شرير الذي يحتاج إلى خلاص، والجنون أو الصرع الذي يحتاج إلى شفاء.

اعتمد على الروح

قال يسوع إنه يُخرِج الأرواحَ الشريرةَ بروح الله. لقد كانت خدمة يسوع مواجهةً شخصيةً بينه وهو الممتلئ بقوة الروح القدس وبين روحٍ شرير.

كان يسوعُ يُرعِب الأرواحَ الشريرةَ

توضِّح البشائرُ أن هذه الأرواح الشريرة حتى قبل هزيمتها في الجلجثة كانت ترتعب من يسوع؛ فبدلاً من البقاء صامتةً في وجوده، كانت تخاف وتصرخ معلنةً عن نفسها. وكان عليها أن تطيع يسوع دائمًا؛ فعندما كان يأمرها أن تخرج كانت تفعل ذلك حتى إن كان خروجها عنيفًا ويُحدِث ضجةً.

أبهر الناسَ

توضح البشائرُ أن هذا الجانب من خدمة يسوع كان له تأثير عظيم. يسجل (مرقس ١: ٢١ – ٢٨) مشاعرَ الدهشة والحيرة التي اعترت الجموعَ بعد طرد يسوع للأرواح الشريرة. ويعلِّق (لوقا ٩: ٤٣) قائلاً إن الجميع بُهِتوا من

عظمة الله، كما يصف (لوقا ٨: ٣٧) خوفَ الناس وطلبهم من يسوع بأن يترك المنطقة. لكن (متى ٩: ٣٤ و١٢: ٢٤) و(مرقس ٣: ٢٢) و(لوقا ١١: ١٥) و(يوحنا ٧: ٢٠ و٨: ٤٨ و١٠: ٢٠) يسجِّلون ردودَ فعلٍ مختلفة.

الابنُ يشفي المرضَى:

يمكن رؤية خدمة الشفاء من العديد من الزوايا الكتابية، مثلها في ذلك مثل كل جوانب إرسالية يسوع المتفرِّدة.

يمكننا أن نفكِّر في الشفاء على أنه جزءٌ من دعوة الابن لتحطيم قوى الشر. ويمكننا التأكيد على أن يسوع قد سَيطَرَ على المرض تمامًا كما سَيطَر على الأرواح الشريرة وذلك بسلطانه المَلَكي. لكن يمكننا أيضًا أن نفكر في الشفاء باعتباره جزءًا من دعوة الابن لخدمة البشرية المحتاجة. ونؤكد أيضًا على أن البشر قد تم شفاؤهم من خلال جروحه التي تدل على تضحيته بذاته ومن خلال دمه الكفاري.

ويمكننا أيضًا أن ننظر إلى الشفاء باعتباره جزءًا من خدمة الابن النبوية، ونؤكِّد على أن الابن كان يشفي الناسَ؛ لأنه كان المسيح الممتلئ بالروح مثل الأنبياء الذين شفوا المرضى في العهد القديم.

كذلك يمكن أن يكون الشفاء إعلانًا رائعًا عن «يهوه رافا» أي «الرب الذي يشفي». ويمكن التأكيد على أن الابن كان يشفي المرضى؛ لأنه كان الله الشافي.

علينا مرةً أخرى هنا أن نجمع هذه الزوايا المكملة لبعضها البعض معًا إذا أردنا أن نفهم إرساليةَ الابن في كمال ملئها.

عندما عاد يسوعُ إلى مجمع الناصرة كي يقدم نفسَه باعتباره تتميمًا لما ورد في (إشعياء ٦١: ١ – ٢)، أعلن أنه ممسوحٌ بالروح، ولذلك هو الآن يشفي منكسري القلوب ويعطي نورًا للعميان. من هذه النقطة، توضح البشائرُ أن الشفاء كان علامةً تميِّز خدمةَ الابن على الأرض. لذلك عندما نتجاهل خدمةَ الشفاء أو ننقص من قيمتها، فإننا نقدم إرساليةَ يسوع المتفرِّدة في هذا العالم بصورةٍ خاطئةٍ.

إرسالية الابن للشفاء

تقدم البشائرُ الأمثلةَ التالية على إرسالية يسوع للشفاء:

- ابن خادم الملك في كفرناحوم (يوحنا ٤: ٤٣ – ٥٤).
- ابنة يايرس (متى ٩: ١٨ – ٢٦) و(مرقس ٥: ٢١ – ٤٣) و(لوقا ٨: ٤٠ – ٥٦).
- المرأة نازفة الدم (متى ٩: ٢٠ – ٢٢) و(مرقس ٥: ٢٥ – ٣٤) و(لوقا ٨: ٤٣ – ٤٨).
- رجلين أعميين (متى ٩: ٢٧ – ٣١).
- المفلوج الذي أنزلوه من السقف (متى ٩: ١ – ٨) و(مرقس ٢: ٢ – ١٢) و(لوقا ٥: ١٧ – ٢٦).
- رجلاً أبرصًا (متى ٨: ١ – ٤) و(مرقس ١: ٤٠ – ٤٥) و(لوقا ٥: ١٢ – ١٤).
- خادم قائد المائة (متى ٨: ٥ – ١٣) و(لوقا ٧: ١ – ١٠).
- حماة بطرس (متى ٨: ١٤ – ١٥) و(مرقس ١: ٢٩ – ٣١) و(لوقا ٤: ٣٨ – ٣٩).
- ابن أرملة نايين (لوقا ٧: ١١ – ١٧).
- الأعرج عند بركة بيت حسدا (يوحنا ٥: ١ – ١٨).
- الرجل المولود أعمى (يوحنا ٩: ١ – ٤١).
- الرجل ذا اليد اليابسة (متى ١٢: ٩ – ١٤) و(مرقس ٣: ١ – ٦) و(لوقا ٦: ٦ – ١١).
- المرأة المنحنية (لوقا ١٣: ١٠ – ١٧).

- الرجل المستسقي (لوقا ١٤: ١ – ٦).
- العشرة رجال البرص (لوقا ١٧: ١١ – ١٩).
- الرجل الأخرس الأصم (مرقس ٧: ٣١ – ٣٧).
- الرجل الأعمى في بيت صيدا (مرقس ٨: ٢٢ – ٢٦).
- لعازر (يوحنا ١١: ١ – ٤٤).
- الرجل الأعمى في أريحا (متى ٢٠: ٢٩ – ٣٤) و(لوقا ١٨: ٣٥ – ٤٣).
- عبد رئيس الكهنة (لوقا ٢٢: ٤٧ – ٥١).

تسجل البشائر كذلك هذه التصريحات عن خدمة الشفاء التي مارسها يسوع: (متى ٤: ٢٣ – ٢٥ و٨: ١٦ – ١٧ و٩: ٣٥ و١١: ٤ – ٥ و١٢: ١٥ – ١٦ و١٤: ١٤، ٣٤ – ٣٦ و١٥: ٣٠ – ٣١ و١٩: ٢ و٢١: ١٤) و(مرقس ١: ٣٢ – ٣٤ و٣: ١٠ – ١٢ و٦: ٥٥ – ٥٦) و(لوقا ٤: ٤٠ و٥: ١٥ – ١٦ و٦: ١٧ – ١٩ و٧: ٢١ – ٢٢ و٨: ٢ و٩: ١١) و(يوحنا ٦: ٢).

نستطيع من خلال هذه النصوص أن نستنتج بعضَ المبادئ العملية عن إرسالية يسوع لشفاء المرضى والمجروحين:

كان يسوعُ يشفي الأشخاصَ العاديين

تتحدث البشائرُ عن أن يسوع كان يشفي الأشخاصَ العاديين وتقدم لنا ١٩ حالة لشفاء أناسٍ «منبوذين اجتماعيًّا» و١١ حالة لشفاء أناس عاديين لديهم أمراض خطيرة.

كان يشفي الحالات الخطيرة

ركز الابنُ على شفاء الأشخاص الذين يسبب لهم مرضُهم عزلةً اجتماعيةً

أو وحدةً، أو يتسبَّب في جعلهم عاطلين عن العمل، وكذلك الأمراض التي طالت مدتها.

كان يشفي في الشوارع

كان يسوعُ يقدم خدمةَ الشفاء أمام الجموع الغفيرة، لكنه عادةً كان يذهب إلى أشخاص بعينهم ويشفيهم حيث هم. كان يسوع يشفي وهو يرتحل أو وهو في المنازل أو البساتين أو أثناء تناول العشاء أو في جنازة أو عند قبر أو بِرْكَة أو أثناء الخدمات المعتادة في المجمع.

استجاب للناس وللروح

كانت خدمة يسوع في الشفاء تبدأ إما بناءً على طلب إنساني؛ حيث يقول أحدهم: «اشفني» أو «من فضلك اشفِ صديقي / خادمي / طفلي» أو بناءً على تعليمات إلهية من الروح القدس الذي يأمره قائلاً: «اذهب واشفِ ذلك الشخص». لم يشفِ يسوعُ كلَّ المرضى في إسرائيل، لكنه كان يثق دائمًا في رغبة الآب في الشفاء، كما أنه شفى كلَّ من أتى إليه طالبًا الشفاء، وشفى كلَّ من أشار إليه الروحُ.

كان يشفي بأمر أو بلمسة

عندما كان يسوع يشفي، لم يكن يطلب من الله من أجل شفاء المريض، لكنه كان مدركًا لمشيئة الآب وتوقيته سواء كان يلمس المريضَ إشارةً إلى شفاء الله أو يتحدث بأمر نبوي للشفاء.

أبهر الناسَ

توضح البشائرُ أن الناس قبلوا الإيمانَ بسبب خدمة الشفاء التي مارسها يسوعُ. وبسبب هذه الخدمة أيضًا انتشرت أخبارُ الملكوت وأحب الناسُ يسوعَ.

لكن في بعض الأوقات، كانت هذه الخدمة تُقابَل بالاضطهاد والجدال وحتى بخطط للتدمير. لقد ألقى رؤساءُ الكهنةِ القبضَ على يسوع بعد أن شفى الأذنَ المقطوعةَ لخادمهم.

أشرك الآخرين في الخدمة

درب يسوعُ أكثرَ من ٨٠ تلميذًا لكي يستمروا في خدمة الشفاء بعد صعوده. أولاً، كان يحرص على وجودهم معه عندما يقوم بالشفاء. وبعد ذلك، منحهم سلطته على شفاء المرضى وأرسلهم اثنين اثنين كي يشفوا ويكرزوا بالأخبار السارة.

الابنُ يعلن الملكوتَ:

يوضح (مرقس ١: ١٤ – ١٥) أن الابن بدأ إرساليته بإعلان اقتراب ملكوت الله. يكرر يسوعُ هذا الإعلانَ في (متى ١٢: ٢٨) و(لوقا ١١: ٢٠) ويدلل عليه بإخراج الأرواح الشريرة. إن كل أعمال يسوع المعجزية إنما كانت في الواقع إثباتًا أن ملكوت الله قد أتى.

لكن كما علَّم يسوعُ أن الملكوت قد أتى، علَّم أيضًا أنه «ليس بعد». نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ٥: ١ – ١٠ و٦: ١٠ و٧: ٢١ – ٢٢ و٨: ١١ و١٣: ٤٢ – ٤٣ و١٦: ٢٧ – ٢٨ و٢٠: ٢١ و٢٦: ٢٩) و(مرقس ٩: ١ و١٠: ٣٧ و١٤: ٢٥) و(لوقا ١٣: ٢٨ – ٢٩ و٢٢: ١٨). نتناول أبعادَ الملكوت التي هي «الآن» والتي «ليست بعد» في كتاب «مُلك الله».

أوضح الابنُ في تعاليمه أن الملكوت:

- يخص الله.
- فعَّالٌ وقويٌّ.

- يؤسِّسه الابنُ بصورةٍ شخصيةٍ.
- يعني الخلاصَ.

غالبًا ما استخدم يسوعُ الأمثالَ كي يعلِّم الناسَ عن ملكوت الله. عندما نلقي نظرةً على أمثال يسوع، يمكننا ملاحظة العديد من الأفكار التي تعتبر قاسمًا مشتركًا فيها جميعًا.

الملكوت سيستمر في النمو

تشير الكثير من «أمثال الملكوت» الواردة في (متى ١٣) إلى النمو. هناك مثلاً مَثَل الزارع (ع ١ – ٢٣) والزوان (ع ٢٤ – ٣٠) وحبة الخردل (ع٣١ – ٣٢).

الملكوت ذو طبيعةٍ خفيةٍ

نرى في مَثَل الخميرة (ع ٣٣) النتائج العظيمة التي تترتب على الطرق الخفية غير الواضحة، وذلك على عكس أسلوب العالم في التفكير والفعل.

الملكوت ذو قيمةٍ عظيمةٍ

يوضح كلٌّ من مَثَل الكنز (ع ٤٤) ومثل اللؤلؤة (ع ٤٥ – ٤٦) قيمةَ الملكوت العظيمة التي لا تُضاهَى، لكن هذه القيمة لا يقدِّرها ولا يسعى نحوها الجميعُ.

الملكوت هو سرٌّ

يشير «سر الملكوت» في (ع ١١) إلى إتيان الملكوت قبل ظهور علاماته النبوية. نناقش التوترَ القائم بين جوانب الملكوت التي هي «الآن» وجوانبه التي «ليست بعد» في كتاب «مُلك الله» بالتفصيل. وهذا يعني أن الملكوت

لازال موجودًا في الوقت الحاضر إلى جانب الخطية والشر. يوضح مثل الشبكة (ع ٤٧ – ٥٢) ومثل الزوان (ع ٢٤ – ٣٠) أن الأبرار والأشرار يختلطون معًا في هذا العالم حتى نهاية الأزمنة. ولا ينبغي أن تكون هناك أية محاولة لفصلهم قبل قدوم النهاية؛ لأن الملك فقط هو المؤتمن على إصدار الحكم الصحيح في هذا الأمر.

الملكوت ذو طبيعةٍ عالميةٍ

يدل مَثَل الكرمة في (متى ٢١: ٣٣ – ٤٦) على أن الملكوت ليس لليهود فقط بل لكل الناس من كل الأمم.

الملكوت يتطلب التوبةَ والطاعةَ

يرينا الابنان في (متى ٢١: ٢٨ – ٣٢) الحاجةَ إلى التوبة والطاعة. يمكن لجباة الضرائب والزناة أن يدخلوا الملكوتَ قبل القادة الدينيين لو أتمُّوا شروطَ الدخول ولم يتمها القادةُ.

الملكوتُ مهمٌّ

إن مَثَلَي العذارى (متى ٢٥: ١ – ١٣) والعرس (متى ٢٢: ١ – ١٤) هما تحذير قوي بشأن إهمال الملكوت. ولنلاحظ أن إطار التحذير مستقبلي، لكن تحدِّيه هو تحدٍّ في الوقت الحاضر.

الملكوتُ سيلاقي معارضةً

الشوك في مثل الزارع والعدو في مثل الزوان يوضحان المعارضة التي يلاقيها الملكوتُ من كل اتجاه. وعلى الرغم من أن نمو الملكوت هو نمو أكيد، إلا أنه سيلاقي المعارضة دائمًا.

رسالة ملكوت الابن

كرز يسوعُ على نطاقٍ أوسع بعدما أُودِع يوحنا في السجن. يسجل (مرقس ١: ١٤ – ١٥) رسالتَه بأنه «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ».

يصف (متى ٣: ١ – ٢ و٤: ١٧) نفسَ الرسالة إلى حدٍّ كبير في بداية إرسالية الابن. وهذا يدل على أن إتيان الملكوت لم يكن مجرد حدث يجب أن يُعلَن، لكنه كان أيضًا تحدِّيًا على الناس أن يستجيبوا له.

كان إتيان الملكوت بالنسبة للابن حدثًا من الأهمية بحيث يجب على الناس أن يغيِّروا الطريقة التي يفكرون ويسلكون بها. وقد أعلن يسوعُ إتيانَ الملكوت بكلماتٍ واضحةٍ:

- لقد أتى الوقت وابتدأ عصرُ حكم الله الشخصي.
- أنتم مدعوون للاستجابة لوجود مُلْك الله الشخصي بطريقةٍ ثوريةٍ شخصيةٍ.
- الله يطالبكم بالخضوع لمُلْكه الشخصي. يجب أن تتوبوا وتؤمنوا.

دائمًا ما أوضح يسوعُ أن «التوبة» هي الدعوة الأساسية للملكوت. نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ٤: ١٧) و(مرقس ٦: ١٢) و(لوقا ٥: ٣٢ و١٣: ٣ – ٥ و١٥: ٧، ١٠ و٢٤: ٤٧).

المعنى الحرفي للفعل اليوناني «metanoeo» الذي يُترجَم إلى «يتوب» هو «يغير فكره» وهذا يعني أن إعلان الابن عن توبة الملكوت يعني تغييرًا ثوريًّا في الفكر والتوجُّه والنظرة، يعني ثورةً فكريةً تجاه الله وطبيعته ومُلْكه وتجاه يسوع والخطية والقداسة وأنفسنا. وهذه ثورةٌ فكريةٌ تقود إلى توجُّه

جديد تمامًا نحو الحياة، وبالتالي، إلى أسلوب حياةٍ جديد ومختلف كليةً. نتناول كلَّ ما يتعلق بالتعاليم الكتابية عن التوبة في كتاب «مُلك الله».

أوضح الابنُ أن التوبة هي مطلبٌ أساسي من تابعيه؛ فإلى أن يتوب الناسُ ويغيروا أذهانهم تجاه أنفسهم والله، لن يدركوا احتياجَهم إلى الخلاص.

بمجرد أن ندرك أن «التوبة» تعني «تغيير الذهن»، سيتضح لنا لماذا ربط الابن بين «الإيمان» و«التوبة». من الطبيعي أن يتضمن تغيير الذهن الإيمان بشيءٍ جديد. ودعوة يسوع إلى الإيمان بالإنجيل تعني ببساطة الإيمان بيسوع نفسه. توقع سامعوه أنه سيكون عليهم الالتزام بكل ما يمثله يسوعُ - أي بكل جانبٍ من جوانب إرساليته المتعدِّدة الأوجه.

عندما أعلن يسوعُ الملكوتَ، كان يدعو الناسَ إلى تأسيس علاقةٍ جديدةٍ معه تتميز بالتوبة والإيمان. يوضح (مرقس ١: ١٥ – ٢٠) كيف انتقل يسوعُ من إعلان إتيان الملكوت بدعوة الناس إلى التوبة والإيمان إلى دعوة الناس إلى اتِّباعه هو بصورة شخصية. يسجل (متى ٤: ١٧ – ٢٢) نفسَ هذا التدرُّج في الدعوة، مما يوضِّح أن إرسالية يسوع المتفرِّدة تضمَّنت دعوةَ الناس إلى أن يكونوا تلاميذه الشخصيين.

تقدم البشائرُ العديدَ من الأمثلة المختلفة عن إعلان الابن عن تلمذة الملكوت. توضح هذه الأمثلة أن تلمذة الملكوت:

شخصية

لم يدعُ الابنُ إلى اتِّباع مجموعةٍ من الأفكار أو القواعد، بل إلى اتِّباعه هو

شخصيًّا. وهو يدعو في (متى ١١: ٢٩) إلى التعلُّم منه هو شخصيًّا وليس إلى التعلُّم من شريعة أو كتاب.

مُلِحَّة

تسجل البشائرُ العديدَ من الوقائع حول أناس تمت دعوتهم ليتبعوا يسوعَ أي ليصبحوا تلاميذًا له. وفي كل حالةٍ، كانت الدعوةُ مُلِحَّةً وعاجلةً جدًّا. كان عليهم أن يجيبوه حالما يدعوهم حتى لو تسبب ذلك في إرباكهم هم ومن حولهم. نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ٤: ١٨ – ٢٢ و٩: ٩ و١٩: ٢١) و(لوقا ٩: ٥٩) و(يوحنا ١: ٤٣). بعض الأشخاص تبعوا يسوعَ مباشرةً. وهناك آخرون اختلقوا الأعذارَ لأنفسهم ولم يتبعوه. ربما تكون دعوة الابن ملزمةً لكنها غير إجبارية.

حاسمة

كان على الأشخاص الذين دعاهم يسوعُ أن يتخلوا عن كل شيءٍ بصفةٍ دائمةٍ ويتبعوه. نرى ذلك على سبيل المثال في (مرقس ١٠: ٣٣) و(لوقا ٩: ٦٢) و(يوحنا ٨: ٣١ – ٣٢). إن اتِّباع يسوع والتلمذة له ليست مجرد استجابة شعورية لتعاليمه واقتناعًا عقليًّا بها. إنها قرار دائم باتِّباعه والتعلُّم منه وطاعته والعيش بقربه في كل الأوقات.

مُكلِّفة

لم يَقُل يسوعُ أبدًا إن اتِّباعه أمر سهل. وقد أوضح مرارًا وتكرارًا تكلفةَ التلمذة وتكلفة الالتزام نحوه. نقرأ عن ذلك على سبيل المثال في (متى ٦: ٣٣ و١٦: ١٣ – ٣٣) و(مرقس ٨: ٣٤) و(لوقا ٥: ١ – ١١ و٩: ٢٣ و١٢: ٣١ – ٣٤).

سوف تُكافَأ

إن حديث يسوع عن المكافآت هو دائمًا سياق الحديث عن تلمذة الملكوت كما نقرأ في (متى١٦: ٢٤ – ٢٧) على سبيل المثال. يتحدث (مرقس ١٠: ٢٩ – ٣٠) أيضًا عن البركات الرائعة التي يغدقها الربُّ على هؤلاء الذين يتبعونه مضحِّين بكل شيء.

قصد إرساليته المتفرِّدة:

هناك تدرُّج واضح في رسالة الابن عن الملكوت. إننا مدعوون أولاً إلى أن نغيِّر طريقةَ تفكيرنا عن الله. ثم علينا أن نؤمن بيسوع ونعتمد عليه كليةً ونثق به. وبعدها علينا أن نتبعه عن قرب ونكون تلاميذًا له.

لكن هذا ليس كل شيء؛ حيث إننا لسنا مدعوين فقط إلى اتِّباع يسوع، لكننا باتِّباعه مدعوون إلى أن نكون مثله. لا تقتصر إرساليةُ يسوع على جمع الأتباع والتلاميذ، لكنها تتضمَّن أيضًا تغييرهم على شاكلته.

تؤكد البشائرُ على خمس طرق مهمة يريد بها الابنُ لتلاميذه أن يصبحوا مثله:

المحبة

أخبر يسوعُ التلاميذَ في (يوحنا ١٣: ٣٤ – ٣٥) أن لديه وصيةً جديدةً لهم تثبت للجميع أنهم تلاميذ يسوع.

العطاء

يشرح يسوع في (يوحنا ١٥: ١٣ – ١٤) ما يقصده بالمحبة. إنها العطاء المضحِّي الباذل، وهي تعني أن نضع أنفسنا من أجل أصدقائنا.

الخدمة

يقول يسوع في (مرقس ١٠: ٤٢ – ٤٥) إن على تلاميذه أن يخدموا بطريقة تختلف تمامًا عن طريقة العالم.

العمل

يعلن يسوع في (يوحنا ١٤: ١٢) أن على تلاميذه أن يعملوا مثله. يعتقد الكثيرون أن يسوع يشير هنا إلى إخراج الشياطين وشفاء الأمراض. وهذه بالتأكيد عناصر مهمة من إرسالية الابن. لكن علينا أن ندرك أن هذا العدد يَرِد في نفس سياق حديث يسوع مع تلاميذه عن حياة البذل والعطاء والمحبة والخدمة. إن كنا نؤمن بالابن، فلنتوقع أن نعيش مثله، وهذا يتضمَّن صنعَ المعجزات العظيمة بالطبع. لكن الخدمة المتواضعة ستكون هي الطابع المميِّز لأعمالنا.

الذهاب

يسجل لنا (يوحنا ٢٠: ١٩ – ٢٢) كلمات يسوع الأولى لتلاميذه بعد قيامته. ويحتوي (ع ٢١) على دعوته الأخيرة لهم بأن يكونوا مثله.

سنرى في الجزء السابع كيف أن بشارة يوحنا تؤكِّد على أن الابن نفسه كان خاضعًا لمُلك الله الشخصي ولذلك لم يقل كلامًا من نفسه، ولم يفعل أفعالاً من نفسه، ولم يذهب إلى مكانٍ من تلقاء نفسه. بل إن كل ما يقوله ويفعله هو من الآب، وكل مكان يذهب إليه إنما يرسله الآب إليه. وهو يفعل كلَّ ذلك بقوة الروح القدس.

أرسل يسوعُ تلاميذَه بنفس الطريقة، فكان عليهم أن يذهبوا إلى العالم

مثلما ذهب، وأن يخضعوا للروح مثلما خضع وأن يعتمدوا على الروح مثلما اعتمد هو عليه وأن يتشاركوا في إرساليته الفريدة.

لقد أكدنا على أهمية فهم إرسالية الابن المتفرِّدة المتعدِّدة الأوجه بصورةٍ صحيحةٍ. والآن علينا أن نبدأ في إدراك سبب أهميتها. تكمن أهمية الإرسالية في أن يسوع يدعونا إلى مشاركته في إرساليته المتفرِّدة ونشر رسالته عن المصالحة وتطبيق انتصاره على الشر وتمجيد الله الحي وشفاء المرضى والكرازة بالأخبار السارة عن الملكوت للمجروحين من حولنا.

الجزء السادس

الابن والروح

رأينا كيف توضح البشائرُ الأربع التي تكمل بعضها البعض أن فجر عصر جديد قد بزغ بقدوم الابن إلى الأرض. وهذا العصر هو عصر ملكوت الله، عصر المسيا وعصر انتشار وجود الروح القدس.

تؤكد كلُّ البشائر على أن يسوع الناصري هو المسيح المسيا الممسوح، وذلك بسبب المسحة الخاصة التي أخذها من الروح القدس. كما تتحدث جميعُها عن يسوع بصفته المتفرِّد في حمل الروح القدس والمتفرِّد في التعميد بالروح القدس.

كان هناك شعورٌ عام في أيام يسوع بأن الروح القدس قد فارق إسرائيلَ؛ حيث لم يتحدث اللهُ إلى الشعب من خلال نبي على مدار عدة مئات من السنين ولم يَعُد مجدُه يسطع في الهيكل. لذلك، نظر اليهودُ إلى ماضيهم بحنين عميق وتطلعوا إلى المسيا بأمل مرتقب.

تتخطى بشارةُ مرقس قصةَ الميلاد، وتبدأ مباشرةً بحادثة معمودية يسوع التي تعتبرها التحقيق العظيم لكل آمال العهد القديم. يتحدث مرقس عن يسوع في العدد الأول باعتباره «المسيح ابن الله» ثم يُعلِن بعد ذلك مباشرةً حقيقتين ثوريتين.

أولاً: يعلن مرقس أن صمت الله قد انتهى؛ فلأول مرة منذ عهد حجي

وزكريا وملاخي، يتحدث اللهُ من السماء. وقد رأينا أن الكلمات الإلهية المسجلة في (مرقس ١: ١١) تجمع بين الرجاء المسياوي في (مزمور ٢: ٧) و(٢صموئيل ٧: ١٤) والوعد المُعلَن في (إشعياء ٤٢: ١) عن العبد المتألم. كما تعلن هذه الكلمات عن طبيعة يسوع المتفردة حيث هو الحاكم المسياوي والعبد المتألِّم معًا.

ثانيًا: يعلن مرقس أن ندرة وجود الروح قد انتهت أخيرًا؛ فقد سكب اللهُ روحَه القدوس كي يُعِد خادمه المسياوي لإرساليته المتفرِّدة. لا عجب إذًا أن تكون أولى كلمات يسوع المسجَّلة في (مرقس ١: ١٥) هي: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ».

الابنُ يحمل الروحَ بصورةٍ متفرِّدةٍ:

يحاول مرقس جاهدًا في كل بشارته أن يوضِّح أن الابن يحمل الروحَ القدس خلال كل وقت خدمته الأرضية وخلال كل أيامه على الأرض. لكنه يعلن في (مرقس ١٣: ١١) فقط ـ عندما كان يسوعُ يُعِدُّ تلاميذَه لنهاية الأزمنة ـ أن الروح يُعِدُّ ويساعد أشخاصًا آخرين غير الابن.

ينطبق نفس الأمر تقريبًا على بشارة متى التي تؤكد أيضًا على أن يسوع يحمل الروح القدس داخله بصورة متفرِّدة. لكن متى يعطينا تلك المعلومة الإضافية التي تقول إن يسوع حُبِل به من الروح. يوضِّح (متى ١: ١٨ – ٢٠) أن الابن كان مرتبطًا بالروح بصورة متفرِّدة منذ بداية حياته على الأرض.

يعلن لوقا عن الروح أكثر مما تعلنه البشائرُ الأخرى، ويؤكد على حضور وعمل الروح في قصص الميلاد. يوضح لوقا أن مريم وأليصابات وزكريا

كانوا ممتلئين من الروح القدس، إلا أنه يؤكد بصورةٍ عظيمةٍ على تفعيل الروح لكل حياة وخدمة الابن.

يوضح لوقا على سبيل المثال أن الروح القدس قاد الابنَ إلى البرية وأن الابن كان ممتلئًا من قوة الروح القدس عندما بدأ خدمتَه وأن مسحة الروح التي يتحدث عنها (إشعياء ٦١: ١) كانت مسيطرةً على كل خدمته وموجِّهةً لها.

تضيف بشارةُ يوحنا إعلانًا آخر عن الطريقة التي تفرَّد بها الابنُ في حمل الروح القدس. في (يوحنا ٣: ٣٤) عندما كان يسوعُ يتحدث مع تلاميذ يوحنا المعمدان، أعلن أن اللهَ أعطاه الروحَ القدس «بغير كيل» وبغير أن يمنع عنه شيئًا منه. وبهذه الطريقة المتميِّزة نرى أن الابن يقف وحده متفرِّدًا في كل التاريخ من حيث كونه الشخص الذي أخذ مسحةً غير محدودة من الروح.

الابنُ ممسوح بالروح بصورةٍ متفرِّدةٍ:

تتفق البشائرُ الأربع من جهة تفرُّد يسوع بمسحة الروح القدس وكذلك من جهة تفرُّده في المعمودية بالروح القدس. وهذا يعني أنه ما من أحد يمكن أن يأخذ الروحَ سوى الابن، وما من أحد يمكن أن يعرف الابنَ إلا من خلال الروح القدس.

تسجِّل كلُّ البشائر (وكذلك سفر أعمال الرسل) وعد يوحنا المعمدان بأن يسوع سوف يعمِّد بالروح (متى ٣: ١ – ١٢) و(مرقس ١: ١ – ٨) و(لوقا ٣: ١ – ١٨) و(يوحنا ١: ١٩ – ٣٤) و(أعمال الرسل ١: ١ – ٥). في الواقع، يمكننا أن نقول إنه عندما نبدأ أية دراسة عن شخص يسوع،

فمن المستحيل ألا ننتهي إلى أن أهم عمل سيؤديه الابن ـ من وجهة نظر يوحنا المعمدان ـ هو معمودية الناس بالروح القدس.

عندما ننظر إلى البشائر بعينٍ غير خبيرةٍ، سيكون من المفاجئ لنا أنها تصف الابنَ وهو يقوم بعمل كل شيء ماعدا المعمودية بالروح القدس، وذلك بعد مقدمتها عن إرسالية الابن ليعمِّد بالروح.

لكن كل العهد الجديد يعلِّمنا أن الابن كان بإمكانه أن يعطي الروحَ فقط بعد أن يُمجَّد في موته وقيامته وصعوده. تتطلع كلُّ بشارةٍ إلى اليوم الذي سيُرسِل فيه الابنُ الروحَ ويُعِدُّ تلاميذُه للمشاركة في إرساليته. نرى ذلك على سبيل المثال في (متى ٢٨: ١٩) و(مرقس ١٣: ١١) و(لوقا ١١: ١٣ و٢٤: ٤٤ – ٤٩) و(يوحنا ٧: ٣٩ و٢٠: ٢١ – ٢٣). نتناول هذه الحقيقة بالتفصيل في كتاب «معرفة الروح». لكن يمكننا هنا أن نقول باختصار إن البشائر توضح أن:

- الروح أعد الابنَ للقيام بإرساليته المتفرِّدة.
- الروح لم يكن متاحًا للآخرين خلال حياة الابن على الأرض.
- الابنُ أعطى الروحَ لتابعيه بعد موته وقيامته وصعوده كي يستمرُّوا في إرساليته. الابن يعلن الروح.

الابنُ يعلن الروح:

قلنا فيما سبق إن إعلان الله للبشرية كان جانبًا مهمًّا من جوانب إرسالية الابن المتعدِّدة الأوجه. وهذا يعني أن الابن يعلن الروحَ كما يعلن الآبُ.

نتناول عمل الروح القدس في العهد القديم في كتاب «معرفة الروح» ونرى أن الروح كان هو قوة الله، إعصار نسمة ريح الله الذي لا يمكن التنبؤ به.

أما في العهد الجديد، فلم يَعُد الروح قوةً مجرَّدةً لكنه ظهر في شخص وكيان الابن. يقول (أعمال الرسل ١٦: ٧) و(فيلبي ١: ١٩) - في معظم ترجمات الكتاب المقدس - إن الروح القدس هو «روح الابن».

وهذا يعني أنه كما يعتمد الابنُ على الروح من أجل الحصول على القوة والتمكين والتوجيه، يعتمد الروحُ كذلك على الابن في أن يعلنه. نرى هذا الاعتمادَ الإلهي المتبادَل كذلك في العلاقة بين الابن والآب والتي نناقشها في الجزء السابع.

تؤكد بشارةُ يوحنا بصورةٍ قويةٍ على الاعتماد المتبادَل بين الابن والروح وبين الآب والابن. تتضح علاقةُ الابن والروح بصورةٍ خاصة في (يوحنا ١٦: ٧) على سبيل المثال. ويمكننا القول إنه عندما كان الابن على الأرض، فقد جعل حضورَ الرُّوح متمركزًا. أما الآن والابن في السماء، فقد جعل الروحُ حضورَ الابن حضورًا عالميًّا.

كان الابن دائمًا محدَّدًا بالمكان والزمان في حياته الأرضية، لكن صعوده جعل إتيان الروح الذي لا تحده أيةُ عوائق زمنية أو مكانية أمرًا ممكنًا. يستطيع الابنُ الآن من خلال الروح أن يكون مع كل شعبه بصفةٍ دائمةٍ. ونستطيع كلنا أن نكون فيه وهو فينا.

البارقليطُس:

يعلن الابنُ في بشارة يوحنا أن الروح هو البارقليطس (parakletos). والمعنى الحرفي لهذه الكلمة هو «المدعو إلى جانبنا» ويمكن ترجمتها إلى المُدافِع (Advocate) أو المُرشِد (Counsellor) أو المُعزِّي (Comforter)

أو المعين (Helper) أو الشفيع (intercessor) أو الذي يعين ويُرشِد. نرى ذلك في (يوحنا ١٤: ١٥ – ١٨، ٢٥ – ٢٧ و١٥: ٢٦ – ٢٧ و١٦: ٧ – ١٥).

يستخدم (يوحنا ١٤: ١٦) الكلمةَ اليونانيةَ «allos» التي تعني «آخر» وليس «heteros» التي تعني «بديلاً». وهكذا أكد يسوعُ على أن الروح ليس آخر مختلفًا عنه بل آخر مطابقًا له. عندما نتفرس في الابن، يمكن أن نفهم الروح، وعندما نستمع إلى الروح، نسمع صوتَ الابن.

يؤكد (يوحنا ١٤ :١٨) على هذه الحقيقة أكثر فأكثر. في هذا العدد، يَعِد يسوعُ تلاميذَه بأنه هو نفسه سيأتي إليهم في ومن خلال إرسال الروح القدس.

يبدو أن الله سمح لكلٍّ من موسى وإيليا (اللذين كانت لهما مسحةٌ خاصة من الروح القدس) أن ينقلا هذه المسحةَ لمن خلفهما في القيادة. نقرأ عن ذك في (تثنية ٣٤: ٩) و(٢ ملوك ٢: ٩ – ١٥). وهكذا استمر يشوعُ وأليشع في خدمة موسى وإيليا بمسحةٍ مشابهةٍ.

بنفس الطريقة سُمح ليسوع (الممسوح بالروح بلا حدود) أن ينقل مسحتَه لخلفائه المختارين حتى يكملوا إرساليته. وهذا يعني أن العلاقة بين الروح والابن لها نتائج مهمة تؤثر على الطريقة التي نحيا ونخدم بها اليوم كتلاميذ.

إن العلاقة بين الروح والابن تعني أن الروح يعمل الآن بنفس الطريقة التي عمل بها الابن في إرساليته على الأرض.

- الابنُ أتى من الآبِ كعطية الآب للبشرية وهكذا البارقليطُس أيضًا (يوحنا ٣: ١٦ و٥: ٤٣ و١٦: ٢٨).
- الآبُ أرسل الابنَ إلى العالم كممثلٍ له. وأيضًا أرسل الابنُ الروحَ باسمه (يوحنا ٥: ٤٣ و١٤: ٢٦).
- الابنُ بقي مع التلاميذ وأرشدهم. وهكذا الروحُ سيبقى مع التلاميذ وسيرشدهم (يوحنا ١٤: ١٦ – ١٨).
- الابنُ علَّم تلاميذَه الحقَّ؛ لأنه هو في شخصه الحق، وهكذا سيقود روحُ الحقِّ التلاميذَ إلى كل الحق عن يسوع (يوحنا ١٤: ٦، ١٧ و١٥: ٢٦ و١٦: ١٣).
- الابنُ لم يجذب الانتباهَ إلى نفسه، لكنه مجَّد الآبَ بنقل رسالته إلى البشرية. والروحُ القدس أيضًا لن يتحدث بسلطانه بل سيأخذ فقط ما للابن ويعطيه للعالم (يوحنا ٨: ٢٨ و١٢: ٢٨ و١٦: ١٤ و١٧: ٤).
- الابنُ شهد للآبِ، وهكذا الروحُ سيشهد ليسوع (يوحنا ٨: ١٤ و١٥: ٢٦ – ٢٧).

الروح القدس لا يجعل حضورَ الابن حضورًا عالميًّا بالنسبة للمؤمنين فقط، لكنه يفعل ذلك أيضًا بالنسبة لغير المؤمنين في العالم. لقد أتى يسوعُ كي يصل إلى التائهين والمجروحين. ويعلِّمنا (يوحنا ١٥: ٢٦ – ٢٧) أن الروح أتى كي يشهد للعالم ولكي يمكن التلاميذ من الشهادة للعالم.

كذلك يشرح (يوحنا ١٦: ٨ – ١١) أن الروح سيبكِّت الناسَ على خطيةٍ وعلى بِرٍّ وعلى دينونة. لكن هذا لن يكون إعلانًا جديدًا؛ حيث إنه هو نفس ما كان يسوع يفعله خلال خدمته الأرضية تمامًا. نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ٩: ٣٥ – ٤١). يمكننا في الواقع أن نقول إنه:

- كما رفض العالمُ أن يقبل الابنَ هكذا سيرفض أن يقبل الروح (يوحنا ١: ١٠ – ١١ و١٤: ١٧).
- كما شهد الابنُ على خلفية من الكراهية والمعارضة لأنه أخبر الناسَ بالحقيقة غير المِرُحَّب بها، هكذا سيفعل الروحُ (يوحنا ٧: ٧ و١٦: ٨).

روح البنوة:

كانت خدمة يسوع بكاملها هي بالروح. كان الروح القدس هو مصدر حياته وقوته ومشاعره. على سبيل المثال:

- تهلل يسوعُ بالروح – (لوقا ١٠: ٢١).
- أخرج الشياطين بالروح – (متى ١٢: ٢٨).
- علَّم بالروح – (أعمال الرسل ١: ٢).
- بذل نفسَه بالروح – (عبرانيين ٩: ١٤)
- صنع خيرًا وشفى كلَّ الواقعين في قبضة الشرير بالروح (أعمال الرسل ١٠: ٣٨).

كل هذه الأمور يجب أن تكون واضحةً لنا. نقوم بدراسة الطريقة التي خدم بها الابنُ في - ومن خلال - الروح في كلٍّ من «معرفة الروح» و«الخدمة المُنقادة بالروح» و«الاستماع إلى الله».

أثر الروحُ أيضًا على الابن على المستوى الأساسي من بنوته ذاتها. نرى في كتاب «معرفة الآب» أن بنوة يسوع تختلف عن بنوتنا. على سبيل المثال، وُلِد يسوع بقوة الروح القدس بينما نحن لم نولد هكذا. وهو أيضًا ابن الله بالاستحقاق بينما نحن أبناء الله بالتبنِّي فقط.

لكن امتلاك الروح هو ما فصل يسوعَ باعتباره الابن المسياوي لله وجعل الصوتَ يعلن من السماء عند معموديته أنه «ابني الحبيب». وكان باستطاعة يسوع كالابن الحبيب أن يدعو اللهَ «أبا». وكان هو الوحيد الذي فصله الروحُ كالابن المفضَّل لدى الله الذي يمكن أن يدعوه بهذه الطريقة؛ لأن الممسوح هو وحده الذي يتمتع بعلاقة البنوة الحميمة هذه مع الله الآب.

هذه بالتأكيد هي البنوة التي أوجدها الابنُ من أجلنا. ومن خلال الروح، يمكِّننا الابنُ من معرفة الآب باعتباره «أبا». ومن خلال الابن، يُدخِلنا الروحُ مع المسيح في بنوة الله، ويمكِّننا من أن نصرخ: «أبا» في عائلة الله. نرى هذه الحقيقة في (رومية ٨: ١٤ – ١٧) ونتناولها في كتاب «معرفة الآب».

هذا هو امتيازنا الرائع ومكانتنا الفائقة كمؤمنين. إننا نملك روحَ ابن الله مما يجعلنا أبناء الله ويمكِّننا من النطق بصرخة العائلة. وقد قيل بحق إن كلَّ الأخبار السارة يمكن أن تُختزَل في هذه الكلمة الواحدة «أبا» ـ وهذا هو عمل روح البنوة.

روح الخدمة:

رأينا في كتاب «معرفة الآب» أن (مرقس ١٤: ٣٥ – ٣٦) يعلن أن يسوع كان يخاطب اللهَ بكلمة «أبا» عندما كان ينتظر يهوذا في بستان جثسيماني وأمامه ظل الصليب. كما نتناول خليفة الخلاص المثلث الذي يتحدث عنه (إشعياء ٦٣: ٧ – ١٦) و(مزمور ٨٩: ١٩ – ٢٠) ونرى أن توجُّه «أبا» نحو الآب يتضمَّن قبولَ آلام وتضحية الصليب.

على عكس ملوك العهد القديم الذين كانوا يطمحون إلى لقب «ابن يهوه»، أظهر الابنُ ثقةً كاملةً في أبيه حتى عندما كان ذلك يعني مواجهة الخيانة

والصليب، وحتى عندما تضمَّن ذلك تضحيةً وألمًا عظيمين. إن البنوة بالنسبة للابن لم تكن منفصلةً عن الخدمة؛ وذلك لأنه مُسِح من الروح عند معموديته لكي يكون الخادم المتألم، وكذلك لكي يكون المسيا الملك.

نقرأ في (مرقس ١: ١٠) أنه عندما نزل الروحُ على يسوع عند معموديته، فقد نزل «على هيئة حمامة». ولهذا دلالة كبيرة حيث يقول (لاويين ٥: ٧ – ١٠) إن الحمامة هي ذبيحة خطية مقبولة يقدِّمها الفقراء، والحمامة هي الطائر الوحيد الذي يُسمَح بتقديمه كذبيحةٍ. نعرف كذلك أن مريم ويوسف قدَّما فرخي حمام في الهيكل عندما قدَّما يسوعَ للرب.

ظهرت حمامةٌ أخرى في الأردن عندما كُرِّس يسوعُ ثانيةً، لكن للخدمة هذه المرة. الكلمة العبرية التي تعني حمامة هي «يوناه». أُرسِل يونان ـ السيد حمامة ـ إلى مدينةٍ وثنيةٍ بعيدةٍ كي ينادي بالتوبة ويخلِّص الخطاةَ. وقد قضى ثلاثةَ أيامٍ في بطن حوت قبل «قيامته».

لذلك، عندما نزل الروحُ مثل حمامةٍ على الابن، فقد كان يعلن دعوةَ الابن كي يكون هو الخادم المتألِّم المدعو للكرازة بالتوبة والمدعو لكي يخلِّص الخطاةَ ويموت ويقوم بعد ثلاثة أيام. كان على الابن أن يكون مطيعًا مثل يونان. وستكون إرسالية خدمته أكثر نجاحًا من إرسالية يونان. سوف تخلُص نينوى ويخلُص الكلُّ؛ لأن روح الخدمة قد حل على الابن.

لهذه الحقيقة أيضًا تأثيراتها الواقعية على حياة خدمتنا الممسوحة. عندما يعمِّدنا الابنُ بروحه، فهو يدعونا إلى الثقة في الله في ظلام وحزن بستان جثسيماني الخاص بنا وإلى طاعته عندما يكون بنا ميلٌ نحو سلوك طريق أسهل. يتكرر ورود هذه الفكرة في العهد الجديد. على سبيل المثال:

- يسجل (أعمال الرسل ٤: ٢٩ – ٣١) أنه عندما تألَّم المسيحيون الأوائل من أجل المسيح رجعوا إلى أصدقائهم وصلُّوا من أجل الشجاعة والمجاهرة (وليس من أجل أمنهم وسلامتهم) فتزعزع المكانُ الذي كانوا فيه وامتلأوا من الروح القدس.
- يوضح (أعمال الرسل ٢٠: ٢٢ – ٢٣) أن الروح هو من شهد لبولس أن السجن والمعاناة ينتظرانه في أورشليم وقيَّده كي يقبل مصيرَه هذا.
- يؤكد (١ بطرس ٤: ١٣ – ١٦) على أن الروح يدعونا لاختبار آلام المسيح.

روح الشهادة:

أشارت الحمامةُ عند معمودية يسوع إلى خدمة يونان التي تميَّزت بالألم والمعاناة، وأشارت كذلك إلى شهادة يونان المؤثرة. ظهرت الحمامة لأول مرة في الكتاب المقدس في (تكوين ٨: ١ – ١٢)، وبعدها كانت شاهدًا على خليقة الله الجديدة والحياة الجديدة لعائلة نوح في ظل وعود الله بالبركة والوفرة.

حل روحُ الشهادة على الابن في الأردن على هيئة حمامة، وبعدها مباشرةً، بدأ الابنُ في الشهادة بقوة الروح. نرى ذلك في (لوقا ٤: ١٨). حدث نفس الأمر مع التلاميذ بعد أن أخذوا مسحة الروح بواسطة الابن يوم الخمسين.

يبدأ سفرُ أعمال الرسل بمجموعةٍ قلقة مكوَّنة من حوالي ١٢٠ من التلاميذ غير المتعلِّمين مجتمعين في عليَّةٍ كي يصلُّوا. لكن السفر يستمر في الحديث عنهم، ويصف كيف أصبحت هذه الجماعة الخائفة مجموعةً من الشهود الأقوياء الذين استطاعوا أن يقفوا في وجه المعارضة العنيفة والاضطهاد

القاسي، وكيف أسَّسوا كنيسةً مزدهرةً في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

يمكننا أن نرى روحَ الشهادة في كل صفحة من صفحات سفر أعمال الرسل؛ حيث كان هناك أناسٌ يُشفَون ويخلُصون ويهتدون إلى الإيمان وينالون قوةً ويتغيَّرون إلى شهودٍ رائعين للابن المُقام. وقوة الروح القدس هي دائمًا السبب الرئيسي وراء فاعلية وتأثير التلاميذ.

نرى في كتاب «معرفة الروح» أن الشهادة هي أساس عمل الروح القدس. يوضح (يوحنا ١٥: ٢٦ – ٢٧) أن الروح له هدفين عظيمين هما:

- الشهادة عن الابن.
- مساعدتنا كي نشهد عن الابن.

ويَعِدنا (أعمال الرسل ١: ٨) بأن مسحة الروح تتسبَّب دائمًا في:

- جعل التلاميذ شهودًا أقوى عن الابن.

نؤكِّد في كتاب «معرفة الروح» أن الروح يتسبَّب دائمًا في تغيير أكيد. يريد الروحُ أن يملأنا بقوة وقداسة الابن، وأن يوجِّهنا نحو القيام بأعماله، وأن يمكِّننا من الحياة في محضره. وهو يريد أن يفعل كل ذلك حتى نعرف الابنَ بصورةٍ أفضل ونُعرِّفه للآخرين بصورةٍ أفضل.

لكن كل أعمال الروح العظيمة هذه ترتبط في الأساس بهدفه الأصلي الذي هو الشهادة. رأينا في (لوقا ٤: ١٨) أن يسوع يعلن أنه مُسِح بالروح خاصةً لكي يبشِّر المساكين. نرى نفس هذا الهدف وراء مسحة الروح في

بقية العهد الجديد ـ عندما يمتلئ الناسُ من الروح القدس أو يأخذوا مسحتَه، تبدأ الشهادةُ المؤثرةُ في العمل.

توضح نصوص مثل (أعمال الرسل ٢: ٤١ – ٤٧ و٤: ٣١ – ٣٣ و٦: ١٠ و٩: ١٧ – ٢٨ و١٠: ٤٤ – ٤٦ و١٣: ٩ – ١٢ و١٩: ٦ – ٢٠) و(١ تسالونيكي ١: ٥ – ٨) و(عبرانيين ٢: ٤) و(١ بطرس ١: ١٢) أن تمجيد الله والشهادة ليسوع كانا هما النتيجة المباشرة لأخذ روح الشهادة من الابن.

يمكننا القول إن الروح القدس هو الذي حفَّز الكنيسةَ على التبشير. أصبحت الكنيسةُ في يوم الخمسين كنيسةً شاهدةً بصورةٍ تلقائيةٍ؛ وذلك لأن روح الشهادة قد حلَّ عليها. نرى هذه الحقيقة في نصوص مثل (أعمال الرسل ٤: ٢٠).

عندما ننظر إلى البنوة والخدمة والشهادة معًا وندرك أن الروح هو روح يسوع، فعلينا أن نتوقع رؤية نتائج مماثلة للروح في حياة أتباع الابن الممسوحين. على سبيل المثال، يوضح العهد الجديد أن قوة الله مكَّنت التلاميذ من أن:

- يصبحوا شهودًا ليسوع (أعمال الرسل ١: ٨).
- يشهدوا عن قيامة يسوع (أعمال الرسل ٤: ٣٣).
- يصنعوا آيات وعجائب (أعمال الرسل ٦: ٨).
- يزدادوا في الرجاء (رومية ١٥: ١٣).
- يصنعوا آيات عظيمة وعجائب (رومية ١٥: ١٨ – ١٩).
- يتحدَّثوا ويعظوا (١كورنثوس ٢: ٤ – ٥).
- يتحملوا المشقَّات (٢كورنثوس ٦: ٦ – ١٠).
- يفرحوا في الضعف (٢كورنثوس ١٢: ٩).

- يتقووا في معرفة محبة الله (أفسس ٣: ١٦).
- يواجهوا العدوَّ بالصلاة (أفسس ٦: ١٠ – ١٨).
- يعلنوا البشارةَ (١ تسالونيكي ١: ٥).
- يصبروا (كولوسي ١: ١١).
- يتشاركوا في آلام المسيح (٢ تيموثاوس ١: ٨).

وهذا يعني أنه علينا أن نتوقع بثقةٍ أن يعمل «روحُ يسوع» في حياتنا اليوم بنفس الطريقة. علينا أن نتوقَّع أن يعطينا الروحُ ثقةً عميقةً بأننا حقًّا أبناء الله بالتبنِّي. علينا أن نتوقع أن يدعونا كي نسلك في طريق الخدمة ونكون مستعدِّين للمشاركة في آلام الابن وأفراحه. علينا أن نتوقع أن يرسلنا الروحُ كي نشهدَ عن الابن بقوته الشخصية وبتأثير فاعليته.

الجزء السابع

الابن والآب

بدأنا كتاب «معرفة الآب» بوصف العلاقات بين الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. ثم ركَّزنا بعد ذلك على العلاقة بين الآب والابن ورأينا أن:

- الآب يعتمد على الابن ويكرِّس كلَّ شيء له. كما أنه لا يعمل ولا يتحدث ولا يبذل نفسَه بمعزل عن الابن.
- الآب يمارس سلطانَه بالاشتراك مع الابن الذي يعلن مشيئةَ الآب وينفِّذها.
- الآب يعبِّر عن ذاته من خلال الابن؛ لأن الابن هو من يُعلِن شخصَ الآب.
- الآب والابن واحدٌ في الجوهر والطبيعة.
- الآب يعمل بالاشتراك مع الابن في الخليقة والخلاص والدينونة.
- العلاقة بين الآب والابن هي قلب البشارة؛ لأن الأبوةَ والبنوة يدلان على الاعتماد المتبادَل والحياة المُشتَرَكة.

يعتمد الآبُ على الابن من حيث التعبير عن ذاته وإعلان شخصه وإتمام أعماله. إلا أن هذه ليست كل القصة المتعلقة بالأقانيم الإلهية. علينا أن نفهم أيضًا أن الابن يعتمد كليةً على الآب ويخضع له تمامًا

الابنُ يأخذ هويتَه من الآب:

رأينا في كتاب «معرفة الآب» أن الآب يُعرَف من خلال علاقته مع الابن،

وأن الابن يأخذ هويتَه من خلال علاقته مع الآب. وهو لا يحصل على هذه الهوية مرةً واحدةً فقط بل مرارًا وتكرارًا في كل مرحلةٍ من مراحل إرساليته المتفرِّدة.

لقد أخذ الابنُ في كل أزمةٍ واجهها خلال حياته ومماته تأكيدًا جديدًا على هويته الشخصية؛ حيث كان يجدِّد معرفته لعلاقته مع الآب من خلال كل اعتراف له بـ«أبا» بقوة الروح القدس.

تحديد الهوية:

نظر الناسُ على مدار التاريخ في العديد من الاتجاهات المختلفة ليكتشف كلٌّ منهم من هو حقًّا. ينظر البعضُ إلى الداخل كي يعرفوا أنفسَهم من الناحية السيكولوجية. وآخرون ينظرون إلى الوراء كي يعرفوا أنفسَهم من خلال الماضي الذي أتوا منه. وفريقٌ ثالث ينظر إلى الخارج كي يعرف نفسَه من خلال إنجازاته.

ربط يسوعُ التوجُّهات الثلاثة معًا ـ النفسية والتاريخية والوظيفية ـ في تعريف نفسه. كان يسوعُ يعرف الآبَ من خلال تجربةٍ داخليةٍ عميقةٍ، لكنه لم يثق في هذه التجربة ذاتها بل في حقيقة وسلطان الآب الذي تحدَّث إليه من داخل هذه التجربة.

كذلك كان يسوعُ يعرف أن جذوره التاريخية هي الأفضل والأعمق؛ لأنه من نسل داود ومن سلالة إسرائيل الملكية التي سيتحقق من خلالها وعدُ الله. لكنه لم يرتبط بماضيه أو بتراث عائلته؛ حيث كان اعتماده الكلي على أبيه السماوي، وليس على سلالته الأرضية.

كما كانت ليسوع قائمةٌ طويلةٌ من الإنجازات العظيمة التي تثبت ادِّعاءاته المسياوية وذلك كما نقرأ في (متى ١١: ٤ – ٦) على سبيل المثال. لكن هذه الإنجازات كانت ثمارًا لثقته في من هو، وليست مصدرًا لهذه الثقة. لقد نبعت أعمال يسوع من كونه الابن وليست هي التي جعلت منه الابن. أخرج يسوعُ الشياطين، وشفى المرضى، وأعلن الملكوتَ؛ لأنه كان الابن الممسوح. وكانت خدمته هي طاعته لهويته وليست طريقةً للوصول إلى هذه الهوية. كما أن علاقته مع الآب كانت تأتى دائمًا قبل خدمته للآب ومع الآب.

وعليه، يمكننا القول إن يسوع أُعطي هويته كالابن من خلال تجربته وتراثه وإرساليته. عرف يسوعُ أنه «المسيح ابن الله الحي» ليس فقط من خلال معرفته لذاته لكن لأنه عرف الآبَ أيضًا. لقد عرف يسوعُ أنه الابن؛ لأنه عرف اللهَ كالآب.

يسوع في الهيكل:

يروي (لوقا ٢: ٤١ – ٥٠) كيف بقي يسوعُ في الهيكل عندما غادر أبواه إلى أورشليم. يكمن جزء كبير من أهمية هذا الحدث في حقيقة وقوعه في السنة التي وصل فيها يسوعُ إلى سن البلوغ اليهودي.

لقد كان إدراكه وهو في سن الشباب لحقيقة أن الله هو أبوه هو الذي جعله يحيل علاقتَه مع أبويه إلى المرتبة الثانية. لقد أدرك فجأةً أن الآب له الأولوية في الحصول على انتباهه وولائه وطاعته. وكان على الابن أن يكون في ما لأبيه.

يسجل (لوقا ٢: ٤٩) أول كلمات نطق يسوع بها (وهي مثل كلماته الأخيرة على الصليب في لوقا ٢٣: ٤٦) تصف علاقته مع الآب. ربما تكون هذه هي

طريقة لوقا لقول إن العلاقة مع الآب بالنسبة للابن تأتي أولاً وأخيرًا وتحتل كلَّ التفاصيل في الوسط.

يسوع عند الأردن:

رأينا أن إدراك يسوع لبنوته هو جزء مهم من معموديته. عندما خرج الابنُ من الماء وكرَّس نفسه لإرساليته، تحدث الآبُ ونزل الروحُ عليه. يعلمنا الرسولُ بولس في (رومية ٨: ١٥ – ١٧) أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين حدوث إدراك جديد للبنوة وانسكاب جديد للروح.

دخل يسوعُ إلى ميراث الابن عندما أدرك مجدَّدًا أنه الابن. وترك الأردن بثقةٍ جديدةٍ في بنوته وبدأ يختبر سلطانَ الروح الذي هو من حقه بصفته الابن.

رأينا كيف أن كلمات الآب هي صدى لما ورد في (مزمور٢: ٧ – ٨) و(إشعياء٤٢: ١) ورأينا كيف تُعرِّف هذه الكلمات يسوع كالمسيا والخادم. يجب أن ندرك أيضًا أن هذه الكلمات هي صدى لما جاء في (تكوين ٢٢: ٢ – ١٦) الذي يتحدث عن إسحاق بصفته «ابنك وحيدك الذي تحبه». هذه العبارة هي إشارةٌ نبويةٌ واضحةٌ لابنٍ سيكون كفارةً. إن الذي أعفى إبراهيمَ من تقديمه في اللحظة الأخيرة، يسمح الآبُ الآن ببذله وهو ابنه الوحيد الحبيب.

يسوع في البرية:

تركز رواية لوقا لتجربة الابن في البرية (لوقا ٤: ١ – ١٣) على مهاجمة الشيطان لإدراك يسوع الجديد لبنوته، ذلك الإدراك الذي حصل عليه عند

معموديته. يبدأ هجوم الشيطان الأول والثالث بعبارة «إن كنت ابن الله...» وهي عبارة تتحدَّى صدقَ وسلطانَ الصوت الذي تحدَّث في الأردن.

كانت التجربة الأولى هجومًا على طاعة الابن؛ حيث أراد الشيطانُ أن يغويه كي يستخدمَ قوته الخاصة لتسديد احتياجه للخبز بدلاً من طاعة كلمات الآب له. أما التجربة الثالثة فكانت هجومًا على ثقة الابن فيما قاله الآبُ له؛ حيث حاول الشيطانُ إغواءَه لإثبات بنوته لأنه لم يعد يصدِّقها. ويقترح الشيطانُ أن قفزةً تجريبيةً ستعطي الابنَ ما يحتاج إليه من دليل. يصر الشيطانُ على أنه لا يكفي أن يستمع الابنُ لحديث الآب، وأن عليه أن يستخدم قوتَه الخاصة كي يبيِّن حقًّا أنه الابن.

لكن يسوع ـ وبطريقة رائعة ـ يفضح كلا التجربتين وينتصر عليهما. تتميز العلاقة الصحيحة بين الابن وأبيه بالاتكال الذي يتكون من الثقة المطيعة والطاعة الواثقة. ولنلاحظ أن الشيطان هاجم يسوعَ في كلا الشقَّين. ولو كان يسوع قد فشل في هذه التجربة لكانت كل إرساليته فشلت قبل أن تبدأ.

لكن يسوع لم يفشل. بعد أن ينتهي لوقا من تسجيل تجربة يسوع في البرية، ينتقل إلى وصف خدمته في الناصرة. بعد أن برهن يسوعُ على ثقته وطاعته، دخل إلى مسقط رأسه واثقًا من أنه الابن المطيع الذي آمن بما تحدث الآبُ به. إنه الابن الذي استقر عليه رضا وروح الآب. وباستطاعته الآن أن يتقدم ضد كل معارضةٍ عالمًا أن الآب معه وسيكرم ما سيقوله.

يسوع عند التجلي:

في ساعة قرار الابن الحاسم بالتوجُّه نحو الصليب، أخبره الآبُ مرةً ثانيةً عن من هو. علَّم يسوع تلاميذه أنه سيذهب إلى أورشليم كي يتألم ويموت.

وقد حدث التجلي كتأكيد من الآب على قراره هذا. أولاً تحدث موسى وإيليا ـ أي الشريعة والأنبياء ـ للابن. ثم تحدث الآبُ إليه مكرِّرًا الكلمات التي قالها في الأردن لكن مع اختلافين مهمين.

توضح لنا أقدم وأفضل المخطوطات أن كلمة «eklelegmenos» أي «المختار» حلت محل كلمة «agapetos» أي «الحبيب» في (لوقا ٩: ٣٥). وكذلك حلت عبارة «autou akouete» أي «له اسمعوا» محل عبارة «بك سررت»؛ لأن يسوع أُختِير كي يسير في طريق الألم والطاعة (كما اختار هو نفسه السير في هذه الطريق)، فقد اكتسب حقًّا جديدًا في أن يُسمَع، وسلطانًا جديدًا بين الرجال والنساء.

وكما أعد الابنُ لتمجيد الآب من خلال موته، أعد الآبُ لتمجيد الابن من خلال تعريف جديد وشرعية جديدة لإرساليته. الأمر ببساطة هو أن البنوة تعني الاختيارَ لطاعةٍ مكلِّفةٍ والوضع في مكان السلطان.

يسوع في البستان:

عندما بدأ يسوعُ يحزن ويتألم في بستان جثسيماني، وجد قوتَه في إعادة التأكيد على علاقته بـ«أبا». إنه يستطيع أن يشرب كأسَ غضب ورفض ودينونة الله؛ لأن اليد التي تقدِّم له هذه الكأسَ لازالت هي يد أبيه.

يوضح (لوقا ٢٢: ٤٣) أن بستان جثسيماني لم يشهد فقط صلاةً وتضرعًا من الابن، لكنه شهد أيضًا إعلانًا وتقويةً من الآب. إنه في إطار قوة هذا التواصل مع الآب ـ وليس سواه ـ يستطيع الابنُ مواجهة آلامه.

يسوع على الصليب:

يؤكد لوقا مرةً ثانيةً على هذه الحقيقة عندما يسجل في (لوقا ٢٣: ٣٤ و٢٣: ٤٦) أن عبارتين من العبارات التي نطق بها يسوعُ على الصليب كانتا صرختين لـ«أبا».

توضِّح العبارة الأولى أن الغفران للآخرين حدث من خلال صلاة الابن للآب على الصليب. أما العبارة الثانية (والتي هي صدى لكلمات الابن في الهيكل وهو شاب) فتوضح أن الابن مات في سلام وثقة؛ لأنه يعلم أن الله ما زال أباه.

كان «أبا» في البستان هو الآب الذي يجب طاعته عندما يعلن مطالبَه غيرَ المشروطة. وكان «أبا» على الصليب هو الآب الذي يمكن الوثوق فيه كليةً للحصول على الراحة التامة والكاملة. لقد أصبحت طاعة الابن الفعَّالة التي أعطت كلَّ شيءٍ وضحَّت بكلِّ شيءٍ، ثقةً ساكنةً تقبل كلَّ شيء عند الموت.

يمكننا أن نقول إن يسوعَ كان دائمًا يجد هويتَه وثقتَه باعتباره الابن في علاقته مع أبيه وذلك عندما كان صبيًّا في الهيكل ورجلاً على الصليب، بل وعند كل لحظةٍ حاسمةٍ مر بها سواء عند تجربته أو عند قراره [بالتوجُّه إلى أورشليم] أو عند آلامِه وموتِه.

عند كلِّ لحظة احتياج، كان الآبُ يجيبه بإعلانٍ جديدٍ عن الأبوة والبنوة. وهذا هو ما أعطى الابنُ القوةَ كي يثق في الآب ويطيعه.

الابنُ يعتمد على الآب:

قلنا في كتاب «معرفة الآب» إن الآب يعتمد على الابن. والآن، نحتاج إلى

معرفة أن الابن يعتمد أيضًا على الآب؛ وذلك لأن الآب هو من يعلن الابنَ ويجعله معروفًا لدى الآخرين. هذا مثالٌ آخر على الاعتماد الإلهي المتبادَل الذي تحدَّثنا عنه في الجزء السادس.

الابنُ يمجد الآبَ؛ حيث يعلن حضورَه وطبيعتَه وقوتَه، والآبُ يشهد عن الابنِ ويمجِّده. وهذا يعني أن هناك مجدًا متبادَلاً بين الآب والابن في كلمات وأعمال يسوع.

من المهم أن نلاحظ هنا أن بشارتي متى ويوحنا تميلان إلى نسب عمل إدراك سر وشخص يسوع والاعتراف به إلى الآب. ذلك بينما يميل بقيةُ العهد الجديد إلى نسب هذا العمل إلى الروح القدس.

نفهم من ذلك أن هناك وحدةً أساسيةً بين عمل الآب وعمل الروح؛ فالروح قبل كل شيء هو الآب والابن في تواصل معًا وفي محبة نحو بعضهما البعض تتخطى شخصيهما، وعليه، يمكن أن يُنسَب عملُ الإعلان إلى كلٍّ منهما بمفرده أو إليهما جميعًا متَّحِدَين.

نتناول ما يَرِد في (متى ١١: ٢٧) ببعض التفصيل في كتاب «معرفة الآب»؛ حيث نرى أن المعرفة الحصرية للآب تُنسَب للابن، وأن المعرفة الحصرية للابن تُنسَب للآب. وهذه هي العلاقة الأساسية التي تُؤمِّن كلاًّ من الإعلان والخلاص. إننا نستطيع أن نعرف الآبَ من خلال عمل الابن وأن نعرف الابنَ من خلال عمل الآب.

نرى هذه الحقيقة في (متى١٦: ١٧) حيث يوضح يسوعُ أن اعتراف بطرس به كالمسيا ابن الله هو عمل الآب وليس عمل بطرس (من المدهش أن

١كورنثوس ١٢: ٣ ينسب اعترافًا مماثلاً تقريبًا لعمل الروح القدس. وليس في ذلك أي تناقض؛ لأن الروح الآن هو الذي ينفِّذ مشيئةَ الآب على الأرض من خلال إعلان حق ومحبة ونعمة وقوة الآب للبشرية).

(يوحنا٦):

يعترف يسوعُ مرارًا وتكرارًا في (يوحنا٦: ٢٢-٦٦) باتِّكاله على عمل الآب عندما «يقبل الناس إليه».

يقابل يسوعُ بين «الرؤية» و«الإيمان» في (ع٣٦) عندما يقول إن بعض الناس رأوه لكن لم يؤمنوا به. يشرح يسوعُ على مدار هذا الجزء الأمرَ الذي يحدِّد إن كان من «يرون» الابنَ سوف «يؤمنون» به (ع٤٠) و«يقبلون إليه» (ع ٤٤) و«يأتون إليه» (ع ٦٥) أيضًا أم لا.

عندما يأتي أيُّ شخص إلى يسوع، فهناك دائمًا ـ وراء الاعتراف والاتِّباع البشري والتلمذة البشرية ـ اختيار وإعلان وتمكين من قِبَل الآب وهي أمور يدركها الابنُ ويعلنها.

لا ينفي عملُ نعمة الآب بالطبع ضرورةَ أو صدقَ العمل الإنساني، لكنه يسبقه ويُفعِّله ويقوِّيه. يمكننا القول إن اختيار الله هو وراء الاختيار البشري وإن جذب الآب هو وراء الإتيان البشري وإن إعلان الآب هو وراء الإيمان البشري وهكذا.

يوضح (ع ٣٧) أن يسوع ملزمٌ بقبول كل من يُقبل إليه؛ وذلك لأنه يعلم أن إقبالهم هذا غير نابع منه أو منهم بل من الآب. وهذا يعني أن الابن المطيع يقبل كلَّ من يرسلهم الآبُ صاحب السلطان.

تصف بشارة يوحنا قيام الروح القدس بنفس عمل الآب. نرى ذلك على سبيل المثال في (يوحنا ٣: ٥ و٦: ٦٣ و١٦: ١٥). يفسِّر معظم علماء الكتاب المقدس هذه الحقيقة كدليلٍ كتابي أساسي على مبدأ التثليث، لكن البعض يقول إن هناك فرقًا بين إعلان الآب ذي السلطان لشخصٍ ما وتفعيل نعمة الروح لقرار هذا الشخص. لكن القليلين يعتقدون أن الآب يعمل على النطاق الخارجي حيث يهيِّئ الظروفَ متدخلاً بعنايته الإلهية بينما يعمل الروحُ داخليًّا على إيجاد انفتاح روحي داخلي.

أيًّا كانت العلاقة الدقيقة بين عمل الآب وعمل الروح، فمن الواضح أن الابن يعتمد على الآب في إعلان شخصه للناس وإقبالهم إليه. يمكننا القولُ إن يسوع يعتمد اعتمادًا كليًّا على الآب كي يمجِّد ابنَه ويجعله معروفًا.

الابنُ يخضع للآب:

نرى في كتاب «معرفة الآب» أن مشيئة الآب تتم من خلال الابن الذي هو منفِّذها الأساسي. والآن، نحتاج إلى معرفة أن كل عمل يقوم به الابنُ إنما يعتمد على الآب الذي يقرِّر هذه الأعمال. إن الابن والآب متساويان في الجوهر. ومع ذلك، يخضع الابنُ طواعيةً لقصد الآب. يشير هذا الخضوعُ إلى ترتيبٍ وظيفي تطوُّعي وليس إلى خضوعٍ له علاقة بالوجود.

إن كل أقوال وأعمال يسوع إنما تنبع من الآب ويظلِّلها إرشادُه، وهي موجَّهة في الأساس نحو شخصه ومجده وتحقيق قصده. يخضع الابنُ خضوعًا كاملاً للآب وليس لقاعدةٍ أو نظامٍ مجرَّد.

كانت كل أقوال وأعمال الابن من البداية إلى النهاية هي دائمًا أعمال طاعة. لم يحدث أبدًا أن وضع الابنُ افتراضًا ما، أو عصي أمرًا ما. ولم يحدث

أبدًا أن أخذ زمامَ المبادرةِ أو ابتدع شيئًا ما. لكنه كان دائمًا مميِّزًا لمشيئة الآب وتابعًا لها. لم يحد هذا الأمرُ من تلقائية الابن وحريته، لكنه كان في الواقع مصدر هذه التلقائية والحرية؛ وذلك لأن الابن كان يستجيب لكل شيءٍ ولكل شخصٍ داخل إطار علاقته مع الآب.

الآب هو مصدر إرسالية الابن:

يؤكِّد كلُّ العهد الجديد على أن يسوع هو «apostolos» أي «المُرسل» من قبل الآب بمهمةٍ كلَّفه بها وعليه أن يتمِّمها. على سبيل المثال، يقتبس (عبرانيين ١٠: ٧) ما جاء في (مزمور ٤٠: ٨) لكي يُعرِّف دافعَ الابن الأساسي والقصدَ الذي يحثه على العمل.

لا تكف بشارةُ يوحنا عن التأكيد على هذه الحقيقة. يمثِّل (يوحنا ٦: ٣٨) مجموعةً كبيرةً من الأعداد التي تقول جميعُها نفسَ الشيء، وهو أن الابن جاء من السماء لا ليفعل مشيئته بل مشيئة الذي أرسله.

في (يوحنا ٢٠: ٢١) أي في نهاية البشارة تقريبًا، يدعو يسوعُ تلاميذَه ويُدخِلهم في نفس الإرسالية التي دعاه الآبُ لها وأرسله بها.

الآبُ يتحكَّم في إرسالية الابن:

نقرأ في (لوقا ٧: ٨) عن قائد مائة روماني يدرك - بصورةٍ غريزيةٍ - أن يسوع هو رجل تحت سلطان، وهذا السلطان هو دائمًا سلطان الآب.

في كل حياة يسوع على الأرض، كان هناك إرشاد سري آمر مستمر شخصي شكَّل كلَّ قراراته. ونتيجةً لذلك، كانت مشيئة الابن وكلماته وأفكاره وأفعاله خاضعةً دائمًا لمشيئة الآب وكلماته وأفكاره وأفعاله.

ومرةً أخرى، تتضح هذه الحقيقةُ بصورةٍ خاصة في بشارة يوحنا. يعبِّر (يوحنا ٥: ١٩ – ٢٠) عنها بطريقةٍ نموذجيةٍ، حيث يوضِّح أن الابن لا يفعل أبدًا شيئًا من عنده، بل يفعل دائمًا ما يرى الآبَ يفعله. هذه الحقيقة ليست مبدأً لاهوتيًّا جافًّا، لكنها وصف حي لحياة يسوع اليومية التي تميَّزت بالخضوع، وهي حياة لا يمكن أن تكون هكذا إلا من خلال الصلاة. نتناول خضوع يسوع المصلِّي في كتاب «الصلاة الفعالة» من سلسلة «سيف الروح».

الآب هو مُستَقبِل إرسالية الابن:

يمكننا أن نقول إن الآب هو مُستَقبِل إرسالية الابن من منطلقين: الأول، هو أن عمل الابن الكامل يخضع لحكم الآب. والثاني، هو أن الابن يبني الملكوتَ من أجل الآب، وعندما يكتمل، سيسلِّمه له. نرى ذلك في (١كورنثوس ١٥: ٢٨). ستكون اللحظة الأعظم في حياة الابن هي لحظة أن يضع نهايةً لكل تمرُّد ضد الله، ويسلِّم الملكوتَ الذي استعاده كاملاً إلى الآب.

يعبِّر وصفُ الرسول بولس لخضوع وطاعة الابن للآب في (١كورنثوس ١٥) عن فهمه لأولوية الآب المُطلَقة. يشرح بولسُ في هذا الأصحاح أن كل شيء أتى من الآب خلال المسيح في البداية، وأن كل شيء سيعود إلى الآب من خلال المسيح في النهاية. إن كل شيء هو من الآب وللآب من خلال الابن.

يعبِّر بولسُ عن هذه الفكرة ببساطة أكثر في (فيلبي ٢: ١٠)؛ حيث يوضِّح أن اعتراف الكل بربوبية يسوع لن يكون لمجد الابن بل لمجد الآب.

يدل هذا على أن إرسالية الابن المتفرِّدة هي:

- من الآب الذي هو مصدر بدايتها.

- مع الآب الذي هو سلطانها المستمر.
- للآب الذي هو هدفها النهائي.

الابنُ يستمع للآب:

إن خضوع الابن الفعَّال للآب الذي هو ـ كما نؤكد في كل سلسلة «سيف الروح» ـ أساس بنوته (وبالتالي بنوتنا) يستلزم استماعًا فعَّالاً مستمرًّا من الابن للآب.

يعبِّر التواصلُ الأرضي بين الابن والآب السماوي في صورةٍ بشريةٍ عن التواصل الأبدي المتفرِّد بين الآب والابن في الروح. الطريقة التي يوجِّه الآبُ بها الابنَ المتجسِّدَ هي نفس الطريقة التي يوجِّهنا بها، وذلك على الرغم من أن هدف إرشاد الابن يختلف عن الهدف من إرشادنا. نتناول هذه الحقيقة بتفصيل أكثر في كتاب «الاستماع إلى الله».

الابنُ يستمع من خلال الأحداث:

يوضح الآبُ للابن ما يفعله في هذا العالم. لا يتم هذا التوضيح بالضرورة من خلال رؤًى روحية، لكنه يتم في الأساس في سياق الأحداث البشرية التي تجري حوله في العالم.

توضِّح البشائرُ أن يسوع كان منفتحًا على عالمه وعلى أنشطة الرجال والنساء حوله. هذا هو المجال الذي يوضِّح فيه الآبُ للابن ما يفعله.

وهذا هو بالتأكيد السبب الأساسي وراء أن يسوع كان يُعلِّم بأمثال على نطاقٍ واسعٍ. من ناحية، لا ترقى قصص المرأة والدينار والعبد ودينه والزارع ومحاصيله إلى مستوى الإعلان الروحي الخاص، لكنها من ناحية أخرى ـ

لمن له عينان ليرى وأذنان ليسمع ـ هي اللغة التي يتحدَّث بها الآبُ للابن ولكل أبنائه من خلال الابن.

عندما ندرك أن يسوع يتحدَّث فقط بما يسمع الآبَ يتكلم به، سننتهي حتمًا إلى أن الآب نفسه هو من يتحدث بأمثال «عالمية» بسيطة. يجب أن يغيِّر هذا الإدراكُ الطريقةَ التي نكرز بها ونعلن البشارةَ بها.

يمكننا أن نقول ـ جزئيًّا ـ إن يسوع أتى ليرى أن طريقه هو طريق الصليب، وذلك من خلال ردود فعل الأشخاص العاديين ـ وخاصةً القادة الدينيين ـ تجاهه. وكما ميَّز الابنُ الاحتياجات والتجاوب الذي لاقاه في قرى الجليل، هكذا أراه الآبُ ما كان ينتظره في أورشليم، ولماذا سيتمِّم قصدَه من خلال الموت والقيامة فقط.

نفهم من ذلك أننا إذا لم نكن نعرف العالمَ الذي وضَعَنَا الآبُ فيه، فلن نعرف ما يريد الآبُ أن يفعله في العالم من خلالنا.

الابنُ يستمع للعهد القديم:

تحدث الآبُ كذلك إلى الابن من خلال التقاليد القديمة للشعب اليهودي؛ لأن هذه التقاليد كانت هي إطار أعماله وإعلانه الذاتي لأكثر من ألفي عام تقريبًا. إن ما أراد الآبُ أن يفعله من خلال الابن كان استمرارًا وتتميمًا لما كان يفعله في إسرائيل لفترةٍ طويلةٍ، ولما هو مسجَّل بوضوح في العهد القديم.

لقد كان تواصل يسوع مع موسى وإيليا عند التجلي هو تأكيدًا على

تواصله مع «الشريعة والأنبياء» الذي استمع فيه الابن للآب خلال حياته على الأرض.

كما توضح كلُّ تعاليم يسوع أن الابن كان متشبِّعًا بالعهد القديم، لكنه عالجه بشجاعةٍ وحريةٍ رائعتين «ليس كالكتبة».

أدرك يسوعُ من خلال استماعه للآب في وعن طريق الأسفار المقدسة أن تتميمه الشخصي للوعود الكتابية سيكون مختلفًا تمامًا عمَّا توقَّعه الناسُ في أيامه.

توضح البشائرُ أن الابن كان مرتبطًا بالعهد القديم؛ ففي كل مرةٍ كان الآبُ يتحدث إليه، كانت الكلمات تأتي مردِّدةً صدى ما ورد في العهد القديم. عندما قاوم يسوعُ إغراءات إبليس في البرية، وعندما أعلن عن إرساليته في الناصرة، وعندما صنع العشاء في العليَّة كي يكون تذكارًا وحتى عندما تحدَّث على الصليب، جاءت كلُّ كلماته كتطبيقٍ جديدٍ للعهد القديم السرمدي (إن معرفة الابن للآب في العهد القديم واعتماده عليه واستماعه إليه هي واحدة من الأسباب الرئيسية وراء التركيز الكبير لسلسلة «سيف الروح» على كل الأسفار المقدسة القانونية).

عندما أراد الناسُ حول يسوع أن يفهموا الابنَ وعملَه، كان عليهم أن يستخدموا تصنيفات وتعبيرات مثل «ابن الإنسان» و«الملكوت» و«المسيا» و«ابن داود» و«خادم الله» وهكذا. وهذه كلها تعبيرات يمكن أن تُفهَم بصورةٍ صحيحةٍ فقط عندما تُفسَّر في إطار أصلها في العهد القديم وكذلك في إطار المعنى الجديد الذي أعطاه يسوعُ لها من خلال حياته وموته.

الابنُ يستمع في الصلاة:

رأينا في كتاب «الصلاة الفعالة» كيف كان الابن رجلَ صلاةٍ. لقد كانت الصلاةُ هي الوسيلة التي تواصل بها الابنُ على الأرض مع الآب في السماء، والتي تواصل بها الآبُ مع الابن.

غالبًا ما تتحدث البشائرُ - وخاصةً بشارة لوقا عن الابن وهو يصلِّي للآب. على سبيل المثال، صلَّى الابنُ:

- باكرًا في الصباح – (مرقس ١: ٣٥).
- في المساء – (لوقا ٦: ١٢).
- عند عماده – (لوقا ٣: ٢١).
- بعد الكثير من الخدمة – (مرقس ١: ٣٥ و٦: ٤٦) و(لوقا ٥: ١٦).
- ليلة كاملة قبل أن يختار تلاميذه الاثني عشر – (لوقا ٦: ١٢).
- على انفراد مع تلاميذه – (لوقا ٩: ١٨).
- عند التجلِّي – (لوقا ٩: ٢٨ – ٢٩).
- بعد العشاء الأخير – (يوحنا ١٧).
- في جثسيماني – (مرقس ١٤: ٣٢) و(لوقا ٢٢: ٤١).
- من أجل بطرس – (لوقا ٢٢: ٣٢).
- للأطفال الصغار – (متى ١٩: ١٣ – ١٥).
- عند صلبه – (لوقا ٢٣: ٣٤).
- بعد صلبه – (لوقا ٢٤: ٣٠).
- عند صعوده – (لوقا ٢٤: ٥٠).
- بعد صعوده – (يوحنا ١٤: ١٦).

نتناول صلاة يسوع النموذجية وصلاته الشفاعية الواردة في (يوحنا ١٧) في كتاب «الصلاة الفعَّالة». لكن صلاة الابن عند جبل الزيتون تُفصِح عن مبدأين أساسيين ميَّزا كل تواصل الابن مع الآب من خلال الصلاة.

يوضـــح كلٌّ مـــن (متى ٢٦: ٣٦ – ٤٦) و(مرقس ١٤: ٣٢ – ٤٢) و(لوقا ٢٢: ٣٩ – ٤٦) أن استماع يسوع بدأ بالاعتراف ـ ليس بالخطية بالطبع ـ لكن بالموقف الذي يمر به وبما يتمناه بشأنه. لم يُخْفِ الابنُ ما أراده عن الآب، لكنه تحدَّث عنه صراحةً. ومع ذلك، خضع لرغبة الآب ومشيئته. لم يفرض الابنُ مشيئتَه على مشيئة الآب بدعوى أنه يستطيع أن يطلب ما يريد.

ثم كان الابنُ يميِّز مشيئةَ الآب في استماعه إليه، بينما كان الابنُ يصلِّي بحزن عميق، أدرك أن ما يطلبه من الآب لا يمكن أن يُعطَى له. أدرك الابنُ أن ما يريد الآبُ أن يفعله يتطلب منه أن يشرب الكأسَ، لذا فعل الابنُ ما رأى الآبَ يفعله، حيث رأى الآبَ في صلاته المستمعة يخلِّص العالمَ من خلال ذبيحته هو، وعليه، اتَّحدت مشيئة الابن بمشيئة الآب.

تغيَّر الموقفُ بمجرد أن «سمع» الابنُ مشيئةَ الآب: انتهى الحزنُ ونهض الابنُ في سلامٍ كي يكمل طريقَه نحو الصليب.

نرى الابنَ هنا في ذروة حياته يُفسِح وقتًا للاستماع للآب في الصلاة وتمييز ما يريد الآبُ أن يفعله وإلى أين هو ذاهب وماذا يقول. لكن الابن استطاع أن يفعل ذلك في جثسيماني؛ لأنه كان يستمع إلى الآب بنفس الطريقة في مواقف أقل حدة في كل حياته على الأرض.

الابنُ يطيع ما يسمعه:

كان الابنُ يميِّز «مشيئةَ الآب الخاصة» لمواقف بعينها من خلال الحياة في العالم، ومن خلال العهد القديم، وكذلك من خلال الصلاة المستمعة. نتناول هذه الحقيقة في كتاب «الإيمان الحي».

كان يسوعُ يسير تحت قيادة وإرشاد الآب لحظةً بلحظةٍ في كل أمور وجوانب إرساليته وفي كل معاملاته مع الناس حوله. وقد كان هذا الإرشاد نابعًا من علاقته مع الآب وليس نتيجةً لاتِّباعه مجموعة من القواعد. هذا هو عمل الروح الذي يعطي اللهُ من خلاله الحقَّ والمحبةَ والقوةَ بطرقٍ متفرِّدةٍ تُناسِب الموقفَ.

توضِّح البشائرُ مرارًا وتكرارًا أن يسوع «رأى وسمع» ما يريد الآبُ أن يفعله أو يقوله في مكانٍ معيَّن ولحظةٍ معيَّنة من خلال الروح. نرى في كتاب «الخدمة المُنقادة بالروح» أن الابن لم يتبع أبدًا طريقةً ما أو استخدم تقنيةً ما أو سار بحسب مبادئ روحية ما، لكنه كان دائمًا يستمع إلى الآب في الروح ويرى ما يريد الآبُ أن يفعله في تلك اللحظة وذلك المكان.

الابنُ يعمل مع الآب:

غالبًا ما يصرِّح الابنُ في البشائر أن كلماته هي كلمات الآب وأفعاله هي أفعال الآب؛ وذلك لأنه واحدٌ في الجوهر مع الآب، نرى ذلك في (يوحنا ٥: ١٧ و١٤: ١٠ – ١١).

وهذا يعني أن الآب يتحدث ويعمل من خلال كلمات وأعمال الابن، وأن الآب يحب ويتعامل بالخلاص من خلال ذبيحة الابن، وأن الآب يحمي أبناءَه ويسدِّد احتياجاتهم من خلال عطايا ونعمة الابن وهكذا.

يعلن اللهُ من خلال الابن أنه الآب الذي يجعل الأعمى يرى، والأصمَّ يسمع، والأعرجَ يمشي، والميتَ يقوم. إنه الآب الذي يصنع الخلاصَ، والذي يعلن الابنُ كلماتَه وأعمالَه ويفعلها. الأمر ببساطة هو أنه ما من كلمةٍ قالها الابنُ إلا وهي كلمة الآب، وما من عملٍ قام به إلا وهو عمل الآب.

من الأساسيات التي يعلنها العهدُ الجديد هي أن يسوع هو الشريك الأساسي للآب في كل تعاملات الله مع البشرية. علينا أن نتذكر أن كلمات الابن وأفعاله هي مفاتيح لا غنى عنها لفهم قصد الآب في الخليقة والخلاص والدينونة.

يعملان معًا في الخليقة

يوضح (يوحنا ١: ٣) و(كولوسي ١: ١٥ – ١٧) و(عبرانيين ١: ٢) أن الآب يعمل مع - ومن خلال - الابن في الخليقة.

الابن هو أداة الخلق والهدف النهائي لكل الخليقة. ولا يجب علينا أن نفكر في - أو نتحدث عن - عمل الله في الخليقة دون أن نفهم ونقدِّر العلاقةَ بين الآب والابن، تلك العلاقة التي أسَّست الخليقةَ وحفظتها. في الواقع، يمكننا القول إن عمل الآب مع الابن يحيط بكل شيءٍ يتعلق بكوننا الطبيعي.

يعملان معًا في الخلاص

ينطبق نفس الأمر على الخلاص. إن تصالحنا مع الآب واستعادة علاقتنا به يعتمد كليةً على حياة وموت وقيامة الابن. توضح نصوص مثل (يوحنا ٣: ١٦) و(٢كورنثوس ٥: ١٨ – ١٩) كيف أن عمل الله للخلاص يتحرك من الواحد إلى كثيرين، من مركزه في المسيح إلى كل البشرية.

لا يكفي أن نركِّز على شخص المسيح وحده أو شخص الآب وحده كي نفهم حقيقة الخلاص ونحتفي بها، بل علينا أيضًا أن نفهم أن الخلاص يعتمد على عمل الآب في - ومن خلال - الابن.

إن قصد الخلاص العظيم هو أن نعرف الآبَ من خلال الابن، ونعيش في شركة معه على غرار علاقة الاعتماد المتبادَل التي بينه وبين الابن.

يعملان معًا في الدينونة

ينطبق الأمر أيضًا على اليوم الأخير. الآب هو مصدر دينونة الله، لكن الابن هو من ينفِّذ الدينونةَ. نرى هذه الحقيقة في كل سفر الرؤيا وفي (يوحنا ٣: ١٨–٢١ و٥: ٢٢) و(أعمال الرسل ١٧: ٣١).

يوضِّح الكتابُ المقدس أيضًا أن الآب والابن سيعملان في اليوم الأخير على إكمال الملكوت وتأسيس السماء الجديدة والأرض الجديدة. يوضح (أفسس١: ١٠) و(فيلبي ٢: ٩ – ١١) و(١كورنثوس ١٥: ٢٨) أن التركيز سيكون على يسوع لكن أولوية الآب هي الأعظم.

يعملان معًا في الإعلان

إن كل جانب من جوانب طبيعة الله المقدسة إنما يُرى ويُسمَع في العلاقة بين الآب والابن التي أُعلنت منذ ٢٠٠٠ سنة على الأرض وسجلها لنا العهدُ الجديد.

وهذا يعني أننا يجب أن نفعل أكثرَ من مجرد التفكير في الله في إطار المصطلحات المجرَّدة وأن نفهم ونقدِّر معنى عمل الآب والابن معًا. يمكننا على سبيل المثال أن نقول إن:

- محبة الله ليست محبةً نظريةً مجرَّدةً، لكنها محبة عملية ملموسة جاءت في شخص الابن كي تطلب وتخلِّص هؤلاء الذين انفصلوا عن الآب.
- قوة الله ليست قدرةً كليةً عامةً غامضةً، لكنها القوة الخاصة التي

بها أعلن الابنُ شخصَ الآب عندما أصبح بشرًا وشفى المرضى وتحمَّل الصليبَ وقام من الموت وهكذا.

- حق الله ليس مجموعةً من الأفكار، لكنه أفكار الآب التي انعكست في شخص وكلمات وأعمال الابن.

أن نفكر بهذه الطريقة يعني أن نطبِّق الحقيقةَ التي يذكرها (متى ١١: ٢٧). وهذه الحقيقة هي أن الآب دفع كلَّ شيء ليد الابن، وأنه لا أحد يعرف الآبَ إلا الابن وهؤلاء الأشخاص الذين اختار الابنُ أن يعلن لهم الآبَ.

ننتقل الآن للحديث عن أهم عمل مُشتَرَك بين الآب والابن وهو الإعلان النهائي عن الاعتماد الكامل للابن على الآب وخضوعه الكامل له. كما أن الآب هو الماضي الذي يأتي الابن منه والحاضر الذي يعيش الابن فيه، هكذا الصليب هو المستقبل الذي يسير الابن نحوه مع الآب.

الجزء الثامن

الابن والصليب

عندما نقرأ البشائرَ لنتعلَّم عن حياة الابن، يتَّضح لنا بشكل جلي أن موته على الصليب هو أهم حدث بما لا يقاس. في الواقع، يمكننا أن نقول إن ظل الصليب يُرَى في كل صفحةٍ من صفحات الكتاب المقدس.

يجب أن يكون الصليب هو أهم حدث في التاريخ البشري، وقد أصبح رمزًا عالميًّا لإيماننا المسيحي. نتناول قضيةَ الصليب بتدقيق في كتاب «Salvation by Grace» ونرى لماذا أرسل الآبُ الابنَ ليموت، وما الذي حققه موتُ الابن على وجه الدقة.

نتناول كذلك قضية الصليب من زاوية الآب الخاصة في كتاب «معرفة الآب» ونفهم أن الصليب كان مبادرة النعمة التي أخذ الآبُ بزمامها. كما كان هو عمله المضحِّي واختباره للحزن.

نستعرض في هذين الكتابين من سلسلة «سيف الروح» النظرة الكتابية للصليب، ونتناول «الصورةَ الأكبر» للخلاص، محاولين فهم الأمور اللاهوتية التي تنطوي عليها. لكن البشائر تستعرض الصليب بطريقةٍ مختلفةٍ؛ حيث تقودنا إلى الصليب عبر الطريق التي سلكها الابنُ ـ العشاء الأخير/ الحزن في البستان/خيانة يهوذا/ القبض عليه ومحاكمته/ التعذيب وتنفيذ الحكم/ القبر والمجد وهكذا.

لا تقدم البشائرُ قصةَ «الابن والصليب» كنظريةٍ لاهوتيةٍ جافة، لكن كدراما شخصية تتضمَّن مجموعةً من الشخصيات وتُفهَم من خلال العديد من التفاصيل المهمة.

وأهم من ذلك أن البشائر تسجِّل ما قاله الابنُ وفعله في لحظات صراعه الأعظم ـ وهذا هو موضوع هذا الفصل. بحسب البشائر تدور دراما العشرين ساعة الأخيرة من حياة الابن على الأرض في أربعة أماكن هي:

- العلية.
- بستان جثسيماني.
- دار الولاية.
- مكان يسمَّى «جلجثة».

العشاء الأخير:

تبدأ الدراما في ليلة أول يوم من عيد الفصح. ومن الأمور ذات الدلالة أن الابن كان يقضي ليلته الأخيرة على الأرض وهو يأكل عشاءَ الفصح مع رسله في عليَّةٍ كبيرة في منزل أحد أصدقائه.

يبدو أنه لم يكن هناك خادم موجود في تلك الليلة؛ حيث لم يكن هناك أحدٌ ليغسل أرجلَ الحاضرين قبل العشاء. كما لم يكن أحدٌ من الرسل متواضعًا بشكلٍ كافٍ كي يقوم بهذه المهمة الحقيرة. لذلك، أخذ يسوعُ منشفةَ الخادم، واتَّزر بها وصب ماءً في مغسل وفعل ما لم يرغب أيٌّ من الرسل في فعله. وبعد ذلك، شرح للرسل أن محبة الله تعبِّر دائمًا عن نفسها من خلال الخدمة المتواضعة، وأن العالم سيتعرَّف عليهم كتلاميذٍ له إن هم أحبوا بعضهم البعض بطريقةٍ مماثلةٍ.

ثم حذر تلاميذَه من أن واحدًا منهم سوف يخونه، وأعلن الكثيرَ عن رحيله الوشيك وعزَّاهم بالأخبار عن الروح وعلَّمهم عن عمل الروح المستقبلي في العالم وفي حياتهم.

وبعد ذلك وبينما العشاء مستمر، أخذ رغيفًا وشكر وقسمه ووزَّعه عليهم قائلاً الكلمات الواردة في (متى ٢٦: ٢٦ – ٢٨) و(مرقس ١٤: ٢٢ – ٢٤) و(لوقا ٢٢: ١٧ – ١٩).

بعد انتهاء العشاء، فعل يسوعُ نفسَ الشيء مع كأسٍ من النبيذ: شكر ووزَّعها بين التلاميذ وأخبرهم عمَّا ترمز هذه الكأسُ إليه. إن كلمات وأعمال يسوع في العشاء الأخير مهمة جدًّا؛ حيث تشرح وتمثل موتَ يسوع قبل حدوثه. نتناول هذه الكلمات والأفعال في كتاب «المجد في الكنيسة».

مركزية موت الابن:

الكلمات التي نطق بها يسوعُ في العليَّة عند العشاء الأخير أعطت الرسلَ إرشادات حول خدمته التذكارية التي قال يسوعُ إنها ينبغي أن تُصنَع بانتظامٍ. كلمات يسوع عن تأسيس هذه الخدمة توضِّح أنها ينبغي أن تُحيي ذكرى موته الكفاري فقط وليس ذكرى ميلاده وحياته أو كلماته وأعماله كما تفعل الكثيرُ من الخدمات التذكارية الحديثة.

لا شيء يؤكِّد على الأهمية التي يعطيها يسوع لموته أكثر من كلماته في العشاء الأخير. من الواضح أن يسوع يريدنا أن نتذكره بموته على الصليب. إذا لم يكن الصليب هو مركز إيماننا وعبادتنا، فهما ليسا بالإيمان والعبادة اللذين يريدهما الله.

القصد من موت الابن:

كلمات يسوع التي أسَّست الذكرى تشير إلى «عهد جديد» وإلى «غفران الخطايا». نتناول هذين التعبيرين بالتفصيل في كتاب «Salvation by Grace».

دخل اللهُ في عهدٍ - أي اتفاق ملزم - مع إبراهيم، يحصل إبراهيمُ بمقتضاه على أرضٍ وبَرَكةٍ عظيمة وعلاقة شخصية ونسل يكون جمهورًا عظيمًا. جدَّد اللهُ هذا العهدَ وأضاف له بعد أن خلَّص نسلَ إبراهيم من العبودية في مصر؛ حيث وعدهم اللهُ بأن يكون إلهًا لهم، وأن يجعل منهم شعبًا له، وقد صدَّق على هذا العهد من خلال دم الذبيحة الذي رشه موسى على الشعب.

بعد حوالي ألف عام، وعد النبي إرميا بأن الله يومًا ما سوف يصنع عهدًا جديدًا يتضمَّن غفرانَ الخطايا وتغييرًا ثوريًّا للقلب، نرى ذلك في (إرميا ٣١: ٣١ – ٣٤).

عند العشاء الأخير، وبعد حوالي ٦٠٠ سنة من وعد إرميا، يصرِّح الابنُ أن هذا الوعد على وشك أن يتم من خلال سفك دمه عند موته. قال يسوعُ إنه ذاهب إلى الصليب ليموت كي يُدخِل شعبَه في علاقة عهدٍ جديدةٍ مع الله لا تنفصم أبدًا.

موتُ الابن يجب أن يُقبَل شخصيًّا:

لم يكن الرسل مجرد مشاهدين أو مستمعين للدراما التي جرت أحداثها في العليَّة، لكنهم كانوا مشاركين فعَّالين فيها. لقد كسر الابنُ الخبزَ، لكن كان على الرسل أن يأخذوه ويأكلوا منه. كذلك صب الابنُ الكأسَ، لكن كان عليهم هم أن يشربوا منها.

وكما لم يكن كافيًا أن يُكسَر الخبز وتُصب الكأس [دون أن يقبلهما التلاميذ]، كذلك لم يكن كافيًا للابن أن يموت؛ حيث كان على الرسل أن يقبلوا موتَه ونتائجَه قبولاً شخصيًّا. وليس هذا أكثر مما وعد يسوع به في (يوحنا ٦: ٥٣ – ٥٥).

جثسيماني:

بعد العشاء، وبعد أن انتهى يسوعُ من إعطاء تعليماته للرسل وصلَّى من أجلهم، ساروا معًا عبر أورشليم حتى وصلوا إلى بستان يقال له «جثسيماني» عند قاعدة جبل الزيتون. نفهم من (يوحنا ١٨: ٢) أن الابن غالبًا ما كان يزور هذا البستانَ مع تلاميذه.

نقرأ في (متى ٢٦: ٣٦ – ٤٦) و(مرقس ١٤: ٣٢ – ٤٢) و(لوقا ٢٢: ٣٩ – ٤٦) أن الابن طلب من ثمانية من تلاميذه أن يسهروا ويصلوا بينما ابتعد هو مع بطرس ويعقوب ويوحنا. أخبرهم يسوعُ أنه حزينٌ جدًّا «حتى الموت» ثم طلب منهم أن يسهروا معه. ثم ابتعد هو وحده في البستان وخر على الأرض ورفع صلاةً هي ذروة صلواته؛ حيث عبَّر فيها عن خضوعه لمشيئة الآب، وهي الصلاة التي تناولناها في الجزء السابع.

ثم رجع إلى تلاميذه فوجدهم نيامًا، وبعد أن وبَّخهم عاد ثانيةً ليصارع في الصلاة. وفي مرتين أيضًا يرجع يسوع إليهم فيجدهم نيامًا؛ لأنهم لم يقدروا على الدخول إلى سر حزنه وآلامه. يقول لوقا إن حزن يسوع كان عظيمًا جدًّا لدرجة أن عرقه كان يتساقط على الأرض كقطرات دم.

يتساءل البعضُ: «كيف لابن الله أن يكون مأخوذًا هكذا بالحزن والرهبة؟

وكيف يتضرع إلى الله حتى يجيز الكأسَ عنه؟ وكيف يحجم عن إرادة الله؟»

غالبًا ما يصف العهدُ القديم غضبَ الله ودينونته بـ»الكأس» كما نقرأ مثلاً في (أيوب ٢١: ٢٠) و(مزمور ٧٥: ٨) و(إشعياء ٥١: ١٧ – ٢٢) و(إرميا ٢٥: ١٥ – ٢٩ و٤٩: ١٢) و(حزقيال ٢٣: ٣٢ – ٣٤) و(حبقوق ٢: ١٦). كان الابنُ يعرف الأسفارَ المقدسة، ولابد أنه كان يدرك أن الكأس المقدَّمة له تحتوي على نبيذ غضب الله الذي يُصب فقط على الأشرار والخطاة.

عرف يسوعُ أنه كان مدعوًّا ليتوحَّد مع الخطاة لكي يحمل دينونتَهم. وفي البستان، انقلبت نفسُه البارة على هذا الوضع. ربما يكون قد أراد التراجعَ عن اختبار الانفصال عن الآب والذي علم أنه أمر تتضمَّنه الدينونة حتمًا، لكنه لم يتمرَّد على الآب ولا عصيه. أحداث جثسيماني، وبعدها أحداث الجلجثة، هي التي تعطينا أوضحَ صور العهد الجديد عن بشرية يسوع؛ لأن بشرية يسوع هي التي جعلته يريد التراجعَ عن آلام الصليب، لكنه ـ وفي بشريته أيضًا ـ خضع لإرادة الآب.

استمد يسوعُ الشجاعةَ من الملائكة، وقَبِل كلَّ الأمور التي ينطوي عليها موتُه الوشيك. عرف يسوعُ أنه سيأخذ الكأسَ من يد الآب، وكان مستعدًّا لشربها. لذلك، انتظر قبلة يهوذا هادئًا في البستان، كما انتظر بدءَ محاكمته من قِبَل اليهود والرومان حتى إنه نطق بالكلمات المُسجَّلة في (يوحنا ١٨: ١١).

المحاكمات:

تقدم البشائر الأربع دراما معقَّدة تضم العديدَ من العناصر المتعلقة بموت يسوع.

تسجل البشائرُ أن الابن نُفِّذ فيه حكمُ الموت علنيًّا كمجرمٍ؛ لأن تعاليمه كانت تُعتَبَر خطيرةً وقالبةً لنظام الحكم، حيث تبيِّن أن القادة اليهود كانوا غاضبين جدًّا من موقفه الذي بدا غير مُحترِم للشريعة، بينما كان القادةُ الرومان قلقين من موقفه الذي بدا متحدِّيًا للسُّلطة العليا لقيصر.

كان كلا الفريقين من القادة قلقًا جدًّا ومضطربًا بسبب الابن لدرجة أنهما شكَّلا اتِّحادًا غير مقدس بينهما كي يتخلَّصا منه. حوكم يسوعُ في محكمةٍ يهوديةٍ بتهمة الكفر والتجديف، وحوكم في محكمةٍ رومانيةٍ بتهمة الخيانة. وأخيرًا نُفِّذ فيه حكمُ الموت كشخصٍ كسر القانونَ.

تقدِّم البشائرُ خليطًا من العناصر القانونية والأخلاقية في روايتها لمحاكمات الابن. وتسجِّل أن كلاًّ من المحكمة اليهودية والمحكمة الرومانية اتبعتا إجراءات قانونية دقيقة: تم القبض على السجين وتوجيه التهم إليه، ثم تم التحقيق معه ودعوة الشهود واستجوابهم، ثم أعلن القضاةُ حكمَهم.

لكن البشائر تصر على أن الابن كان بريئًا من كل التهم التي نُسِبت إليه، وأن الشهود كذبوا، وأن أحكام القضاة كانت إجهاضًا للعدالة. بالإضافة إلى ذلك، تصر البشائرُ على أن العسكر في كلا المحكمتين لم يكونوا موظَّفين حكوميين متحيِّزين لا يعرفون نزاهةً، بل كانوا بشرًا خطاة ساقطين عكست أعمالُهم الخارجيةُ فسادَهم الداخلي.

وكما هو الحال دائمًا في البشائر، لم يظهر الابنُ كشخصٍ بعيدٍ منعزل، بل كشخص مندمج بعمق في عالمه. إن قصة «الابن والصليب» هي قصة التواصل الوثيق للابن مع التائهين الهالكين الذين أتى لكي ينقذهم ويخلِّصهم.

تسجل البشائرُ سلسلةً من الأفراد والجماعات الذين كانوا مسؤولين مسؤوليةً مباشرةً عن محاكمات الابن وموته. تقول البشائرُ إن:

- يهوذا خان الابنَ وباعه للكهنة اليهود مقابل المال، مسلِّمًا إيَّاه بقُبلةٍ.
- قيافا ومعه الكهنة قاموا بالقبض على الابن وحاكموه بتهمة التجديف، وسلَّموه للوالي الروماني.
- بيلاطس حاكَمَ يسوعَ وأرسله لحاكم الجليل.
- هيرودس استجوب يسوعَ وأرجعه إلى بيلاطس ثانيةً.
- بيلاطس أشرك الجموعَ في أمر الحكم بالموت على يسوع، ثم سلَّمه للجنود الرومان الذين قاموا بصلبه.

الخائن:

يَرِد ذكر يهوذا الإسخريوطي لأول مرة في (متى ١٠: ٤) و(مرقس ٣: ١٩) و(لوقا ٦: ١٦). في كل هذه الأعداد، يُذكَر يهوذا في آخر قائمة تلاميذ يسوع، ويوصف بأنه التلميذ الذي سيخون يسوع.

نفهم من بشارة يوحنا أن يسوع كان يَعلَم مسبقًا أن يهوذا سوف يخونه، وأن «مصيره هو الهلاك» وأنه قام بهذا العمل فقط بعد أن حرَّضه الشيطانُ ودخله. نرى ذلك في (يوحنا ٦: ٦٤، ٧١ و١٣: ٢، ١١، ٢٧ و١٧: ١٢).

لكن كل هذا لا يعفي يهوذا من مسؤولية موت الابن. حقيقة أن خيانته قد تم التنبُّؤ بها، لا تعني أنه لم يكن حرًّا فيما فعل. ولذلك يشير (أعمال الرسل ١: ١٨) إلى شرِّه. كان يسوع يعتبر يهوذا مسؤولاً عن أعماله. كما جاءت كلمات يسوع في (يوحنا ١٣: ٢٥ – ٣٠) كمناشدةٍ أخيرةٍ ليهوذا. لكن يهوذا رفض مناشدةَ يسوع، وبالتالي، تمَّم ما ورد في (مزمور ٤١: ٩).

أدان يسوعُ يهوذا في (مرقس ١٤: ٢١) و(متى ٢٧: ٣ – ١٠). ثم يسجل (أعمال الرسل ١: ١٦ – ٢٠) بعد ذلك أن يهوذا أدان نفسَه بيديه.

يعتقد بعضُ دارسي الكتاب المقدس أن يهوذا كان وطنيًّا متعصِّبًا انضم إلى يسوع بهدف تحرير إسرائيل من الرومان، وقد خانه إما نتيجةً لخيبة أمله أو لكي يُجبِره على فعل شيءٍ ما. لكن هناك مجموعةً أخرى تقول إن ما يسجله (يوحنا ١٢: ٣ – ٨ و١٣: ٢٩) يثبت أن يهوذا كان فاسدًا أخلاقيًّا وليس مدفوعًا بأهداف سياسية. أيًّا كان دافع يهوذا، تسجِّل البشائرُ حقيقة أنه خان يسوعَ مقابل ثلاثين من الفضة.

قبل حادثة الخيانة بشهور ـ كما نقرأ في (لوقا ١٦: ١٣) ـ علَّم الابنُ تلاميذَه أنه ما من أحد يستطيع أن يخدم اللهَ والمالَ معًا. وعندما أتى الموقف الحاسم، اختار يهوذا المالَ (كما لازال العديد من التلاميذ يفعلون اليوم) وهكذا أسلم الابنَ إلى الموت على الصليب.

الكهنة:

توضِّح البشائرُ أن الابن أزعج القادةَ اليهودَ على مدار خدمته العلنية. وعلى الرغم من أن الابن بدا لهم وقد أخذ مكانة المعلِّم، إلا أنهم كانوا يعلمون أنه لا يملك أيةَ مؤهِّلاتٍ أو تدريبٍ أو سلطةٍ.

لقد احتفل حين وجب الصيامُ، واختلط مع أناسٍ سيِّئي السمعة، وكسر السبتَ حيث شفى الناسَ فيه، ورفض تراثَ الأقدمين، وانتقد الفريسيين علانيةً واصفًا إيَّاهم بالمرائين، وأعطى تصريحات مثيرةً للغضب عن كونه رب السبت وعن كونه يغفر الخطايا ويتفرَّد بمعرفة الله كأبيه وحتى عن كونه مساويًا لله. لقد كان الابن في نظر القادة اليهود مجدِّفًا.

كان قيافا ورؤساء الكهنة واثقين أن شريعة يسوع هي شريعة هرطوقية وأن سلوكه يهين الناموسَ ويتحدَّاه وأنه يضلُّ الناسَ العاديين ويشجِّعهم على الانقلاب ضد قيصر. أراد الكهنةُ أن يُوقِفوا يسوع، وكانوا واثقين أن لديهم الأسباب السياسية واللاهوتية والأخلاقية التي تكفل لهم ذلك. عندما حاكموا الابنَ وجعلوه يُدلِي بشهادته في قول تجديفٍ، أعطى تصريحات تجديفيةً عن نفسه في نظرهم، وهكذا كان مستحقًّا للموت.

على الرغم من ذلك يسجل (متى ٢٧: ١٨) و(مرقس ١٥: ١٠) أن بيلاطس كان مقتنعًا أن القادة اليهود مدفوعون بحسدهم. لقد أرادوا الموتَ ليسوع؛ لأنه كان يتحدَّى سلطتَهم بينما يمتلك هو سلطةً ليست لديهم. وعندما شكَّكوا في سلطة الابن ـ كما نقرأ في (مرقس ١١: ٢٨) ـ أسكتهم ردُّه عليهم.

لاحظنا أن بشارة متى غالبًا ما تركِّز على قضية السلطان. يصف متى مؤامرتين للقضاء على الابن تنبع كلتاهما من الحسد: الأولى، مسجلة في (متى ٢: ١٣)، عندما أراد الملك هيرودس أن يقضي عليه في بداية حياته. والثانية مسجلة في (متى ٢٧: ٢٠) عندما سعى الكهنةُ اليهودُ للقضاء عليه في نهاية حياته. يخلص متى في المؤامرتين إلى أن الابن كان يمثل تهديدًا لسلطانهم، ولذلك سعوا إلى قتله.

الوالي:

أحال القادةُ اليهودُ الابنَ إلى بيلاطس البنطي بكلماتهم المسجَّلة في (لوقا ٢٣: ٢) والتي لم يجرؤ الحاكمُ على تجاهلها. تعطينا البشائرُ ملاحظتين مهمتين بينما يحقِّق بيلاطس في القضية:

أولاً: تصر البشائرُ على أن بيلاطس كان مقتنعًا ببراءة يسوع لدرجة أنه

أعلن ثلاث مرات أنه لا يجد فيه علةً واحدةً يحاكمه عليها. وقد تأكَّد له اقتناعه الشخصي هذا برسالةٍ من زوجته. نقرأ عن ذلك في (لوقا ٢٣: ٤ و٢٣: ١٣ ـ ١٥ و٢٣: ٢٢) و(متى ٢٧: ١٩).

ثانيًا: تؤكد البشائرُ على أن بيلاطس أراد أن يتجنَّب الميلَ إلى أحد الجانبين؛ لقد أراد أن يتجنَّب الحكمَ على يسوع لاعتقاده بأنه بريء، لكنه أراد أيضًا أن يتجنَّب تبرئته حتى لا يثير غضبَ القادة اليهود.

تصف البشائرُ تملُّصَ بيلاطس وهو يحاول أن يكون عادلاً وظالمًا في نفس الوقت. أولاً: يسجِّل (لوقا ٢٣: ٥ – ١٢) أنه حاول أن ينقل المسؤولية إلى هيرودس، وعندما فشل هذا الأمر، حاول أن يرضي اليهودَ بما هو أقل من حكم الموت كما يسجل (لوقا ٢٣: ١٦ ـ ٢٢). ثم يصف (مرقس ١٥: ٦ – ١٥) كيف تمنَّى بيلاطس أن يختار الجمعُ يسوعَ كالسجين الذي يريدون إطلاق سراحه في عيد الفصح كما هي العادة. وأخيرًا، عندما استنفذ بيلاطس جميعَ محاولاته، يسجل (متى ٢٧: ٢٤) أنه عمل على تبرئة نفسه من الأمر بصورةٍ غير مباشرةٍ.

لكن، وقبل أن تجف يداه، سلَّم بيلاطس يسوعَ إلى الموت. كان بيلاطس رجلاً ضعيفًا؛ حيث يقول (لوقا ٢٣: ٢٠) إنه أراد أن يطق سراحَ يسوع، بينما يقول (مرقس ١٥: ١٥) إنه أراد أيضًا أن يرضي الجموعَ. يستخدم (لوقا ٢٣: ٢٣ – ٢٥) تكرارًا ثلاثيًّا كي يوضِّح أن الجموعَ فازت بصراع إرادة بيلاطس: «قويت أصواتهم» وحقق لهم «الذي طلبوه» و«أسلم يسوع لمشيئتهم».

علم بيلاطس أن الابن كان بريئًا، وعلم أن العدالة تقتضي إطلاقَ سراحه،

لكن (يوحنا ١٩: ١٢) يسجل أنه علم أيضًا أنه سيخسر وظيفتَه لو تحققت العدالةُ. لذلك أسكت بيلاطس ضميرَه، وتغاضى عن معتقداته، وأرسل الابنَ إلى الصليب.

الجنود:

كان الجنود الذين نفَّذوا حكمَ بيلاطس هم أكثر الأشخاص المسؤولين مسؤوليةً مباشرةً عن موت الابن، لكن من المهم أن نلاحظ أن عملية الصلب غير موصوفة في أية بشارة. من الواضح أن كلمات وأفعال الابن كانت أهم بكثير.

ومع ذلك، تصف البشائرُ كيف أهان الجنودُ يسوعَ واستهزأوا به في دار الولاية. أولاً، قاموا بجلده ثم ألبسوه رداءً قرمزيًّا ووضعوا إكليلاً من الشوك على رأسه وصولجانًا من الخوص في يده ثم سجدوا له استهزاءً وعصبوا عينيه وبصقوا على وجهه ولطموه على وجهه وضربوه على رأسه وتحدُّوه بأن يتنبَّأ بالذي اعتدى عليه.

وأخيرًا، وطبقًا للعادات الرومانية، جعلوا الابنَ يحمل صليبَه إلى مكان تنفيذ الحكم. لكن الصليب كان ثقيلاً جدًّا مما جعل يسوعَ يتعثَّر في سيره، فأرغموا رجلاً يُدعَى «سمعان» من مدينة القيروان في شمال إفريقيا على حمل الصليب عن يسوع.

عندما وصل يسوعُ إلى الجلجثة، قدم الجنودُ له بعضَ الخمر الممزوج بزيت المُر كي يخفِّفوا من ألمه، لكن يسوع رفض أن يشربه. بعد ذلك لا يعطينا (متى ٢٧: ٣٢ – ٣٥) و(مرقس ١٥: ٢١ – ٢٥) و(لوقا ٢٣: ٢٦ – ٣٣)

و(يوحنا ١٩: ١٧ – ١٨) أية تفاصيل؛ حيث لا يذكرون أية مطرقة أو مسامير، ولا يشيرون إلى أي ألم أو دماء، يقولون فقط إنهم «صلبوه».

لا تدل البشائرُ على أن الجنود استمتعوا بعملهم أو كانوا قساة بصفةٍ خاصة، لقد قاموا فقط بتنفيذ الأوامر بصلب ثلاثة مجرمين. يسجل (لوقا ٢٣: ٣٤، ٤٦) أن يسوع صلَّى بصوتٍ مسموع أثناء تنفيذ الصلب، وترك أثرًا على المشتركين فيه. كما يسجِّل (لوقا ٢٣: ٤٢ – ٤٣) أن واحدًا من المجرمين المصلوبين مع يسوع آمن به. كما يقول (لوقا ٢٣: ٤٧) إن قائد المائة المسؤول عن الجنود آمن هو أيضًا.

الصليب:

بينما كان الابن مُعلَّقًا على الصليب، اقترع الجنودُ على ثيابه. وكانت بعض النسوة تشاهدنه من بعيد. كما كان بعض القادة اليهود يسخرون قائلين إن يسوع لم يستَطِع أن يخلِّص نفسَه. تسجِّل البشائرُ أن يسوع بمحبةٍ أوكل رعايةَ أمه إلى يوحنا ورعاية يوحنا إلى أمه. ثم بعد ذلك، طمأن اللصَّ التائبَ الذي كان يحتضر إلى جواره.

وفي الظهر، حل الظلامُ على الجلجثة لمدة ثلاث ساعات. لا تسجل البشائرُ ما حدث للابن خلال هذه الفترة، لكن أجزاءً أخرى من الكتاب المقدس تكشف عن ذلك، كما نقرأ على سبيل المثال في (إشعياء ٥٣: ٥ – ٦) و(مرقس ١٠: ٤٥) و(٢كورنثوس ٥: ٢١) و(غلاطية ٣: ١٣) و(١ تيموثاوس٢: ٥ – ٦) و(عبرانيين ٩: ٢٨) و(١ بطرس ٢: ٢٤ و٣: ١٨).

صرخة التَّرْك:

يقول البعضُ إن الظلام يرمز إلى الظلام الروحي الذي أحاط بالابن وبلغ

ذروته في صرخته للآب: «لماذا تركتني». كما يقولون إن الظلام يمثِّل فكرةَ الانفصال عن الله الذي هو نور ولا ظلام فيه البتة.

أما البعض الآخر فيقولون العكس؛ حيث يعتقدون أن الله كان حاضرًا أثناء الذبيحة في شكل سحابةٍ مظلمةٍ تمامًا كما كان غالبًا ما يعلن عن نفسه في سحابة ساعة تقديم الذبائح في العهد القديم.

عندما انتهت الظلمة، صرخ يسوعُ بالكلمات المسجَّلة في (مرقس ١٥: ٣٣ – ٣٤). أخطأ بعضُ من سمعوه فهمَ ما قال؛ حيث اعتقدوا أنه كان ينادي إيليا. وعلى الرغم من أنه من الواضح أن يسوع اقتبس ما ورد في (مزمور ٢٢: ١)، إلا أن البعض لازال يتساءل عن معنى تلك الصرخة. يقول البعضُ إنها صرخة يأس، بينما يعتبرها البعضُ الآخر صرخةً معبِّرةً عن الوحدة أو النصر، لكنها صرخةٌ مباشرةٌ تعبِّر بصدق عن التَّرْك. وهذا يوضِّح وجودَ مقدارٍ من الألم فُوجِئ به يسوع.

كان الابن يعلم حتى ذهب إلى الصليب أن الآب معه، وذلك على الرغم من أن أقرب الرسل إليه تركوه، يوضح (يوحنا ١٦: ٣٢) هذه الحقيقة. أما الآن فهو بمفرده؛ لأن الآب تركه حرفيًّا.

لقد حدث انفصالٌ حقيقي بين الآب والابن على الصليب،

وقَبِل كلٌّ منهما هذا الانفصال الذي حدث بسبب خطايانا بإرادةٍ حرةٍ. عبَّر يسوعُ عن ترك الآب له باقتباس عدد واحد فقط من الأسفار المقدسة يصفه بدقة وقد تمَّمه هو بصورةٍ كاملةٍ.

صرخات العطش والانتصار والإيداع:

بعد ذلك مباشرةً، نطق يسوعُ بثلاث عبارات تلت بعضها البعض سريعًا وهي:

- أنا عطشان.
- قد أُكمل.
- يا أبتاه بين يديك أستودع روحي.

تعبِّر صرخةُ العطش عن ضريبة المعاناة والألم الروحي العظيم الذي أثَّر عليه جسديًّا.

أما صرخة الانتصار، فتعبِّر عن تمام إكمال عمله. الفعل اليوناني المستخدَم في هذه الجملة هو «tetelestai» وهو يَرِد في صيغة الزمن التام، ويعني «قد أُكمل وسوف يكون هكذا إلى الأبد». لقد أكمل الابنُ مهمةَ الخلاص والإنقاذ التي أتى من أجلها، لقد أتم ما جاء إلى العالم من أجله؛ حيث حمل خطايا العالم، وتحمَّل غضبَ الله، وحصل على الخلاص للعالم كله، كما ولد لنا حياةً جديدةً، وصنع عهدًا جديدًا بين الله والبشرية وجعل بركات الغفران متاحةً.

أما صرخة «استودع روحي» فتدل على أن الابن كان لديه كامل السيطرة. لم يمُت الابن لأنه قُتِل على يد أناس أشرار، لكنه مات لأنه وضع روحَه بكامل إرادته في يدي الآب. كانت صلاة يسوع الأخيرة مثل صلاة طفل قبل أن يذهب إلى النوم. يقول (يوحنا ١٩: ٣٠) حرفيًّا أن يسوع «نكَّس رأسَه كما لو كان يريحها على وسادةٍ» وبعدها، أسلم الروحَ.

وفي الحال، انشقَّ حجابُ الهيكل (الذي يمثِّل انفصالَ الخطاةِ عن الله) من

أعلى إلى أسفل معلنًا أن الله قد ألقى حاجزَ الخطية بعيدًا وأن الدخول إلى محضره أصبح الآن متاحًا للجميع.

وبعد ذلك بست وثلاثين ساعة ـ كما رأينا في الجزء الرابع ـ أقام الآبُ الابنَ من الموت، وبرَّأه علنيًّا في القيامة. كانت القيامةُ هي إعلان الآب القاطع عن أن موت يسوع على الصليب لم يَضِع سُدَى.

حقيقة الصليب:

يشرح كلُّ ما نتناوله في كتاب «Salvation by Grace» لماذا أعطى يسوعُ أهميةً كبيرةً لموته على الصليب، ولماذا أسَّس ذكرى عشائه الأخير، ولماذا كرَّمه اللهُ بعهدٍ جديدٍ وقيامةٍ مجيدةٍ.

عندما نفهم جيدًا عظمةَ خطة الله الأزلية للخلاص، ونفهم ظلالَها في العهد القديم وإتمامها في اليوم الأخير، يمكننا حينئذٍ أن نفهم حزنَ الابن وهو ينتظر في جثسيماني، وشعورَه بالألم لترك الآب له على الصليب، وإعلانَ انتصاره لإتمامه خلاصنا الأبدي.

خطيتنا:

عندما نفكر بعمقٍ أكبر عن الابن والصليب، سوف ندرك ثلاث حقائق عظيمة عن الصليب: أولاً: سنبدأ في إدراك مدى فظاعة خطيتنا البشرية؛ لأنه ما من شيءٍ يعبِّر عن خطورة الخطية البشرية كصليب الجلجثة.

بالطبع لم يذهب الابنُ إلى الصليب بسبب طمع يهوذا وحسد الكهنة وجبن بيلاطس الأخلاقي، لكنه ذهب بسبب طمعنا وحسدنا وجبننا وكل خطايانا الأخرى. ذهب بتصميمه المُحِب على تحمُّل قصاص هذه الخطايا وإزالتها

نهائيًّا، لا يمكننا بكل تأكيد أن ننظر إلى دراما الصليب دون أن نشعر بالخزي الحقيقي من اشتراكنا الشخصي في الجريمة.

إن لم تكن هناك طريقةٌ أمام الله القدوس يغفر بها خطايانا غير تحمُّلها بنفسه على الصليب في شخص الابن، فلابد أن تكون خطايانا خطيرةً بكل تأكيد. بمجرد أن ندرك هذه الحقيقة، سنكون على استعدادٍ للثقة في الابن كالمخلِّص الذي نحن في أشد الحاجة إليه.

محبته:

ثانيًا: يعلن الصليبُ أن محبة الله لابد وأن تكون عظيمةً بما يفوق كلَّ فهمٍ بشري. نتناول هذا الجانب «الإعلاني» من الصليب في كتاب «Salvation by Grace».

كان بإمكان الآب أن يترك البشريةَ لمواجهة مصيرها. كان من الممكن أن يتركنا لنحصد ثمارَ خطيتنا ونهلك بشرِّنا، فهذا هو ما نستحقه قبل كلِّ شيء وهذا هو ما نريده في الغالب، لكن الله لم يعمل هكذا. ولأنه يحبنا، سعى وراءنا في شخص المسيح ولاحَقَنا حتى آلام الصليب، حيث تحمَّل خطايانا وذنبَنا وحكمَنا وموتَنا بمحبةٍ. لا يمكننا بالتأكيد أن ننظر إلى تلك المحبة المحرِّضة للصليب ونظل غير متأثرين.

عندما نفهم هذه الحقيقةَ، سنتوق إلى محبة الابن الرب الذي نحتاج إليه بشدة.

نعمة مجانية:

ثالثًا: يعلن الصليبُ أن الخلاص لابد وأن يكون عطيةً مجانيةً؛ حيث اشتراه

الابنُ بالكامل بدمه، ولذا لم يتبقَّ لنا شيءٌ لندفعه. ولأنه أعلن على الصليب أن مهمته قد «أُكمِلت»، لم يعد أمامنا عمل شيء نشارك به. الأمر كله يعود لله والأمر كله نعمة من الله.

الجزء التاسع

عودة الابن

توضح البشائرُ أن الصليب ليس هو النهاية لقصة الابن. رأينا في الجزء الرابع أن الابن قام من بين الأموات وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله وأرسل الروح القدس كما وعد وأعطى مواهب للكنيسة وبدأ في ممارسة عمله السماوي الذي هو الشفاعة والذي يقوم به إلى اليوم.

لكن حتى كل ذلك لا يمثِّل نهاية قصة الابن؛ لأن كل الكتاب المقدس إنما يتطلَّع إلى عودته إلى الأرض في نهاية الزمان. وهذه العودة ليست حقيقةً صغيرةً تُذكَر في نصف عددٍ هنا ونصف عددٍ هناك، لكنها خيط الرجاء الرئيسي الذي يسير في كل الأسفار المقدسة.

رجاء العهد القديم

أكدنا في كل سلسلة «سيف الروح» أن ملحمة الرجاء الكتابي والوعد القائم على العهد بدأتا بدعوة الله لإبراهيم بأن يترك أرضَه وعشيرته. وما بدأ برحلةٍ هادفةٍ لمجموعةٍ صغيرةٍ من الأشخاص الرُحَّل أصبحت رحلةً طويلةً عبر التاريخ لشعبٍ يسانده رجاءٌ إلهي.

يتأسَّس كلُّ الرجاء الكتابي على عهد الله المنصوص عليه في (تكوين ١٢: ١ – ٣). تعهد اللهُ لإبراهيم بأن يمنحه هو ونسله:

- أرضًا.
- أمةً عظيمةً.

- بَرَكَةً.

تكرر هذا الوعدُ الثلاثي وأُضيف إليه عدة مرات عبر العصور، لكنه كان دائمًا ملخَّصًا في العبارة التي وردت لأول مرة في (تكوين ١٧: ٧). تلخص هذه العلاقةُ القائمةُ على العهد كلَّ قصد الله تجاه البشرية.

كان نسل إبراهيم في كل العهد القديم يرجع إلى الوعود التي تضمَّنها هذا العهدُ، وكانوا دائمًا يطالبون بها باعتبارها مصيرهم في الحياة. عندما كانوا ضعفاء ومستَعبَدين في المنفى، مكَّنتهم هذه الوعودُ من المحافظة على هويتهم القومية، ومن الإيمان بأن الله يحفظ لهم مستقبلاً ورجاءً. وعندما كانوا أقوياء مُزدِهرين، ساعدتهم هذه الوعودُ على الاحتفاظ بنظرةٍ مستقبليةٍ وتوجُّهٍ مستقبلي.

كان أولاد إبراهيم يعلمون أن يهوه هو إله المواعيد، وقد ساعدتهم هذه المعرفةُ على إدراك أن وضعهم الحالي ليس هو أبدًا عمل الله النهائي معهم، كما ساعدتهم على تركيز رجائهم على المستقبل وعلى إتمام الله الكامل لعهده مع إبراهيم.

رجاء الأنبياء:

رأينا في كتاب «الخدمة المنقادة بالروح» أن إعلان مقاصد الله فيما يتعلق بالمستقبل كان جزءًا من دعوة الأنبياء. معظم الأنبياء المُدرَجة أسفارهم في العهد القديم خدموا بين شعبِ إسرائيل عندما بدأ الشعبُ في التركيز على الماضي بصورةٍ كبيرةٍ. كان الشعب يعود إلى وقت الخروج من مصر وإلى فترة مُلك داود وإلى الهيكل الأول وهكذا.

قبل مجيء المسيح بحوالي ٨٠٠ سنة، أعلن عاموس أن أهم حدث في حياة

شعب الله هو حدث مستقبلي وليس حدثًا وقع في الماضي. وقد دُعِي هذا الحدثُ «يوم الرب» كما نقرأ في (عاموس ٥:١٨ – ٢٠)، وأعلن أن هذا اليوم سيكون يوم ظلام وليس يوم نور.

أعلن عاموسُ كارثةً في وقتٍ تمتَّع فيه الشعبُ بازدهارٍ قومي. نرى ذلك في (عاموس ٢:٦ و٥:١٨ و٥:٢٣). كرز أنبياءُ آخرون بنفس الرسالة تقريبًا كما نقرأ في (إشعياء ٣٠:١ – ٢، ١٥ – ١٧) و(إرميا ٥:١ و٧:٤ – ٧) على سبيل المثال.

سخر الأنبياءُ في هذه النصوص وغيرها من المحاولات اليهودية للعثور على الأمان والرجاء في أي شيءٍ غير شخص الله نفسه. وقد أعلنوا بثباتٍ معارضةَ الله لكل المحاولات البشرية لإيجاد الأمان بعيدًا عن شخصه وعن مشيئته.

ومع ذلك، وعلى الرغم من قسوة القضاء الذي أعلنه الأنبياءُ، لم يدَّعِ الأنبياءُ أبدًا أن هذا سيكون آخر أعمال الله؛ حيث أعلنوا عن رسالةٍ بوعدٍ مستقبلي مؤسَّس على:

- محبة الله المشتعلة (هوشع ١١:٨ – ٩) و(مراثي إرميا ٣:٢١ – ٢٤).
- أمانة الله نحو الوعود التي أعطاها في عهده (إشعياء ٣٧: ٣٥).
- اهتمام الله بكرامته (حزقيال ٣٦:٢٢ – ٢٣) و(إشعياء ٤٨:١١).
- قدرة الله الأساسية على الخلق (إشعياء ٤٣:١ و٤٩:٦).

وعلى الرغم من أن الأنبياء أعلنوا أن يوم الرب سيكون يوم ظلام، إلا أنهم أعلنوا أيضًا أن وعد الله الأصلي لإبراهيم لازال قائمًا وأصروا على أن الله سوف يتمِّمه.

تتطلع الأنبياءُ للمستقبل، وأعلنوا أنه سيكون هناك:

- داود جديد (٢صموئيل ٧: ١٢ ـ ١٦) و(إشعياء ٩: ٦ – ٧ و١١: ١ – ٩) و(إرميا ٣٣: ١٥ – ١٦) و(زكريا ٩: ٩)
- أورشليم جديدة (إشعياء ٢: ٢ – ٤ و٦٥: ١٧ – ٢٥) و(إرميا ٣٣: ١٦) و(زكريا ١٤: ١١، ١٦).
- ازدهار جديد (إشعياء ٦٥: ٢١) و(حزقيال ٤٧: ١٢) و(يوئيل ٣: ١٨) و(عاموس ٩: ١٣ – ١٥) و(ميخا ٤: ٤).
- هيكل جديد (حزقيال ٤٠ – ٤٨).
- إسرائيل جديدة (إرميا ٣٠: ٨ – ٩) و(عاموس ٩: ١١ ـ ١٥) و(ميخا٤: ٦ ـ ٧) و(هوشع ٣: ٥) و(صفنيا ٣: ٢٠).
- علاقة جديدة مع الله (هوشع ٢: ١٤ – ١٦، ١٩).
- عهد جديد (إرميا ٣١: ٣١ – ٣٤).
- قلب جديد (حزقيال ١٨: ٣٠ – ٣٢ و٣٦: ٢٥ – ٢٨).
- خروج جديد (إشعياء ٤٣: ١٨ – ١٩ و٥٢: ١٢) و(إرميا ١٦: ١٤ – ١٥) و(حزقيال ٢٠: ٣٣ ـ ٣٤) و(هوشع ٢: ١٤ – ١٥).
- أرض جديدة وسماء جديدة (إشعياء ٦٥: ١٧ – ٢٢).

استطاع الأنبياءُ أن يعطوا مثل هذه الإعلانات؛ لأنهم عرفوا أن الله يعمل في التاريخ ويتحكم به. كما ميَّزوا مقاصدَ عمله في الأحداث الماضية والحاضرة، وكانوا يتمتعون بالثقة في أنه سيستمر في العمل بطرقٍ مماثلةٍ. لقد ثبَّتوا أنظارَهم على الله كي يتحكم في مسار التاريخ، ولكي يفعل شيئًا فيما يتعلق بأوضاع شعبه، ولكي يتدخل بين الشعوب الأخرى. نرى ذلك على سبيل المثال في (إشعياء ٥١: ٤ – ٥).

كان الأنبياءُ واثقين أيضًا من أنه ستكون هناك استمرارية وفجوة بين

أعمال الله في الماضي وأعماله في المستقبل، فأعلنوا أنه سيعمل أمورًا مدهشةً ويغدق على شعبه بركةً وأمانًا يفوقان الخيال. وشدد تكرارهم لكلمة «جديد» على فكرة الفجوة هذه. لكن استخدامهم لكلمات مثل «عهد» و«خروج» أوضح إدراكهم لوجود استمرارية حقيقية للماضي واتصال به.

وعد الأنبياء بأنه على الرغم من أن الله سيصنع أشياءً جديدةً، إلا أن قصده للعالم مازال متوافقًا مع أعماله في الماضي. وأنه على الرغم من أنه سيعلن عن ذاته في المستقبل من خلال الخلاص النهائي للبشرية، إلا أنه كان يعلن عن نفسه بالفعل في إطار تاريخ إسرائيل.

يمكن تلخيص الرجاء النبوي في ثلاثة تعبيرات عامة:

- الله سيأتي (إشعياء ٢: ١٠ – ٢١ و٢٦: ٢١ و٣٥: ٤ و٤٠: ٩ و٥٩: ٢٠ و٦٣: ١ – ٦ و٦٦: ١٨ – ١٩) و(زكريا ٢: ١٠ – ١٣ و١٤: ٣ – ٥).
- الله سيكون مع شعبه (إشعياء ١٢: ٦) و(حزقيال ٣٧: ٢٧ – ٢٨ و٤٣: ١ – ٩ و٤٨: ٣٥) و(يوئيل ٢: ٢٧ و٣: ١٦ – ١٧) و(صفنيا ٣: ١٤ – ٢٠).
- الله سيحكم:

بالعدل والاستقامة (إشعياء ١: ٢ – ٥ و٩: ٧).
بالسلام (إشعياء ٢: ٢ – ٤ و٩: ٦) و(ميخا ٤: ٣ – ٤).
حكمًا دائمًا (إشعياء ٩: ٧) و(ميخا ٤: ٦ – ٧).
حكمًا عالميًّا (إشعياء ٢٥: ٦ – ٩ و٤٤: ٥) و(ميخا ٥: ٢ ـ ٥) و(صفنيا٣: ٩ ـ ١٠) و(زكريا ٨: ٢٢ – ٢٣ و٩: ١٠).
على الأرض (إشعياء ١١: ٦ – ٩ و٣٢: ١٥ و٦٥: ١٧) و(حجي ٢: ٧).

في سجودٍ وابتهاجٍ (إشعياء ١٢ و٢٥) و(زكريا ١٤: ٩).

لا يعلن العهدُ القديم أبدًا عن وقت وقوع كل هذه الأحداث؛ لأنه لا يفرِّق أبدًا بين التحقيق المباشر والتحقيق النهائي للنبوة ـ نتناول هذه النقطة في كتاب «الخدمة المُنقادة بالروح». لكنه بدلاً من ذلك يركِّز على الله الذي يحفظ الوعودَ وليس على أي ترتيب زمني للمستقبل.

مثل هذا التلخيص الأساسي لرجاء العهد الجديد أساسي جدًّا لفهمنا لرجاء الابن العظيم الذي يعلنه العهدُ الجديدُ.

رجاء الابن:

يعطي الرسولُ بولس في (٢كورنثوس ١: ٢٠) تصريحًا مذهلاً حين يعلن أن يسوع هو «النعم» لكل مواعيد الله أي أنه الشخص الذي يتحقق فيه كلُّ الرجاء النبوي للعهد القديم. لو أننا لا نعرف هذا الرجاء، فلن نستطيع أن نفهم ونقدِّر مدى عظمة كلمات بولس.

رأينا في الجزء الخامس ـ كما رأينا بصفةٍ خاصة في كتاب «ملك الله» ـ أن يسوع أعلن إتيانَ ملكوت الله، أي أنه أعلن إتيانَ مُلك الله، وقد كان هذا الإعلان هو الفكرة الأساسية في كل تعاليمه.

أعلن الابنُ بالكلمات أن مُلك الله الموعود قد بدأ، وأظهر بالأعمال أن تجربةً جديدةً لقوة الله المُخلِّصة قد حلَّت، كما أظهر أن مسحته بالروح هي الدليل الأساسي على وجود الملكوت.

أكد يسوعُ على أن ملكوت الله هو للمساكين بصفةٍ خاصة، كما أعلن أن:

- ملك هذا الملكوت هو «أب» (متى ٩: ٦ – ١٠) و(لوقا ١٢: ٣٢).

- صفة هذا الملكوت هي الغفران (متى ١٨: ٢٣ – ٣٥) و(مرقس ٢: ١٠، ١٥ ـ ١٧) و(لوقا ٧: ٣٦ ـ ٥٠ و١٥ و١٨: ٩ ـ ١٤).
- القصد من هذا الملكوت هو إيجاد نظام جديد (متى ١١: ٢٥ ـ ٢٦ و١٨: ٣ و٢٢: ١ ـ ١٠) و(مرقس ١٠: ١٤) و(لوقا ١: ٥١ ـ ٥٣ و٦: ٢٠ـ ٢٥ و١٣: ٣٠ و١٦: ١٩ – ٣١).
- مطالب الملكوت هي التوبة والثقة (متى ٥: ٢٥ ـ ٢٦ و٦: ٢٤ ـ ٣٤ و٢٣: ٥ ـ ١٢) و(مرقس ١: ١٥ و٨: ٣٤ ـ ٣٥ و١٠: ١٧ ـ ٣١) و(لوقا ٦: ٢٧ ـ ٣٦ و١٣: ٢ ـ ٣ و١٤: ٢٦ و١٥: ١١ – ٣٢).

الآن وليس بعد

رأينا أيضًا أنه على الرغم من أن ملك الله قد أتى في شخص المسيح، إلا أنه لم يأتِ بكامله بعد. كان الملكوت موجودًا من حيث إن بركات العصر الجديد كانت تُختَبَر بالفعل من خلال خدمة الابن. لكن التحقيق الكامل لوجود الملكوت بمعنى الانتصار الكامل لله على الشر وتأسيسه لحكم عالمي تسوده العدالة الدائمة والسلام والسجود الدائم لازال موضوع رجاء مستقبلي.

كان الملكوت حاضرًا لكنه كان خفيًّا. لقد انطلقت قوةٌ جديدةٌ، لكن الكثيرين فشلوا في إدراكها. ومع ذلك، سيأتي يومٌ ينتهي فيه الشكُّ والمعارضةُ والخفاءُ، مفسحين الطريق للتأسيس الكامل لمُلك الله. لذلك علَّم يسوعُ تلاميذَه أن يصلوا الصلاة المسجَّلة في (متى ٦: ١٠) وأن يثقوا في الوعد المسجَّل في (لوقا ١٣: ٢٩).

عندما تحدث يسوعُ عن إتيان الملكوت وعن رجاء ملكوته للمستقبل، شدَّد على ثلاث نقاط:

- الملكوت سينمو تدريجيًّا (متى ١٣: ٣٣) و(مرقس ٤: ٢٦ – ٣٢).

- الملكوت سيأتي من خلال النعمة (لوقا ١٢: ٣٢).
- الملكوت سيأتي من خلال آلامه وموته (مرقس ٨: ٣١ و٩: ٣١ و١٠: ٣٣ – ٣٤ و١٠: ٣٨) و(لوقا ١٢: ٥٠).

تبرئة الابن

توضح البشائرُ أن يسوع لم يتوقع فقط أن يموت، لكنه توقع أيضًا أن يقوم الله بتبرئته. كان الابن يعلم أن عليه أن يتألم، وكان يعلم أيضًا أن قبول الله العلني لعمله يفوق آلامَه.

تحدث الابنُ عن تبرئته في بعض الأحيان بلغة القيامة كما في (مرقس ٩: ٣١)، لكنه عبَّر عنها في أحيان أخرى بلغة عودة الابن إلى الأرض في المستقبل كما نقرأ على سبيل المثال في (متى ١٠: ٢٣ و٢٤: ٤٤ و٢٥: ٣١) و(مرقس ٨: ٣٨ و١٣: ٢٦ و١٤: ٦٢) و(لوقا ١٨: ٨).

دائمًا تدل كلمات يسوع عن التبرئة على أن الشخص الذي سيأتي في المجد هو نفس الشخص الذي أُقيم من الأموات بعد ثلاثة أيام. نرى ذلك على سبيل المثال في (مرقس ١٤: ٦٢).

وعلى الرغم من أن يسوع أعلن عن قيامته وعن عودته بطرقٍ مماثلةٍ، إلا أنه كان يفرِّق دائمًا بين نتائج الحدثين. عندما كان يسوع يتحدث عن عودة الابن، كان يربطها بالدينونة الأخيرة للبشرية وبالتأسيس الكامل لملك الله كما نقرأ في (مرقس ٨: ٣٨ و١٣: ٢٦ ـ ٢٧) و(متى ٢٥: ٣١ ـ ٤٦) و(لوقا ٢١: ٣٦)، لكنه كان يتحدث عن القيامة باعتبارها تبرئة شخصية له وليس باعتبارها الدفاع النهائي عن كل مقاصد الله.

وهذا يوضِّح أن الابن توقَّع أن يموت، وأن يبرِّئه الآبُ من خلال القيامة من بين الأموات، وأن يأتي ثانيةً في النهاية كي يتمِّم مقاصد الله نحو العالم.

رجاء الابن

كما كان الأنبياء يركزون على أعمال الله في المستقبل أكثر مما يركزون على جدول زمني محدد للمستقبل، هكذا علَّم الابن الكثيرَ عما سيفعله الله في المستقبل والقليل عن متى سيفعل ذلك. تسجل البشائرُ أن رجاء يسوع النبوي احتوى على العديد من العناصر المتميزة:

- تنبَّأ بكارثةٍ للأمة اليهودية (مرقس ١٣: ٢) و(لوقا ١٩: ٤٢ – ٤٤).
- تنبَّأ بيومٍ سيكون فيه أناس من شعوب أخرى جزءًا من الملكوت، وتوقع أن يقوم أتباعه، أي كنيسته بتتميم دور شعب الله (متى ٨: ١١-١٢ و١٦: ١٨).
- توقع حدوث خلاف بين أتباعه وبين القوى التي تعارضهم (مرقس ١٣).
- أعلن أن أتباعه سوف يبرَّأون: سيجدون أن الله يقبلهم وسيعرفون أن قرارهم باتِّباع يسوع كان هو القرار الصحيح (متى ١٠: ٣٢) و(مرقس ٨: ٣٥) و(لوقا ٦: ٢٢ ـ ٢٣ و١٢: ٣٢).
- أعلن أنه سيعود منتصرًا كي يتمِّم مقاصدَ الله (مرقس ١٣: ٢٤ – ٢٧).

القصد من عودة الابن:

على الرغم من أن أوصاف يسوع النبوية لكيفية ووقت عودته تأتي غامضةً عن عمد، إلا أن إعلانه عن القصد من عودته واضح جدًّا. يثبت يسوعُ من الأسفار المقدسة أنه ستكون هناك حياة مُقامة ثم يَعِد بعد ذلك بأنه سيعود ثانيةً كي يقيم شعبَه إلى حياة الملكوت الجديدة ويجمعهم معًا في حضرته من كل أنحاء العالم (مرقس ١٢: ١٨ ـ ٢٧ و١٣: ٢٦ – ٢٧).

يَعِد الابنُ أيضًا بأنه سيعود كي يدين حياةَ كل الناس، وهذه الدينونة سوف تفصل بين هؤلاء الذين دخلوا ملكوت الله وهؤلاء الذين اختاروا أن يظلوا خارجه (متى ٢٤: ٤٠ ـ ٤١) و(مرقس ٩: ٣٣ – ٤٨).

يَعِد الابنُ أيضًا بأنه سيأتي ثانيةً حتى يقضي على إبليس وكل أعماله قضاءً نهائيًّا (متى ٢٥: ٤١). ويَعِد كذلك بأن العالم سيتجدَّد وبأن شعب الله سيدخل إلى ملكوته النهائي الكامل (مرقس ١٣: ٣١). لا يعطي يسوعُ أيَّ وصف مفصَّل لوجوده الأبدي، لكنه ينكر بوضوح في (مرقس ١٢: ٢٥) أن هذا الوجود سيكون مجرَّد استمرار لوجوده الأرضي لكن على مستوى أعلى.

وبدلاً من أن يقدِّم لنا يسوعُ أوصافًا تدغدغ مشاعرنا، يعطينا سلسلةً من الصور المجازية التي تزكِّي إيماننا. يَعِد يسوعُ بدخول شعب الله إلى الفرح في حضوره وأن هذا الفرح سيكون مماثلاً لفرح الاحتفال بالزفاف (متى ٢٥: ١٠، ٢١ – ٢٣). سيكون هناك صوت ضحك ورقص وسوف يشبع الجوعى (لوقا ٦: ٢١ – ٢٣) والأنقياء القلب سيعاينون الله (متى ٥: ٨) وهو نفسه العريس سيكون بؤرة الاهتمام (متى ٢٥: ١ – ١٣).

كما يَعِد يسوعُ بأن جماعة شعبه الجديدة التي ستتحد معًا في العبادة والسجود سوف تضم اليهودَ والأممَ في شركةٍ واحدةٍ (متى ٨: ١١ و٢٥: ٣٤).

نتائج عودة الابن:

يوضِّح العهدُ الجديد أن عودة الابن سوف تتمِّم عملَ الله لخلاص البشرية. في ذلك اليوم، سترى كلُّ البشرية الابنَ في مجدٍ عظيمٍ منتصرًا انتصارًا

كاملاً. كان مجيء الابن في المرة الأولى ضعيفًا وغير ظاهر. لكن عودته ستكون حدثًا جليًّا عامًّا منتصرًا مجيدًا وعالميًّا.

وسيجعل غياب الابن الواضح عن الأرض عودته إليها حدثًا مؤثرًا. سيتحول اختفاؤه الغامض إلى حضور مُعلَن بشخصه الكامل وجلاله الإلهي. عندما سيعود الابن أخيرًا، لن يكون هناك مجال للشك في شخصه أو للشك في هل أتى حقًّا أم لا.

سينتج عن عودة الابن كشفٌ لكل ما هو خفي عن المسيح، وأيضًا كشفٌ لكل ما هو خفي عن البشرية. يؤكد العهدُ الجديد على أن دينونة الله لكل فردٍ من البشر هي السبب الرئيسي لعودة الابن. نرى ذلك على سبيل المثال في (١كورنثوس ٤: ٥ و١٥: ٤٥). في اليوم الأخير، سوف تُكشَف كلُّ قضايا الحياة الأساسية، وسوف تختفي كلُّ أعذارنا وأمورنا الملتبسة.

يوضح (١كورنثوس ١٥: ٢٤ ـ ٢٥) و(رؤيا ٢٠: ٧ – ١٥) أن عودة الابن سوف ينتج عنها انتصارٌ نهائي على كل ما هو شر. إن عودة الابن تعني القضاء على كل ألمٍ ومعاناةٍ ونهايةً لكل أفكار وأعمال الشر من خلال تبرئة هؤلاء الذين تألموا من أجل البر، وكذلك فضحًا لكل مُضطَهِد. كما سيتم القضاء على إبليس وكل جنوده للأبد.

عندما يعود الابنُ سوف يجمع شعبَه في حضرته، وسيعطي القيامةَ لكل الذين رقدوا قبل مجيئه. لكن الابن لن يقوم فقط بتغيير المؤمنين إلى قوة قيامته، فسيغيِّر الكونَ كله. رأينا في كتاب «معرفة الآب» أن مقاصد الله هي أكبر من مجرد تحديد المصير الشخصي لأفراد. يؤكد (٢بطرس ٣: ١٣) على حقيقة أن الله سوف يؤسِّس نظامًا جديدًا تمامًا يسكنه البِرُّ.

وأخيرًا سوف ينتج عن عودة الابن نهاية واكتمال التاريخ. لا يعبِّر الكتاب المقدس عن مسار التاريخ على أنه مسار دائري لا نهائي ولا هدف له، لكنه يعبِّر عن التاريخ كحركةٍ تتَّجِه نحو هدفٍ، وكرحلةٍ تسير نحو ملكوت الله الكامل. ويتحدث الكتابُ المقدس عن الله العامل دائمًا في التاريخ كي يحقِّق ويتمِّم مقاصده.

سوف يعمل اللهُ في ذروة التاريخ العُظمَى ـ من خلال عودة ابنه ـ على القضاء على كل معارضةٍ لمشيئته، وعلى تأسيس ملكه الأبدي. هذا التدخُّل الإلهي الفعَّال في التاريخ سوف يُكمِل ما حقَّقه الابنُ على الصليب، وما حقَّقه من خلال جسده أي الكنيسة.

رجاؤنا الأكيد:

هذا إذًا هو رجاء الابن العظيم أن الله الذي كان مُلكه عاملاً بالفعل في خدمته الأرضية سوف يتمِّم خطتَه من خلال عودته الثانية بالمجد. وعند عودته، سوف تصل كلُّ صِوَر العهد القديم عن الملكوت الدائم الذي يسوده العدلُ والسلامُ والسجودُ، والتي تم توقُّع جميعها نبويًّا في خدمة الابن وحياة شعبه إلى مجد الإتمام الكامل.

ولكن حتى ذلك اليوم، يوضِّح (متى٦: ٣٣) و(مرقس ١٠: ١٦ – ٣١) و(لوقا ١١: ٢) أن الابن سيستمر في تقديم تحدِّي أن تكون للملكوت المكانة الأولى في حياتنا، وأن نتنازل عن كل شيءٍ من أجل الملكوت، وأن نصلِّي باستمرار من أجل إتيان الملكوت.

يمكننا أن نفعل كلَّ هذه الأمور بثقةٍ؛ لأننا نعلم أن الله الذي يحفظ وعدَه

سيحفظ كلمتَه لنـا، وسيتمِّم مـا قد بدأه في حيـاتنـا، وسيجعل مسكنَه وسطنـا، وسيضمن لنـا أن يحكم الابنُ على الكلِّ إلى أبد الآبدين.